دكتور
محمود موسى حمدان
الأستاذ بجامعة الأزهر

أدوات التشبيه
دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦٠

دكتور
محمود موسى حمدان
الأستاذ بجامعة الأزهر

أدوات التشبيه

دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

اسم المؤلف : دكتور محمود موسى حمدان
اسم الكتاب : أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها فى القرآن الكريم
الطبعة : الثانية
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة .
٢٨٠ صفحة ١٧ X ٢٤ سم
رقم الإيداع : ١٩٩٢/٩٤٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

" الحمد لله رب العالمين " حمد الشاكرين الطائعين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمّي ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد ،

فهذه هي الطبعة الثانية لكتابنا (أدوات التشبيه ...) قد جاءت بعد طول انتظار أهل العلم لها ، وكثرة سؤال الإخوان عنها ؛ إذ لم تَفِ الطبعة الأولى بتلبية حاجة جمهرة القراء إليها ، مما دفع بعض المكتبات إلى تصوير الكتاب دون موافقة منا !!

والذى أودّ أن أضعه بين يدى هذه الطبعة ما يأتى :

أولا : إن هذا الكتاب – كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى – هو الكتاب الوحيد الذى تفرّد بتناول أدوات التشبيه تناولا جامعا مستقصيا مدقّقا ، وببيان الفروق بينها في الاستعمال والدلالة في ضوء القرآن الكريم بيانا لم يسبق إليه أحد قبل؛ يشهد بذلك ما نال من ثناء وتقدير متوّج برأى اللجنة العلمية بجامعة الأزهر ، الذى جاء فيه " وهذا الكتاب من أفضل الكتب التي ظهرت في الدراسة البلاغية في السنوات الأخيرة ، ويأخذ تقدير ممتاز".

ثانيا : إنه عند مراجعتى للكتاب قبل دفعه إلى المطبعة لم أجد فيه خللا يحتاج إلى تسديد ، أو قصوراً يحتاج إلى تتميم ، فلم أضف إليه شيئا ، عدا إضافة واحدة عند تحقيق الفرق بين ضربي تشبيه الأفعال بالكاف ، إذ ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تُطْرونى كما أُطرِى عيسى بن مريم) –

زيادة في تحقيق الفرق ، وبيان أن الكاف هنا بمعنى (مثل) وأن النهى عن إطـــراء مماثلِ الإطراء على عيسى فى المبالغة ومجاوزة الحد ، لا عن مُطلق الإطراء اللائـــق بالرسل عليهم الصلاة وأتم السلام.

ثالثا : ومـــمَّا لا ينبغى فوتُه الإشارة إلى أن ما ناله كتابنا من تقدير لما حواه وقدمه من مسائل لها قيمتها وثراؤها – قد أغرى بعض المهتمين بهذا البـــاب أن يتفيؤوا ظل كتابنا ، ويستوحوا منه، ويقدموا بعض البحوث – دون ذكر أسمائها – رغبة فيما نظن أن تنال حظًا مما نال كتابنا ، وهيهات !! فلم تكن إلا عيـــالا عليه ، وحسبهم أن حاولوا ...، وحسبنا أن كنا روّادًا لهم فى هذا الباب.

رابعا : من الواجب على أن أشكر كل من قرأ الكتاب ، وأَنْزَلَهُ فى نفـــسه المنزلة الكريمة ، فاستوجب أن يقال له : " إنما يعرف الفضل من النـــاس ذووه" وأخص بالذكر شيخنا صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موســـى أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الأزهر وجامعة (أم القرى) بمكة المكرمة ، جـــزاه الله عما بذل للعلم وأهله خيراً في الدنيا والآخرة.

ثم أختتم بجزيل الشكر للمولى الجليل ، الذى تتم بفضله الصالحات، وأســـأله في عُلاه أن ينفع بما وفقنى إليه.

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد بن عبد الله سيد الخلق وخاتم المرسلين.

د/ محمود موسى حمدان

الأستاذ بجامعة الأزهر

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالرياض

شبين الكوم

١٤٢٨هـ

٢٠٠٧م

مقدمة الطبعة الأولى

حمدا لك – اللهم – كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وصلاة وسلاما على صفوة خلقك وخاتم أنبيائك.

وبعد ،

فمن المعلوم أن علم البلاغة يَتَغَيَّى ترسيخ الملكة القادرة على الإحاطة بالمعاني المختلفة إنشاء وتلقيا . ليستطيع البليغ بذلك نظم المعاني ، والتعبير عنها بصيغ وتراكيب وصور مختلفة في دلالاتها وخواصها ، تبعا لما تقتضيه مقاماتها. وليستطيع – أيضا – أن يميز بين ما يتلقاه من أساليب وتراكيب بما لها من دقائق وخصوصيات.

ومن الأساليب التي لها أهميتها في إبراز المعاني أسلوب التشبيه ، لما فيه من الدقائق والخواص وكثرة اللطائف والاعتبارات المختلفة التي جعلته في موضع الاهتمام في حقل الدراسات البلاغية ، فنال مبحثه بمسائله وتقسيماته باعتبارات مختلفة حظا موفوراً توفر له كثير من الكتاب الذين أفرغوا فيه من كتاباتهم وبحوثهم ما لا يحصى عددا.

ومما يلفت النظر أنهم أفردوا لكل ركن من أركان التشبيه مباحث خاصة به عالجوا فيها قضاياه ومسائله معالجة مستفيضة . لكنهم دأبوا على المرور بركن (الأداة) مرورا عابرا دون أن يفصلوا القول فيه تفصيلا يتناول حقيقة الأداة ، وما يدخل تحتها ، وما بينها من فروق.

ولم نجد من البلاغيين الأقدمين من تعرض لسرد أدوات التشبيه وبيان الفروق بينها بيانا منفردا بها ما عدا البهاء السبكي – رحمه الله – في كتابه عروس الأفراح، وما كان له من جهد في تحقيق الفروق بينها فى الدلالة استلهمها من شذرات من أقوال بعض البلاغيين وأهل اللغة ، وهي – وإن كانت جليلة – إلا أنها لا تفي بالمؤمل في هذا الباب.

من هنا كانت بداءة التفكير في هذه الدراسة لـ (أدوات التشبيه).

ثم إنه لما كان مِنْ مسالك الفهم الدقيق للقرآن الكريم ، وتدبر معانيه ، والوصول إلى أحكامه – الاهتمام بدراسة الفنون البلاغية، بما لهذه الفنون من أسس وأركان تقوم عليها . وخصائص تتميز بها ، وبخاصة منها مباحث البيان، من تشبيه ومجاز وكناية – لما كان الشأن كذلك اخترنا أن يكون مجال هذه الدراسة (أدوات التشبيه) دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم.

والمسلك الذي اخترناه لهذه الدراسة يتبدى فيما يأتي:

أولاً : استقراء جميع شواهد القرآن الكريم التي اشتملت على أدوات التشبيه . والاستشهاد بها في موضوعها من الدراسة حسب دلالة الأداة ، وطريق استعمالها. وكذلك الكلمات التي تفيد الحكم بالمشابهة فيه.

وهذا مما لا نشك في سلامته وجدواه . ذلك لأن تتبع جميع كلمات التشبيه في تراكيب القرآن الكريم ، ووجوه نظمه المختلفة ، ومقاماته الثرية يفيدنا كثيرا في تحديد دلالة هذه الكلمات ، وطرائق استعمالاتها في الأساليب.

ثانياً : اتباع مسلك أهل العلم في حمل الآيـــات علـــى احـــسن وجـــوه الإعراب، ومعاني التراكيب ، تاركين التقديرات البعيدة المستكرهة التي يبعد حمل المعنى عليها ، وكذلك البعد عن حمل الآية على قول شاعر مهما كانت طبقته.

ثالثاً: المجيء ببعض الشواهد من أشعار العـــرب استئناســـا بهـــا في بعـــض المواضع، واستشهادا بها في مواضع أخرى على دلالة بعض الكلمات التي تفيـــد الحكم بالمشابهة التي لا يوجد لها شواهد في القرآن الكريم.

على أن إقلالنا من شواهد الشعر لم يكن تقليلا من أهميته. إذ هو ولا شك "ديوان العرب" وإنما كان ذلك لوجود غنيتنا في شواهد القـــرآن الكـــريم مـــن ناحية، وللرغبة في عدم الإطالة وترهل الدراسة ترهلا نتحاشاه من ناحية أخرى.

ثم – أخيرا– نرجو أن يكون ما بذلناه من جهد في هذه الدراسة بعون الله تعالى قد آتى ما أمل فيه ، أو بعضا منه ، وأن يكون خالصا لوجه الله الكريم.

" وصلاة على المرسلين . والحمد لله رب العالمين "

شبين الكوم

في ربيع الثاني ١٤١٣هـ

أكتوبر ١٩٩٢م

المؤلف

" مدخــل "
التشبيــه وأركانــه

عند تحديد المصطلحات وبيان مفاهيمها ينبغى أن يرجع أولاً – إلى المعنى اللغوى ، لأنه الأصل الذى يقوم عليه المعنى ، وجنسه العام.

والتشبيه " لغة" كما تقتضى مادة الكلمة وصيغتها:"جعل الشئ شبيها بآخر"[(١)] أى إعطاؤه شبه غيره ، وتصييره على صورته بحيث لا يتميز عنه.

يشهد لهذا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [(٢)] قالوا : " إن معنى شبه لهم أى صور الله غيره بصورته فشبه لهم"[(٣)] وقال القرطبي: " أى ألقى شبهه على غيره ..."[(٤)].

فالشبه – أصلا – يكون من حيث الهيئة والصورة ، وما جاء في المعاجم من تفسير الشبه بالمثل – كما فى لسان العرب من أن : " الشبه والشبه والشبيه المثل ... وشبهه إياه ، وشبهه به مثله"[(٥)]. إنما هو ضرب من المسامحة والتوسع. لأن الشبه والمثل ليسا بمعنى واحد ، لكون المماثلة – كما سنبين بعد – لا تتحقق إلا بالشبه من جميع الوجوه ، ما عدا ما يقع به التغاير . وصاحب اللسان نفسه قال في بيان معنى (مثل) : " المماثلة بين المتفقين فى الجنس "[(٦)].

إذن إطلاق المماثلة على اتفاق اثنين فى جهة واحدة يكون على سبيل المجاز[(٧)].

---

(١) عروس الأفراح : شروح التلخيص ٣/ ٢٩٢.

(٢) سورة النساء ١٥٧.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢/٦

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٠٥.

(٥) لسان العرب لابن منظور ٢١٨٩.

(٦) المرجع السابق ٤١٣٢.

(٧) ينظر عروس الأفراح ٣/٢٩٣.

وعليه فدعوى ابن الأثير عدم الفرق بين التشبيه والتمثيل محتجا بتفسير الشبه بالمثل في المعاجم دعوى غير محررة [١] لأن أصل المعنى للكلمتين مختلف. وان كان قد اتسع ذلك وكثر في المعاجم حتى صار حقيقة عرفية.

وقد عرف البلاغيون التشبيه لغة : بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى[٢]. أي أن يأتي المتكلم بما يدل على التشبيه والمشاركة مطلقا، سواء كان على سبيل الاستعارة التحقيقية ، أو المكنى عنها . أو على وجه تنبني عليه الاستعارة، وهو ما يكون بالأداة .. كما يشمل مثل : قاتل زيد عمرا وجاء عمرو وبكر، لأن المثالين يستلزمان المشاركة في القتل والمجيء، كما هو ظاهر الكلام، لأنه لا يلزم في دلالة اللزوم القصد على الأصح. ولا يخرج المثالان عن دائرة التشبيه اللغوى إلا إذا اشترط في الدلالة أن تكون صريحة مقصودة [٣].

" التشبيه في اصطلاح البلاغيين " :

يتفق جميع من قاموا بتعريف التشبيه في الاصطلاح[٤] على التصريح بأن عقده يقوم على اشتراك شيئين فى صفة، وإن اختلفت عباراتهم في التصريح بقوة الصفة ، وظهورها فى المشبه به عن المشبه ... وكونه بالأداة ملفوظة أو مقدره. من هؤلاء:

الرمّانى (٣٨٤هـ) يقول في تعريفه : " التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حس أو عقل..

(١) ينظر المثل السائر ٣٨٨/١.

(٢) ينظر شروح التلخيص ٢٩٢/٣.

(٣) ينظر شروح التلخيص ٢٩٢/٣ والمطول وحاشية السيد عليه ٣١٠.

(٤) لما كان فى إطلاق كلمة التشبيه على التشبيه الاصطلاحى وتسميته بها بعد لكون مدلولها فى اللغة جعل الشئ شبيها بغيره والتشبيه الاصطلاحى ليس فيه ذلك بين البهاء السبكى أن هذه التسمية على سبيل المجاز. وتوضيح ذلك أنه أطلق لفظ (التشبيه) على ادعاء التشبيه أو اعتقاده مثل قولنا زيد كعمرو، فهو مجاز على مجاز ، للتجوز بالثانى عن الأول . انظر عروس الأفراح ٢٩٢/٣.

ويذكر بعض الشواهد التى أسس لها لتقسيمات التشبيه باعتبار الوجه ، وباعتبار الطرفين ، ثم يقول : والتشبيه البليغ [1] إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف...

ويبين الوجوه التي يقوم عليها الخروج بالأغمض إلى الأظهر قائلا: منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة. ومنها إخراج ما لم تجربه عادة إلى ما جرت به العادة، ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، ومنها إخراج ما لا قوة له فى الصفة إلى ما له قوة فى الصفة. فالأول: نحو، تشبيه المعدوم بالغائب، والثاني تشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم ، والثالث تشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتاب ، والرابع تشبيه ضياء السراج بضياء النهار"[2].

أبو هلال العسكرى (٣٩٥هـ) :

يقول في تعريفه : " هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر، بأداة التشبيه ، ناب منابه أو لم ينب"[3].

ثم يذكر الوجوه الأربعة التى ذكرها الرمّانى لحسن التشبيه وبلاغته ، ويرفض استحسان تشبيه المحسوس بالمعقول ويعتبره رديئا ...

الإمام عبد القاهر الجرجانى (٤٧١هـ) :

يعرفه خلال عرضه شواهده وتحليله وتقسيمه إلى تشبيه ، وتمثيل بأنه : الجمع بين شيئين فى صفة من جهة الحس أو العقل ، وبأنه الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشيء في نفسه خاصة كالشجاعة فى الأسد والنور فى الشمس[4].

---

(1) يقصد بالبليغ ما كثرت فيه المبالغة بإلحاق الأدنى بالأعلى، وليس مراده ما اصطلح عليه بعد: محذوف الأداة . ووافقه – أيضا – فى هذا القصد السكاكى . انظر مفتاح العلوم ١٨٩.

(2) النكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ٨٠ ، ٨١.

(3) كتاب الصناعتين ٢٣٩.

(4) أسرار البلاغة ٦٤ وما بعدها وانظر الإنبابي على البيانية للصبان ٣٨.

أبو يعقوب السكاكى (٦٢٦هـ):

يقول فى تعريفه : " هو وصف المشبه بمشاركته المشبه به في أمر"(١).

الطوفى البغدادى (٧١٦هـ) :

يقول : " هو إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما فى صفة اشتركا فى أصلها واختلفا فى كيفيتها قوة وضعفا"(٢).

الخطيب القزوينى (٧٣٩هـ):

يعرف بأنه " الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى ، ولم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ، والاستعارة بالكناية ، والتجريد"(٣).

السعد التفتازانى (٧٩٢هـ) :

يرى السعد أن يزاد على تعريف الخطيب القول : " بالكاف ونحوه لفظا أوتقديرا"(٤).

ابن يعقوب المغربى (١١١٠هـ):

يتميز تعريف المغربي بجمعه كل عناصر التعريف وقيوده ، فهو يقول : "هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية، والمكنى عنها والتجريد ، وذلك بأن يكون بالكاف ونحوها ، لفظا أو تقديرا"(٥).

هذه التعريفات وما اتصل بها من شروح دلتنا على أن وجه الشبه يكون أشهر في المشبه به عن المشبه وأكمل ، كما هو صريح تعريف الطوفى . وأنه لابد من وجود أداة لفظا أو تقديرا ،كما هو فى كلام الرمّانى وتعريف السعد.

---

(١) مفتاح العلوم ١٧٧.

(٢) الاكسير فى علم التفسير ١٣٢.

(٣) المطول على التلخيص ٣١٠، ٣١١.

(٤) المرجع السابق.

(٥) مواهب الفتاح: شروح التلخيص ٢٩٥/٣.

وإذا كان هذا هو جوهر التشبيه وحقيقته، وكنا بصدد الحديث عن أدواته فى دلالاتها واستعمالاتها .. فإننا بحاجة إلى التمهيد لذلك ببيان المسائل الآتية :

" **المسألة الأولى " أركان التشبيه** :

يقوم بناء التشبيه على أركان أربعة : المشبه ، والمشبه بـه ، والوجـه والأداة.

فالبحترى فى قوله :

دان على أيدى العفاة وشاسع

عن كل ند فى الندى وضريب

كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه

للعصبة السارين جد قريب[1]

-يشبه ممدوحه فى شسوع مكانته وعلوه مع قرب عطاياه مـن العفـاة ، بالبدر فى بعد مكانه ، وقرب ضوئه للسارين فى الليل.

فالمشبه (الممدوح) والمشبه به (البدر) ووجه الـشبه (البعـد مكانـا والقرب عطاء) والأداة (الكاف).

وأركان التشبيه الأربعة قد توجد ، وقد تحذف حذفا على الانفـراد ، أو معا ، لوجود دليل ، ما عدا المشبه به[2].

(**المسألة الثانية) الفرق بين التشبيه والتشابه** :

الأصل فى التشبيه إلحاق الناقص فى الصفة بالكامل فيهـا ، حقيقـة ، أو ادعاء.

قال المعزى :

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك

وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى [3]

---

(1) البيتان فى الإيضاح ١٢١ وديوان البحترى ٢٤٨/١.

(2) فى حذف المشبه به مناقشة ينظر الأطول ٦٥/٢ وحاشية الأنبابى على الرسالة البيانية للصبان ٣٩.

(3) البيت فى التبيان للطيبى ٢٠٠.

فوجه الشبه الذى هو الضخامة ، عند تشبيه صورة الفلك بصورة الجبل فى قوله تعالى : " ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾[1] أكمل فى المشبه به عن المشبه حقيقة.

والكمال على سبيل الادعاء قد يكون راجعا إلى كون المشبه به مشتهرا بالصفة عن المشبه ، مع كونها أكمل فى المشبه حقيقة ، لكنها لا تدرك فيه إلا على سبيل التخييل.

مثال ذلك قوله تعالى فى صفة الحور ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾[2] فالحور وإن كانت أشد بياضا وحسنا من البيض إلا أنه فيها خفى غير معهود لعدم مشاهدته، وهو فى البيض – وإن كان أقل – مشاهد معهود . فكان من هذه الجهة أكمل فى المشبه به لا من حيث الحقيقة"[3].

وقد يكون الكمال ادعاء مبناه مخالفة الواقع دون اعتماد على شهرة. فيجعل الفرع أصلا ، والأصل فرعا . ويلحق الناقص بالكامل على هذا السبيل " ولا نكاد نجد شيئا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة.

فمما جاء فيه ذلك للعرب قول ذى الرمة :

ورمل كأوراك العذارى قطعته

إذا ألبسته المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعا ، والفرع أصلا ؟ وذلك أن العادة والعرف فى نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء"[4].

---

(١) سورة الرحمن ٢٤.

(٢) سورة الصافات ٤٩.

(٣) ينظر الاكسير ١٣٢ وما بعدها.

(٤) الخصائص لابن جنى ١/ ٣٠٠.

وهذا التصرف بجعل الأصل فرعا والفرع أصلا لغرض المبالغة، دليل قوى على أن الأصل في التشبيه إلحاق الناقص بالكامل ، وإلا لما تحقق بهذا التصرف غرض المبالغة والادعاء.

وإذا بان لنا ذلك فإنه يتضح أن فيه فرقا بين التشبيه وبين أسلوب آخر يسمى (التشابه) وهو ما يدل على مشابهة كلا الطرفين للآخر على حد سواء. أو مجرد إفادة أصل الاشتراك دون نظر إلى زيادة أو نقصان[١].

وإذا كان عدّ هذا النوع من التشبيه لا يخلو من تسامح[٢]. فإننا سنتحدث عنه بمزيد بيان مرتبط بشواهده في القرآن الكريم لسببين :

الأول : مراعاة هذا الاعتبار ، أى كثرة إطلاق اسم التشبيه عليه على سبيل التسامح.

الآخر : مراعاة أحد نوعيه ، الذى هو فى أصله تشبيه اصطلاحى ، مستوف أركانه، ووجه الشبه فيه أكمل فى المشبه به، وأشهر. لكن تُرِكَ النظر إلى هذا، وأدخل فى باب التشابه. وموضع ذلك بمشيئة الله تعالى– المبحث الأخير.

" المسألة الثالثة " المقصود بأداة التشبيه وما يدخل تحتها :

يقصد البلاغيون بأداة التشبيه آلته التى يتوصل بها إليه.

قال الطيبى : " وهى ما يتوصل به إلى وصف المشبه بمشاركته المشبه به فى الوجه . وهى : الكاف، وكأن ، ومثل ، وشبه، وما فى معناهما . كحكى، ونحو ، وأخ "[٣].

---

(١) ينظر شروح التلخيص ٣/٤١٢.

(٢) ينظر عروس الافراح ٣/ ٣٩٣.

(٣) التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان ٢١٢.

وعللوا إطلاق (الأداة) عليها لتشمل الاسم والفعل والحرف[١] وسماها السكاكى :كلمة التشبيه [٢].

وسماها العضد الإيجي : صيغة التشبيه ،وعلل شارحه – أيضا – هذه التسمية : لتشمل الاسم والفعل والحرف [٣].

وكلام أكثرهم يدل على أن الأداة ليست الكاف، وكأن ، فحسب. وإنما تشمل أسماء وأفعالا ، دون أن يحددوا عددها ، عدا ابن أبي الإصبع فقد قال:

"وأدوات التشبيه خمسة : الكاف ، وكأن ، وشبه ، ومثل ، والمصدر بتقدير الأداة"[٤] وهذا الكلام صريح فى إرجاع المصدر إلى الكاف ، فتكون الأدوات أربعة.

وقال الخطيب : " وأدواته : (الكاف) فى نحو قولك : زيد كالأسد ، و (كأن) فى نحو قولك : زيد كأنه أسد. و(مثل) فى نحو قولك : زيد مثل الأسد . وما فى معنى (مثل) كلفظة (نحو) وما يشتق من لفظة (مثل) و (شبه) ونحوهما[٥].

وقال البهاء السبكي : " كل ما كان بمعنى (مثل) و (شبه) أداة . فمن أدوات التشبيه : الكاف ، وكأن ، وياء النسب، ومثل، ومثيل ، وشبه، وشبيه ، ونحو ، ذكره جماعة .. وضريب ، وشكل ، ومضاه، ومساو، ومحاك، وأخ ، ونظير ، وعدل ، وعديل ، وكفء، ومشاكل ، وموازن ، ومواز . ومضارع ، وند ، وصنو . وما كان بمعناها ، أو كان مشتقا منها، من فعل أو اسم ، وأشار الطيبى إلى أن من أدوات التشبيه (أفعل التفضيل) مثل زيد أفضل من عمرو ...

---

(١) ينظر عروس الأفراح ٣/٣٨٦.

(٢) مفتاح العلوم ١٨٩.

(٣) شرح الفوائد الغيائية ٢١٤.

(٤) تحرير التحبير ١٦١.

(٥) الإيضاح ١٣٣.

ومن أدوات التشبيه (لعل) ففى البخارى فى قوله تعالى : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [١]. عن ابن عباس رضى الله عنهما ، معناه : كأنكم"[٢].

وقال العصام : " ولا يبعد أن يجعل من أدوات التشبيه صيغة (التفعل) نحو: تحلم ، وتصبى، وتشيخ ، فأنه فى معنى : صار حليما ، وصار صبيا ، وصار شيخا .. ولا يخفى أنه لم يصر شيخا بل صار كالشيخ فى صدور العالسه عنه، وظهور صفاته منه[٣].

وهذه الأدوات التى ذكروها ، وان اتفقت فى إفادة اشتراك اثنين فى صفة، إلا أن لكل أداة منها خصيصة فى هذه الإفادة، راجعة إلى أصل مادتها اللغوية.

القول بخروج ما عدا (الكاف ، وكأن) :

ناقش بعض البلاغيين دخول ما عدا الكاف و (كأن) فى أدوات التشبيه ، ذاهبين إلى أن الكلمات : مثل ، وشبه ،ونحوهما وما اشتق منها ليست من أدوات التشبيه ، والأمثلة التى تجيء فيها ليست من التشبيه الاصطلاحى.

وقد استحسن البهاء السبكى ذلك فى سياق شرحه كلام الخطيب قائلا : "والكلام من المصنف يقتضى أن قولك : زيد يشبه الأسد تشبيه " . وفيه نظر.

قال فى شرح ضوء المصباح : إنه ليس تشبيها . فإنه كلام متضمن الوصف بالمماثلة بين زيد والأسد ، لا بواسطة أداة تفيد ذلك الوصف ، بل بوضع الجملة الخبرية دالة عليه ، انتهى . وهو حسن ويلزمه إجراؤه فى (مثل) و(نحو) وغيرهما"[٤].

---

(١) سورة الشعراء ١٢٩.

(٢) عروس الأفراح ٣/٣٩٢.

(٣) الأطول ٢/٨٨.

(٤) عروس الأفراح ٣/٣٨٦.

ويذهب – أيضا – ابن يعقوب إلى ذلك قائلا : " ما يشتق من المماثلة ، وما يؤدى هذا المعنى ،كالمضاهاة ،والمحاكاة ، ونحو ذلك، كقولك : زيد يضاهى ، أو يشبه ، أو يحاكى ، أو يماثل ، أو مضاه ، أو مشبه ، أو محاك عمرا ، فكل ذلك يفيد التشبيه. والمتبادر أن هذه المشتقات إنما تفيد الإخبار بمعناها. فقولك : زيد يشبه عمرا إخبار بالمشابهة ، كقولك . زيد يقوم ، فإنه إخبار بالقيام ، وليس هنا أداة داخلة على المشبه به . ومثل هذا يلزم فى لفظ (مثل) فعدها من الأداة لا يخلو من تسامح[١].

وتحرير القول فى هذا المطلب بما يأتى :

أولا : إن هذه الكلمات (الأسماء والأفعال) يعبر بها عن معانيها الوضعية، فيدل الإخبار بها على معانيها من المماثلة والمشابهة والمشاكلة.. إلى آخره كما يدل الاخبار بأى فعل أواسم مشتق آخر ، فهى ليست للدلالة على التشبيه الاصطلاحى وإن أفادت المشابهة.

فقولنا : زيد يشبه الأسد ، مثل قولنا : زيد يصاحب عمرا فى الحكم بمعنى الفعلين والإخبار بهما دون اختلاف . والمثالان وإن أفاد الأول منهما اشتراك زيد والأسد فى الشبه ، والآخر اشتراك زيد وعمرو فى الصحبة إلا أن هذه الإفادة بطريق اللزوم ، لا يتعين القصد إليها . وإن تحقق القصد إليها فلن يكون المثالان تشبيها اصطلاحيا على حد سواء، وإن كان الحكم فى الأول بالمشابهة فعلا.

وقد صرح العلامة السيد بأن قولك : جاءنى زيد وعمرو يدل لزوما على مشاركة أحدهما للآخر فى المجىء، فإن قصده المتكلم يعد تشبيها لغة لا تشبيها اصطلاحيا ، وكذا نظائره ثم نبه على الفرق بين ثبوت الحكم لشيئين وبين مشاركة أحدهما الآخر فيه بأنهما مفهومان متغايران متلازمان، وأن دلالة اللفظ على أحدهما ليست عين الدلالة على الآخر وإن استلزمتها. كما لا تستلزم دلالة

---

(١) مواهب الفتاح ٣٨٦/٣.

المتكلم على أحدهما دلالته على الآخر ، إذ ربما يكون الآخر غير مقصود عنده أصلا[١].

ثانيا : يدل كلام العصام على أن أداة التشبيه لا تكون لإفادة الحكم بالمشابهة . وإنما هى آلة لملاحظة الطرفين والربط بينهما ، للدلالة على إلحاق أحدهما (المشبه) بالآخر (المشبه به) . وعليه فلا تكون إلا حرفا.

أى هى غير مستقلة بالمفهومية ، ولا تدل على المعنى بذاتها . وعبارته : "والأداة ليست أداة للتشبيه . بل هى أداة دالة لربط أحد الطرفين بالآخر فى مقام التشبيه "[٢].

إذن : أداة التشبيه لملاحظة الطرفين وارتباطهما ببعضهما ولذلك يتعين وجودها فى اللفظ أو التقدير . وعند التقدير تكون الكاف خاصة ، والدال على التشبيه مجموع الطرفين والأداة ومقام التشبيه .

ولا يدفع هذا ما سبق ذكره عن العصام من أن صيغة (التفعيل) من أدوات التشبيه . لأنه ذكر هذا على سبيل عدم استبعاده ممن أدخلوا غير الحروف فى الأدوات بأن يجعلها من الأدوات. ولم يصرح هو بأنها من الأدوات يدل على هذا عبارته بهذا الخصوص.

ثالثا : إنه مما يعكر على القول بأن الكلمات التى هى أسماء وأفعال أدوات تشبيه دلالة كل منها على معنى معين عند الإخبار بها. هو نفسه مضمون وجه الشبه ، لكون مفهوم مثل المشابهة فى الجنس والصفة ، وشبه فى الهيئة والصورة ، والشكل فى المقدار والمساحة ، وهكذا ... وهذا واضح المخالفة للمعهود من التشبيه بالكاف و (كأن) من كون الأداة شيئا والوجه شيئا آخر.

---

(١) حاشية السيد على المطول ٣١٠ ، ٣١١.

(٢) الأطول ٦٥/٢.

(**وخلاصة القول**) أن اعتبار الأسماء والأفعال التى ذكروهـــا مـــن أدوات التشبيه يعد من باب التسامح ، لأن حقيقتها الحكم بالمماثلة والمشابهة والمشاكلة والمضارعة إلى غير ذلك . ولا يسلم اعتبار شواهدها من التشبيه الاصـــطلاحى لعدم وجود الأداة ، وإن صح كونها تشبيها لغويا لإفادة اشتراك اثنين فى صـــفة كما بينا.

المبحث الأول

الأسماء والأفعال التى تفيد الحكم بالمشابهة

١- كلمة " مثل " [١] :

من الكلمات التي تأتي للاخبار بمعناها كلمة (مثل) والمعنى الذى تدل عليه كون المحكوم عليه بالمماثلة متفقا مع ما يماثله فى جميع الجهات التى يصير بالاتفاق معه فيها على مثاله ، فيكونان جنسا واحدا يسد أحدهما مسد الآخر [٢] .

يدل على ذلك مجيء المادة للدلالة على الاتفاق فى الصورة جنسا وصفة. قال تعالى فى قصة الملك ومريم : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[٣] .

قال الطبرى : " فتشبه لها فى صورة إنسي سوى الخلق منهم ، يعنى فى صورة رجل من بنى آدم معتدل الخلق" [٤] .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث الوحى : "وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول " [٥] أى يكون فى الصورة من جنس الرجال له من صفاتهم ومثل كلامهم ولغتهم.

ومن أمثلة ذلك فى الشعر قول عنترة:

---

(١) جاءت كلمة (مثل) فى القرآن الكريم فى ثمانين شاهدا وقعت فى ثمان وسبعين آية إذ كررت فى آيتين ، منها ستة شواهد سنذكرها فى مبحث (التشابه) وقد رقمنا الشواهد وما أعيد ذكره وضعنا رقمه السابق بين معقوفين هكذا [..].

(٢) ينظر الفروق فى اللغة ١٤٧ وما بعدها.

(٣) سورة مريم ١٧.

(٤) جامع البيان ١٦/٦٠ وانظر الكشاف ٢/٥٠٥.

(٥) صحيح البخارى ١/٣.

إن المنية لو تمثل مثلت

مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل[١]

والأصل الذى تقوم عليه المثلية الاتفاق فى الجنس. قال فى اللسان : "المماثلة بين المتفقين فى الجنس"[٢] وعند الاختلاف فى الجنس يكون المجيء بها على سبيل المجاز [٣] . ويكون تمام المماثلة وتحققها عند الاتفاق في بقية الصفات، لأن الشيء لا يكون مثل غيره في الحقيقة إلا إذا أشبهه فى جميع الوجوه [٤] ماعدا ما يقع به التعدد [٥] .

" وجوه الدلالة بـ (مثل)" :

قلنا : إن المماثلة الاتفاق فى الجنس والصفة . إلا إنه قد يكون محط الاهتمام إبراز الاتفاق فى الجنس ، وقد يكون إبراز الاتفاق فى صفة أو صفات حتى تتم المماثلة . يدل على هذا ما يصاحب (مثل) من قرائن المقام والسياق.

ذكر سيبويه رحمه الله – أن قولك : مررت برجل مثلك يحتمل وجوهاً ثلاثة ، قال : " ومن النعت مررت برجل مثلك. فمثلك نعت على أنك قلت : هو رجل كما أنك رجل ، ويكون نعتا أيضا على أنه لم يزد عليك ولم ينقص عنك فى شيء من الأمور، ومثله : مررت برجل مثلك، أى صورته شبيهة بصورتك" [٦] .

---

(١) ديوان عنترة ١١١ وفى الشعر والشعراء ١/ ٢٥٤.

(٢) لسان العرب ٤١٣٢.

(٣) ينظر الاكسير ١٣٢.

(٤) ينظر الفروق ١٤٩.

(٥) ينظر عروس الأفراح ٣/ ٣٩٣. الكتاب ١/ ٤٢٣.

(٦) الكتاب ١/ ٤٢٣.

فالوجه الأول : الاتفاق في الجنس . والثاني : الدلالة على المساواة. والثالث: الدلالة على المشابهة في الصورة المحسوسة.

ثم يبقى بعد ذلك تعدد وجوه الاتفاق إلى أن تأخذ المماثلة كمالها حتى يمكن أن يسد أحدهما مكان الآخر.

وقد جاء القرآن الكريم مفيدا هذه المعاني بكلمة (مثل) وكذلك جاء الشعر العربي.

الاتفاق في الجنس :

يبدو واضحا كون المقصود من المجيء بـ(مثل) الدلالة على الاتفاق بين الطرفين في الجنس في الآيات الآتية :

١- قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١].

(وعلى الوارث مثل ذلك) المماثلة في جنس الواجب ، قال الزمخشري: "المعنى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة"[٢].

يدل على ذلك سياق الآية بما تضمن من الإشارة إلى هذا الواجب بعد سبق ذكره في أول الآية " وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن".

٢-قال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[٣].

([١]) سورة البقرة ٢٣٣.

([٢]) الكشاف ١/ ٣٧١.

([٣]) سورة يونس ١٠٢.

فالمعنى والله أعلم – هل يبقى هؤلاء الكافرون مصرين على كفرهم – لايصرفهم عن ذلك إلا أن يصيبهم الله بأيام من جنس ما أصاب الأمم قبلهم. فالمماثلة فى جنس هذه الأيام بما لهذا الجنس من خصائص العذاب والشدة . ومن هذا القبيل قول المساور بن هند :

وأدركنى يوم إذا قلت قد مضى
يعود لنا أو مثله فيعود [١]

أى من جنس ما عشناه.

٣- قال تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾[٢] يخوف شعيب – عليه السلام – قومه أن يصيبهم من جنس ما أصاب العصاة قبلهم .

ومن هذا الضرب أيضا – الآيات الآتية :

٤ – ٥ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[٣].

(ومثل) الثانية تفيد ما أفادته الأولى . فهى تعرب بدلا منها أو عطف بيان.

٦- وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[٤].

المماثلة كما سبق فى الجنس . ولا يخفى وجود صفات لهذا الجنس. إلا أن الأساس بيان المماثلة فى الجنس.

---

(١) البيت فى الشعر والشعراء ٣٤٩/١.

(٢) سورة هود ٨٩.

(٣) سورة غافر ٣٠ ، ٣١.

(٤) سورة فصلت ١٣.

٧- قال تعالى:﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّــؤْمِنِينَ﴾[١] المماثلة فى جنس الإفك والافتراء والكذب على رسول الله وأهل بيته.

٨- قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْــلَ مَــا أُوتِيَ مُوسَى أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَــالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾[٢].

أى لولا أوتى من جنس ما أوتى موسى من الكتاب المنزل جملة واحــدة، وقلب العصا حية ، وفلق البحر ، وغير ذلك من الآيات [٣].

(الدلالة على المساواة) :

وتأتى (مثل) للدلالة على المساواة مع الاتفاق فى الجنس كثيرا فى سياق الحديث عن بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام وعن جزاء الحسنة والــسيئة، وفى آيات المواريث ، وعند الحديث عن الافتداء من العذاب ، وعند بيان قــدرة الله على الخلق وكثرة عطائه لهم.

وشواهد الحديث عن البشرية جاءت على لسان الرسل علــيهم الــصلاة والسلام إثباتا للمساواة فيها ، مع إخبارهم بأنهم يتميزون عن غيرهم بمــا وراء صفة البشرية من الوحى والتبليغ والهداية ..

وجاءت أيضا على لسان الكافرين نفيا للرسالة لمنافاتها – فى زعمهــم – للبشرية.

والإخبار بالمساواة فى البشرية على لسان الأنبياء جاء فى ثلاث آيات. تخبر إحداهن بتميز الأنبياء عن غيرهم بصفة منّهــا الله علــيهم ، وفــضّلهم بهــا. والأخريان تخبران بجوهر الدعوة التى تميزوا بها عن سائر البشر.

---

(١) سورة النور ١٧.

(٢) سورة القصص ٤٨.

(٣) ينظر الكشاف ٣/١٨٣.

٩- الآية الأولى : قول الله تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[١].

يحكى الله جل وعلا تسليم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمساواتهم غيرهم فى البشرية . لكنهم يتميزون عن غيرهم بما مَنَّ الله عليهم بالرسالة والوحى والدعوة إليه . وواضح أن الإخبار بالتميز بالرسالة جاء فى مقابلة الإخبار بالمساواة فى البشرية.

١٠- الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾[٢].

توجيه لرسوله ﷺ بأن يقر لهم بمساواته لهم فى البشرية مع تميزه عنهم بالرسالة والدعوة ، التى جوهرها التوحيد الخالص ، ومظهره العمل، وثمرته الجنة.

١١- الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[٣]. إخبار بالمساواة فى البشرية والتمييز بالرسالة .

وقد جاء الإخبار بالمثلية للدلالة على المساواة فى البشرية على لسان الكافرين المعاندين نفيا للرسالة وتبريرا لعنادهم وتعنتهم فى طلب الآيات والمعجزات فى الآيات الآتية :

---

(١) سورة إبراهيم ١١.

(٢) سورة الكهف ١١٠.

(٣) سورة فصلت ٦.

١٢- قال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا من قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[١].

١٣- وقال تعالى:﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

١٤- وقال تعالى : ﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[٣].

١٥- وقال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾[٤].

١٦- وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[٥].

وواضح من هذه الآية والتي قبلها ما للسياق من دلالة على معنى المساواة، لأن إثبات صفة البشرية من الأكل والشرب لنفي تميز الأنبياء بشيء عنهم مما يكون دليلا على اختلافهم في البشرية عن سائر البشر، وكذلك نفي التفضل-

---

(١) سورة هود ٢٧.

(٢) سورة إبراهيم ١٠.

(٣) سورة الأنبياء ٣.

(٤) سورة المؤمنون ٢٤.

(٥) سورة المؤمنون ٣٣.

فى الآية قبلها – إثبات للمساواة فى البشرية . أما بقية الآيات فمقام الآيات يدل على القصد إلى الإخبار بالمساواة فى البشرية.

١٧– وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ ﴾[١].

١٨– وقال تعالى : ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[٢].

١٩– وقال تعالى : ﴿ مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٣].

٢٠– وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ﴾[٤].

٢١– وقال تعالى : ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾[٥].

وهكذا أفادت هذه الشواهد المماثلة فى الجنس والمساواة فى صفاته.

وتأتى (مثل) عند الحديث عن جزاء الحسنة والسيئة للدلالة على المساواة فضلا عن الاتفاق فى الجنس ، وذلك لنفى الزيادة والنقصان.

وتكون المساواة فى جانب الحسنة لنفى النقصان، أما فى جانب السيئة فتكون لنفى الزيادة ، وهو الغالب الكثير فيها. وقد تكون لنفى النقصان ترهيبا، وزجرا عن التمادى فى الباطل وهو القليل فيها.

ويكون للمقام والسياق توجيه إدراك المساواة نفيا للنقصان أو نفيا للزيادة. وشواهد ذلك الآيات الآتية :

([١]) سورة المؤمنون ٣٤.

([٢]) سورة المؤمنون ٤٧.

([٣]) سورة الشعراء ١٥٤.

([٤]) سورة الشعراء ١٨٦.

([٥]) سورة يس ١٥.

٢٢- قال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾[1].

فى الآية شاهدان : أحدهما : لكلمة (مثل) فى جانب الحسنة ولم تأت (مثل) فى الجزاء عنها إلا فى هذه الآية . وهى تدل على نفى النقصان فى الجزاء. ومما يؤكد إفادتها المساواة مجيئها بصيغة الجمع، ومعدودة، لإفادة الزيادة عن طريق ذلك؛ لكون صيغة المفرد تدل على المساواة .

الآخر : مجيئها فى جانب السيئة للدلالة على المساواة ، ونفى الزيادة فى الجزاء . ولأسلوب القصر دلالته الواضحة على ذلك .

٢٣- قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[2].

المثلية فى كون ما يعاقب به من جنس السيئة التى يعاقب عليها ومن بابها، بحيث تكون على مقدارها لا تزيد . والإتيان بمثل دون الكاف للدلالة على أن القصد ليس إلى مجرد وقوع الحدثين الذى يفاد بالكاف، وإنما لإفادة أن العقاب مماثل لسببه فى جنسه ومقداره ، لأن نصر الله مترتب على هذه المماثلة والله أعلم.

٢٤- قال تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

أفادت (مثل) المساواة دفعا للزيادة ، وإقامة للعدل بينهم وسياق الآية واضح الدلالة على ذلك.

---

(1) سورة الأنعام ١٦٠.

(2) سورة الحج ٦٠.

(3) سورة غافر ٤٠.

٢٥- قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[١].

المثلية لإفادة المساواة بعدم مجاوزة الحد، فيكون العقاب على قدر السيئة، ومقام الآية وسياقها واضح الدلالة على ذلك.

٢٦- قال تعالى:﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [٢].

أى آتوا من فاتته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر، على أن يكون ذلك على سبيل المساواة ، ورد الزائد من عقب الصداق الذى عند المسلمين ، أو أن يكون ذلك مما عاقبتم بإصابتكم غنيمة منهم[٣].

وقد جاءت (مثل) للدلالة على المساواة . منعا للنقصان فى العقوبة فى الآيات الآتية :

٢٧- قال تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[٤].

الغرض من الآية وسياقها يدلان على المساواة منعا للنقصان لأنها تحث المسلمين على رد العدوان بالعدوان ، دون توان أو تراخ فيه. فإن للمسلمين أن يهتكوا على المشركين حرمة الشهر الحرام كما يهتكونه عليهم وألا يبالوا ، وألا يقصروا في رد الإعتداء لكى لا يتمادوا فى ظلمهم. ثم تختم الآية بما يدل على

---

(١) سورة الشورى ٤٠.

(٢) سورة الممتحنة ١١.

(٣) ينظر الكشاف ٩٤/٤ وتفسير ابن كثير ٣٥٣/٤.

(٤) سورة البقرة ١٩٤.

مراعاة الجانب الآخر من المساواة وهو عدم مجاوزة الحد الذى أحله الله لهم بقوله تعالى" واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين" فإنه من يتق ذلك كان الله معه[١].

٢٨- قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٢].

(بمثلها) أى تساوى ما فعلوه ولا تقل عنه . وسياق الآية بما يشتمل عليه من بيان حال الذل والهوان التى هم عليها، وأنهم لا يحول بينهم وبين عذابه ما يمنعه عنهم أو يخففه ، كل ذلك يدل على أن مثل للمساواة نفيا للنقصان.

وقال أبو حيان : " – بمثلها – أى لا يزاد عليها "[٣] وهذا التفسير لا يتفق مع مقام الآية وسياقها ، وكان أولى أن يقول : أى لا ينقص عنها.

٢٩- قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ ﴾[٤].

المثلية للمساواة فى الجزاء ، لدفع توهم النقص فيه ، والتساهل مع الذين يظلمون رسول الله بالتكذيب ، فهم يساوون من سبقوهم بتكذيب الأنبياء فيما يصيبهم من العذاب.

وجاءت (مثل) دالة على المساواة فى آيتين من آيات المواريث:

٣٠- قال تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ

---

(١) ينظر الكشاف ٣٤٢/١.

(٢) سورة يونس ٢٧.

(٣) البحر المحيط ١٤٨/٥.

(٤) سورة الذاريات ٥٩.

وَاحِد مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

٣١- وقال تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

جاءت (مثل) فى الآية الأولى (للذكر مثل حظ الأنثيين) وفى الآية الثانية (فللذكر مثل حظ الأنثيين) – لتدل على المساواة فى المقدار بحيث لا يزيد ولا ينقص.

وجاءت (مثل) دالة على المساواة فى سياق الحديث عن قدرة الله وسعة علمه ، وكثرة عطائه فى الآيات الآتية :

٣٢- قال تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

قال أبو حيان : " – أو مثلها – أى مساو لها فى التكليف والثواب، وذلك كنسخ التَّوجّه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة "[4] ودلالة (مثل) على المساواة يساعد عليها. – أيضا – نظم الآية ؛ لأن المثلية للتنويع مع الزيادة،

---

(١) سورة النساء ١١.

(٢) سورة النساء ١٧٦.

(٣) سورة البقرة ١٠٦.

(٤) البحر المحيط ٣٤٤/١.

فالنقصان غير وارد ؛ ولأن الآية فى مقام الحديث عن قدرة الله تعالى. وعلمه بما فيه الخير عند التشريع لخلقه ، فكلمة (مثل) أثبتت المساواة بين ما يأتى من الآيات مع ما نسخ منها بحيث لا تنقص عنها.

٣٣- قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾[١].

٣٤- وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[٢].

الآيتان تتحدثان عن ايتاء الله أيوب أهله الذين أهلكوا ومعهم ما يساويهم عددا فى الدنيا وعدة فى الآخرة . وهذا لا يكون إلا من القادر جل وعلا[٣].

٣٥- قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[٤].

المعنى – والله أعلم – أى مثلهن فى جنس الخلق والعدد.

ودلالة (مثل) على المساواة فى العدد لها مزيد اختصاص بالغرض قال الزمخشرى : " ما فى القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه"[٥].

٣٦- قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[٦].

---

(١) سورة الأنبياء ٨٤.

(٢) سورة ص ٤٣.

(٣) ينظر البحر المحيط ٦/٣٣٤.

(٤) سورة الطلاق ١٢.

(٥) الكشاف ٤/١٢٤.

(٦) سورة الكهف ١٠٩.

قال الزمخشرى : " ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير نافذة"[١].

وواضح أن النفاد يرتبط بالمقادير وأن (مثل) هنا للمساواة -أيضا- فى جنس المداد.

٣٧- قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِه فِي زِينَتِه قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[٢] يتمنون أن يكون معهم من المال وعرض الدنيا ما يساوى ملك قارون فكلمة (مثل) للدلالة على المساواة.

أما شواهد (مثل) التى تفيد المساواة فى معرض الحديث عن الافتداء من العذاب فهى الآيات الآتية :

٣٨- قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِه مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣].

٣٩- وقال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِه أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ ﴾[٤].

٤٠- وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِه مِن سُوءِ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾[٥].

فكلمة (مثل) فى الآيات تدل على المساواة أى أن الله لا يقبل الفداء وإن كان ما فى الأرض جميعا ومعه ما يساويه مقدارا وقيمة. والله أعلم.

---

(١) الكشاف ٥٠١/٢ .

(٢) سورة القصص ٧٩.

(٣) سورة المائدة ٣٦.

(٤) سورة الرعد ١٨.

(٥) سورة الزمر ٤٧.

[دلالة (مثل) على المشابهة]

جاءت (مثل) للدلالة على المشابهة فى الهيئة والصورة مع دلالتها على الاتفاق فى الجنس على حد قولك : مررت برجل مثلسك . أي شبهك – فى الآيات الآتية :

٤١- وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ منكُم مُتَعَمِّداً فَجزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِه عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتقَامٍ﴾[1].

(مثل ما قتل) قال الجمهور : المثلية فى الصورة والخلقة ، والصغر والكبر، اعتمادا على أن (مثل) فى الآية تقتضى بظاهرها المثل الخلقى الصورى، يساعد على ذلك تفسير المثل بقوله (من النعم) وقوله (هديا بالغ الكعبة).

وهذا مستند الإمام الشافعى – رحمه الله – لاستخراج الحكم من الآية، وهو أن ما يجزى عن قتل الصيد نظيره فى الخلقة والصورة استدلالا بهذه الدلالة اللغوية لكلمة (مثل).

أما الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – فقد استدل على كون المثلية راجعة إلى القيمة، دون الهيئة والصورة – بجزء آخر من السياق ، وهو ارجاع تحديد المثل إلى (ذوى عدل) إذ لو كانت المثلية فى الخلقة والصورة لما أرجع الأمر إلى حكمهما ، لعدم خفاء النظر عندئذ، وكون معرفة الجزاء مستطاعة[2].

٤٢- قال تعالى : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ مَكَاناً سُوًى ﴾[3].

---

(1) سورة المائدة ٩٥.

(2) ينظر الكشاف ٦٤٤/١ والبحر المحيط ١٩/٤ والجامع لأحكام القرآن ٢٣٠٧.

(3) سورة طه ٥٨.

حكاية لما قاله فرعون لموسى – عليه السلام – وقوله (مثلـه) أى من جنس ما جئت به ، وعلى هيئته وصورته المشاهدة ، التى تأخذ بالأعين ، وتؤثر على المشاهد .

وهذا خبث من فرعون ، ومحاولة منه إنكار ما يعلمه من كون ما جاء به موسى عليه السلام أمر معجز لا يستطيع أحد أن يأتى بما يماثله هيئة وصورة.

الدلالة على تمام المماثلة :

يتحقق تمام المماثلة عند دلالة (مثل) على الاتفاق فى الجنس وصفاته بحيث لا يتميز أحد الطرفين عن الآخر ، فيكونان شيئا واحدا، أو كالشئ الواحد. ويكثر ذلك فى الحديث عن القرآن الكريم وتحدى المعاندين أن يأتوا بمثله. وكذلك عن البعث وإعادة الأجسام بعد موتها . فمن شواهد تحدى الكافرين الآيات الآتية:

٤٣– قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١].

فى الآية تحد للكافرين بأن يأتوا بكلام من جنس الكلام الذى يقرؤه محمد – ﷺ– فى عربيته التى يملكون ناصيتها ودقة تراكيبه ومعانيه، ويساويه فى علو بلاغته وفصاحته . لكى تصح لهم دعواهم بأنه افتراه واختلقه.

فالمثلية تامة ، لأنها فى الجنس بما له من صفات يدل عليها مقام التحدى.

٤٤– قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٢].

أى سورة تماثله فى البلاغة وحسن النظم بحيث يكون ما يأتون به كأنه القرآن. وذلك يستحيل عليهم.

---

(١) سورة البقرة ٢٣.

(٢) سورة يونس ٣٨.

٤٥- قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١].

وهى كالآية السابقة . فالمماثلة فى كونه من جنس كلامهم وفى التميز بالبلاغة والفصاحة.

٤٦- قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[٢].

المماثلة فى كونهم يأتون بكلام عربى دق نظمه ومعناه.

وعلل أبو حيان مجئ (مثل) الثانية دون الاكتفاء بالضمير لبيان أن المطلوب الإتيان بمثله، لا أن يأتوا بالقرآن لجواز حمل المثل على الشئ نفسه لو جئ بضميره ، فكرره توضيحا وتوكيدا[٣].

وهذا يفهم أن المماثلة بلغت حد الكمال ، وإلا لما كان يصح حمل المثل على الشئ نفسه.

٤٧- قال تعالى :﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[٤].

أى فليأتوا بحديث مماثل للقرآن فى بلاغته ودقة معانيه ، واخباره عن الأمم السابقة ، والحكم، والمغيبات التى جاءت فيه بحيث يساوى القرآن فى ذلك كله ويصير كأنه هو . (إن كانوا صادقين) فى أن رسول الله تقوله.

ولم تأت مثل فى مقام التحدى من الكفار بأن يأتوا بمثل القرآن إلا فى آية واحدة.

---

(١) سورة هود ١٣.

(٢) سورة الإسراء ٨٨.

(٣) ينظر البحر المحيط ٦/ ٧٩.

(٤) سورة الطور ٣٤.

٤٨- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾(١).

أى أنهم يستطيعون أن يأتوا بمثله فى كونه كلاما من أساطير الأولين، وفيه من القصص والحكايات الغريبة، وكونه باللغة العربية الفصيحة.

والمماثلة التى يدعونها كاذبة ومفتراة لا حقيقة لها.

والشواهد التى جاءت فى معرض الحديث عن البعث وإعادة الأجسام، وتدل (مثل) فيها على تمام المماثلة من الاتفاق فى الجنس وصفاته وهيئته بحيث لا يكاد يتميز أحد المتماثلين عن الآخر فيكونان كالشئ الواحد هى ما يأتى:

٤٩-قال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً﴾(٢).

أى - والله أعلم - مثله فى الجنس أى يكونون إنسا مثلهم وفى صفات الإنسان وهيئته المعروفة التى هم عليها ، فالمثلية تامة فى جميع الصفات.

ومثلها أيضا فى هذه الدلالة :

٥٠- قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ ﴾(٣).

أى مثلهم فى الجنس والصفات ، وماهم عليه من الهيئة الإنسانية المعروفة.

ويؤكد دلالة (مثل) على تمام المماثلة فى هذه الآية والتى قبلها أن مآل الغرض إفادة أن الله قادر على أن يخلقهم إعادة كما خلقهم بدءا.

٥١- قال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنفال ٣١.

(٢) سورة الإسراء ٩٩.

(٣) سورة يس ٨١.

(٤) سورة الواقعة ٦٠- ٦١.

٥٢- وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾[١].

(أمثال) جمع مثل (بسكون المثلثة) . والمراد المماثلة فى الخلقة البشرية وصفاقا ، والهيئة التى بدأ عليها خلقهم.

وقد جوز الزمخشرى أن تكون (أمثال) جمع مثل بالفتح بمعنى صفة[٢]، وإن كان كذلك فالصفة صفة ظاهرة متصلة بالهيئة والصورة.

٥٣- قال تعالى:﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾[٣].

أى لم تخلق مدن مثلها فى عظم أجرامها وقوة بنيالها . وامتلائها بأهلها. فالمماثلة تامة فى الجنس وصفاته وهيئته الظاهرة المرئية.

ومن الشواهد التى يتسع فيها مجال المماثلة اتساعا ناشئا من المقام الدال على قصد المماثلة فى كل شئ حتى يمكن أن يقصد بالمثلين شيئا واحدا فيقال : هو هو – الآية الآتية :

٥٤- قال تعالى:﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٤].

(ليس كمثله شئ) المثل المنفى عنه مشابهة شئ له مقصود به – على سبيل الفرض – من يسد مسد من يماثله ، لكونه على أخص أوصافه ، وكان المقصود ذلك لأن الغرض تحقيق نفى المماثلة لله تعالى عن طريق الكناية ، لأن نفى المشابهة للمثل نفى لمشابهة غير الله له.

---

(١) سورة الإنسان ٢٨.

(٢) ينظر الكشاف ٤/ ٥٦.

(٣) سورة الفجر ٧ ، ٨.

(٤) سورة الشورى ١١.

ومما يشهد لدلالة (مثل) على تمام المماثلة ، وأنها فى الجنس وجميع الصفات أن العرب كثيرا ما تكنى بالكلمة (مثل) عن الذات . ومثاله : أن تقول : مثلى لا يقال له هذا . أى أنا لا يقال لى هذا [1].

قال الفرزدق:

وتقول كيف يميل مثلك للصبا

وعليك من سمة الكبير عذار [2]

أى تميل أنت.

ومن هذا القبيل قول السابق (طرفة بن العبد):

على مثلها أمضى إذا قال صاحبى

ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى[3]

(على مثلها) يريد ناقته أى عليها أمضى..

ومنه أيضا قول الشماخ :

على مثلها أقضى الهموم إذا اعترت

إذا جاش هم النفس منها ضميرها[4]

(على مثلها) أى عليها ، على حد قولك : مثلك يحمى الحريم. أى أنت تحمى الحريم.

---

(1) ينظر الكشاف ٤٦٢/٣ والبحر المحيط ٥١٠/٧.

(2) ديوان الفرزدق ٣٧٢/١ وفى الشعر والشعراء ٤٩٣/١.

(3) البيت فى شرح المعلقات السبع الطوال ١٨٢. والضمير فى (منها) للفلاة. وجاء به مع عدم تقدم ذكرها لدلالة المعنى عليه كقوله تعالى : ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ سورة ص ٣٢.

(4) ديوان الشماخ ١٦٩.

(بقاء ما يقع به التعدد) :

إذا كان الأصل فى المماثلة الاتفاق فى الجنس والصفة فإنه لا يمنع المماثلة أو بعض منها وجود اختلاف فى بعض الصفات . لأن هذا أمر يقتضيه التغاير بين الأشياء.

٥٥- قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[١].

قال الزمخشرى : " على مثله – الضمير للقرآن ، أوعلى مثله فى المعنى ، وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن ، من التوحيد ، والوعد ، والوعيد ، وغير ذلك ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾[٢] وقوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾[٣]"[٤].

والمعانى وإن كانت متطابقة بين المتماثلين : القرآن ، والكتب السابقة من حيث اشتمالها على جوهر التوحيد ، والإسلام لله تعالى والدعوة إلى مكارم الأخلاق إلا أن فيه تميزا بينها فى خصوص المناسبة والمنزل عليه ، وأمة الرسول ، وغير ذلك من الصفات التى تخص كل واحد دون الآخر .

فالمثلية لا تنافى بقاء ما يدل على تميز لطرفين ، لاستحالة اتفاقهما فى كل شئ ، وإلا كانا شيئا واحدا . لذلك فإنه عندما تأخذ المماثلة تمامها فلن يغيب عن المدقق أن يلحظ ما بين المتماثلين من اختلاف مهما تماثلا.

---

(١) سورة الأحقاف ١٠.

(٢) سورة الشعراء ١٩٦.

(٣) سورة الأعلى ١٨

(٤) الكشاف ٥١٨/٣.

(**اختلاف المثلين فى النوع**) :

وإذا كانت المثلية تقتضى الاتفاق فى الجنس والصفة ، فإنه لا يستعين أن يكون طرفاها متفقين فى النوع ، إذ لا يمتنع تحققها مع اختلافهما.

٥٦- قال تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

قوله تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن) المماثلة فى الجنس والصفة من حيث كونهما واجبين ، لا ينبغى التفريط فيهما من الزوج والزوجة وإن كان الواجبان مختلفين من حيث النوع . فنوع الواجب على الزوج غيره على الزوجة.

قال الزمخشرى : " والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب للواجب فى كونه حسنة، لا فى جنس الفعل ، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه ، أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك . ولكن يقابله بما يليق بالرجال "[٢].

وكلامه وإن أفهم اختلافهما فى الجنس ، إلا أنّ الجنس الذى قصده هو الداخل تحت جنس الواجب ، والذى صرح به أول كلامه.

وقد ذكر أبو حيان ضروبا من المعانى للمثلية فى الآية تفيد تحقق المثلية فى الجنس والصفة[٣].

[٢٢][*] – قال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة ٢٢٨.

(٢) الكشاف ٣٦٦/١.

(٣) ينظر البحر المحيط ١٨٩/٢.

(*) وضع الرقم بين معقوفين للدلالة على سبق الاستشهاد بالآية تحت هذا الرقم لكلمة التشبيه نفسها.

(٤) سورة الأنعام ١٦٠.

قال أبو حيان : " لا يلزم فى المثلية أن تكون فى النوع ، بل يكفى أن تكون فى قدر مشترك ، إذ النعيم السرمدى والعذاب المؤبد ليسا مشتركين فى نوع ما كان مثلاهما ، لكن النعيم مشترك مع الحسنة فى كونهما حسنتين. والعذاب مشترك مع السيئة فى كونهما يسوءان"[١]

فالجنس الذى يحصل فيه الاتفاق هو جنس الحسنة، وجنس السيئة. وان اختلفا فى النوع لأن حسنة العبد حسنة دنيوية ، وكذلك سيئته . فهما غير دائمتين، بخلاف الجزاء عليهما.

(المبالغة فى الدلالة على المماثلة) :

عندما يتحقق للمماثلة كمالها قد يسلك بكلمة (مثل) مسلك المبالغة فى الدلالة على المماثلة ، بأن يقلب الحكم بها فيجعل ما شأنه أن يكون محكوما عليه محكوما به . وجاء ذلك فى آية واحدة.

٥٧- قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٢]

" إنما البيع مثل الربا " هذه مقالة الكافرين الذين يحلون ما حرم الله ، ادعوا المماثلة بين الربا ثم بالغوا فى إثبات هذا الادعاء وعكسوا بجعل البيع مثل الربا.

قال الزمخشرى : " فإن قلت : هلا قيل : إنما الربا مثل البيع لأن الكلام فى الربا لا فى البيع ... قلت : جئ به على طريق المبالغة ، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحال حتى شبهوا به البيع"[٣].

---

(١) البحر المحيط ٢٦١/٤.

(٢) سورة البقرة ٢٧٥.

(٣) الكشاف ٣٩٩/١.

وكلام الزمخشري واضح في أن المجيء بـ (مثل) لتشبيه البيع بالربا في الحل ، وجاء هذا التشبيه معكوسا لإفادة المبالغة في هذه المشابهة ، فمثل بمعنى (الكاف) لمجرد التشبيه في صفة.

وكلام ابن المنير تعقيبا على ما ذكره الزمخشري على أن مآل اختلاف وضع الطرفين في الجملة إلى مقصد واحد من إثبات الحكم على طريق قياس الطرد أو العكس ، فليس فيه حاجة إلى اعتبار أحدهما خارجا عن الظاهر لعذر المبالغة(١).

على أني أرى أن الإتيان بـ (مثل) دون الكاف للدلالة على تمام المماثلة بين الربا والبيع في كونهما عقدين ، فهما من جنس واحد وفيهما من منافع المبادلة، وكذلك الحل، فهما على حد سواء على حسب مدعاهم ، ثم بالغوا في إثبات هذه المماثلة بجعل الفرع أصلا والأصل فرعا . والله أعلم .

(**المماثلة بين الأفعال**) :

كما تأتي (مثل) للحكم بالمماثلة بين الذوات ، تأتي – أيضا – للحكم بالمماثلة بين الأفعال والأحوال ، المدلول عليها بالفعل أو المصدر صريحا أو مؤولا، شأنها في ذلك شأن الكاف. غير أن (مثل) تختلف بحكم طبيعة دلالتها على الاتفاق في الجنس والصفة . إذ يتعين عند الحكم بها المماثلة بين الفعلين في صفاتهما وخصائصهما ، لا في مجرد الوقوع كما هو حال الكاف في أحد استعماليها كما سنبين ذلك في مبحثها إن شاء الله.

يجلي لنا ذلك الشواهد الآتية :

٥٨– قال تعالى : ﴿ وَلاَ تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّه أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّه يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢).

---

(١) الانصاف فيما تضمنه الكشاف ١/٣٩٩.

(٢) سورة آل عمران ٧٣.

قوله : (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) المماثلة فيه تحتمل : إما أن تكـون بين المصدرين على معنى إخبار الرسول ﷺ- أمته بأن الله لا يعطـى أحـدا ولا أعطى فيما سلف مثل عطائه أمة محمد من الإسلام والهدى، أو كونها أمة وسطا. فالمماثلة بين العطاءين فى الجنس والصفة من خصوصية الفضل والتكريم.

وأما أن تكون (مثل) صفة لموصوف محذوف (اسـم ذات) وليـست صفة للمصدر. أى أن يؤتى أحد كتابا مثل الكتاب الـذى أعطـاه الله لكـم. والمماثلة أيضا فى الجنس والصفة . أى كتابا من جنس القرآن وعلـى صـفته: بلاغة، ودقة أحكام وتشريع.

وهذان الاحتمالان المذكوران من كون المماثلة بين الأفعال أو بين الذوات يجريان أيضا مع كون هذا الكلام (أن يؤتى أحد ..) حكاية لـما قالـه اليهـود لبعضهم [١].

٥٩- قال تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَـذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٢].

قوله (سأنزل مثل ما أنزل الله) حكاية لقول كاذب . والمعنى : أى يكون منى إنزال كلام كانزال الله – حسب زعمكم – على محمـد . فالمماثلـة بـين الفعلين. ويؤيده كونه لا يعتقد أن الله أنزل شيئا ، ولفظ (ما) . عندئذ موصول حرفى . وتسميته ما يأتى به إنزالا مجاز ، لأن المعنى على نظمـه كلامـا كـنظم القرآن [٣] فالمماثلة ليست فى مجرد الفعل ، بل مع صفته.

---

(١) ينظر جامع البيان ٣/٣١٣ والبحر المحيط ٢/٤٩٤.

(٢) سورة الأنعام ٩٣.

(٣) ينظر البحر المحيط ٤/١٨٠.

ويصح كون (ما) اسما موصولا مرادا به القرآن الكريم ، وتكون المماثلة بين ما يؤلفه وبين القرآن الكريم فى الجنس ، لكونهما كلاما عربيا، وفى الصفة من البلاغة ودقة النظم.

٦٠- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾[1].

تحكى الآية الكريمة مقالة الكافرين المعاندين ، وتعليقهم إيمانهم على أن يؤتوا مثل ما أوتى رسل الله ، أى أن يكون إيتاء الله لهم مماثلا لإيتائه رسله من المعجزات ، فيحيى لهم الأموات ويفلق لهم البحر ونحو ذلك[2].

فالمماثلة بين الفعلين فى الجنس ، فكلاهما عطاء ، وكذلك فى صفة هذا العطاء والفضل بأن يكون على صفة ما أعطى رسله.

أو أن تكون المماثلة بين ذاتين أى أن نؤتى كتابا مثل الكتب التى يؤتيها الله رسله ، لأن الرسل – على حسب زعمهم – قاتلهم الله – ليسوا أفضل منهم.

٦١- قال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾[3].

أى قالوا قولا مثل قول الأولين وهو قولهم : أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون.

والمماثلة بين الفعلين أقرب، وقد مال إلى ذلك الزمخشرى قال " أى قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم " [4] أى كقول الكفار قبلهم . بصفته التى

---

(1) سورة الأنعام ١٢٤.

(2) ينظر البحر المحيط ٢١٦/٤.

(3) سورة المؤمنون ٨١.

(4) الكشاف ٤٠/٣.

كانت له . فمثل دلت على أن المماثلة ليست فى مجرد كونهما قـولين وإنمـا فى خصوصيات هذا القول.

ومجئ (مثل) للدلالة على المماثلة بين الأفعال كثير فى الشعر من ذلـك قول سويد بن أبى كاهل عن حاسده:

لم يضرنى غير أن يحسدنى
فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع[1]

فالمماثلة بين فعلين جنسا وصفة .

وقال أبو عرار عمرو بن شاس يوصى زوجته بابنه.

فان كنت منى أو تريدين صحبتى
فكونى له كالسمن ربت له الأدم
وإلا فبينى مثل ما بان راكب
تيمم خمسا ليس فى سيره أمم [2]

أى بينى بينا مماثلا بين راكب ليس فى سيره قصد.

وقال كعب بن زهير يرفع من شأن الحطيئة !!

فمن للقوافى شأنها من يحوكها
إذا ما مضى كعب وفوز جرول
كفيتك لا تلقى من الناس واحدا
تنخل منها مثل ما يتنخل
يثقفها حتى تلين كعوبها
فيقصر عنها من يسئ ويعمل [3]

([1]) يزقو: يصيح – والضوع : ذكر البوم – والبيت فى الشعر والشعراء ٤٢١/١.

([2]) الأدم : النحى ، أى كونى له كسمن رب أديمه ، أى طلى برب التمر – الخمس : من أظماء الابل ، وهو أن ترد الابل الماء اليوم الخامس، الأمم : القرب والقصد . والبيتان فى الشعر والشعراء ٤٢٥/١.

([3]) الأبيات فى الشعر والشعراء ١٥٦/١. وقد قالها كعب بعد أن طلب منه الحطيئة أن يذكره فى شعره ليذكره الناس به.

وهكذا ...

وقد يؤتى بكلمة (مثل) للدلالة على المماثلة بين المختلفين من حيث كون أحدهما ذاتا والآخر فعلا.

٦٢- قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[١].

(انه لحق) الضمير هو المشبه ، وهو عائد على الكلام السابق، فتكون المماثلة فى الجنس والصفة من حيث إن الطرفين فيه اشتركا فى جنس القول، وفى الصفة من حيث كونهما حقا.

وعبارات العلماء تدل على ذلك . قال الطبرى: "يقول تعالى ذكره ، مقسما لخلقه بنفسه ، فورب السماء والأرض إن الذى قلت لكم أيها الناس إن فى السماء رزقكم وما توعدون لحق كما حق أنكم تنطقون"[٢].

وقال الزمخشرى : " هذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق، وأمر النبى ﷺ، أو إلى ما توعدون "[٣].

ويذكر أبو حيان وجوها لعود الضمير ، لم يستظهر فيها عوده إلى مثل ما ذهب إليه الطبرى والزمخشرى قائلا : " والضمير فى (إنه) عائد على القرآن، أو إلى الدين فى قوله (وان الدين لواقع) أو إلى اليوم المذكور فى قوله (أيان يوم الدين) أو إلى الرزق ، أو إلى الله ، أو إلى النبى ﷺ، أقوال منقولة . والذى ظهر أنه عائد على الإخبار السابق من الله تعالى فيما تقدم فى هذه السورة من صدق

---

(١)سورة الذاريات ٢٣.

(٢)جامع البيان ٢٦/ ٢٠٦.

(٣)الكشاف ١٧/٤.

الموعود ووقوع الجزاء ، وكونهم فى قول مختلف. وقتل الخراصون وكينونة المتقين فى الجنة على ما وصف ، وذكر أوصافهم وما ذكر بعد ذلك . ولذلك شبه فى الحقيقة بما يصدر من نطق الإنسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام "[١].

وقد أطلت تفصيل ذلك بنقول من كلام السلف لبيان دلالة (مثل) على المماثلة فى الجنس والصفة بين الأفعال فى الآية المذكورة على الوجه الظاهر من كون الضمير عائدا على فعل ومعنى من المعانى.

أما بعض الوجوه الأخرى من عود الضمير على الله ، أو النبى ، أو الرزق إلى آخر ما قيل .. فإن (مثل) معها لا تفيد المماثلة فى الجنس ، كما هو واضح من حقيقة الطرفين . فتكون المماثلة غير تامة.

ولعل أبا حيان استظهر عود الضمير على الإخبار السابق الذى أداته الكلام اعتمادا على دلالة (مثل) من كونهم قالوا : أنها تدل على الاتفاق فى الجنس والصفة . ويكون مرجع تضعيف الوجوه الأخرى فى إرجاع الضمير ترتب عدم الاتفاق فى الجنس عند الإخبار بمثل . وهو ما يخالف أصل دلالتها.

وإنما نجزم بأن هذا ما حمل أبا حيان على ذلك لأن له رأيا فى دلالة (مثل) سنعرفه فيما يأتى . ويجرى ما ذكرنا مع وجوه الإعراب فى (مثل) سواء كانت مرفوعة صفة لحق ، أو كانت بالفتح على أنها مع (ما) فى موضع رفع صفة – أيضا– لحق ، أو كانت فتحة نصب صفة لمصدر محذوف[٢].

رأى أبى حيان فى دلالة (مثل) :

يذهب أبو حيان إلى أن (مثل) تدل على مطلق الاتفاق ولو فى جهة واحدة، فلا يتعين فى دلالتها الاتفاق فى جميع الصفات ما عدا ما يقع به التمايز – كما سبق – من بيان دلالتها.

---

(١) البحر المحيط ١٣٦/٨.

(٢) ينظر الكتاب ١٤٠/٣ والخصائص ١٨٢/٢.

فعند تفسيره قول الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [١].

– يقول : " المماثلة تقع بأدنى مشابهة " ويكرر ذلك فى مواضع مختلفة [٢].

وقد سبقه الزمخشرى بمثل ذلك قائلا " المماثلة مشاركة فى بعض الأوصاف"[٣] لكن يبدو أنه أطلق المماثلة وأراد بها المشابهة على سبيل التوسع فى العبارة ، والمشابهة يكفى فيها بعض الأوصاف.

والذى يدل على هذا القصد أن كلامه هذا جاء فى سياق تفسيره قول الله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٤].

فقد بين ما تفيده الكاف فى الآية لا ما تفيده (مثل) لأنها ليست موجودة فى الآية ، وإنما الموجود كلمة (مثل) بفتح المثلثة بمعنى (صفة) فالكاف أفادت مشابهة عيسى لآدم فى خرق العادة عند الخلق ، فأطلق الزمخشرى المماثلة مريدا المشابهة التى يكفى فيها بعض الأوصاف.

والذى نرتضيه ما سبق أن قررناه وقال به العلماء ، من أن المماثلة تفيد الاتفاق فى الجنس والصفة.

قال أبو هلال عن مثل الشئ : " لا يكون مثله فى الحقيقة إلا إذا أشبهه من جميع الوجوه لذاته"[٥].

---

(١) سورة البقرة ٢٣.

(٢) البحر المحيط ١٠١/١ وانظر ٣٦٧/١، ٦٢/٣.

(٣) الكشاف ٤٣٣١.

(٤) سورة آل عمران ٥٩.

(٥) الفروق فى اللغة ١٤٩.

وجاء في عروس الأفراح " لفظ المثل دال على المساواة بين الشيئين إلا فيما لا يقع التعدد إلا به ، هذا حقيقته . ويستعمل مجازا فيما دون ذلك"[١].

لكن البهاء السبكي اتبع ذلك ببعض الآيات قائلا : إنما أفادت التشبيه في شيء واحد لا من كل وجه [٢] مع أن بعض هذه الآيات تفيد المماثلة في الجنس والصفة ، كما سبق أن استشهدنا بها على دلالة (مثل) على تمام المماثلة. كقوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[٣].

وقوله تعالى:﴿ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾[٤]وقوله تعالى:﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [٥]وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[٦]

أما بعض الآيات الأخرى فواضح فيها دلالة (مثل) على الشبه في صفة. فتكون على سبيل المجاز . من إطلاق دلالتها على الاتفاق في الجنس والصفة إلى مجرد الاتفاق في صفة.

وهذا الضرب الثاني وهو ماكان القصد فيه إلى الحكم بالمماثلة في صفة . فتكون على سبيل المجاز. من إطلاق دلالتها على مجرد الاتفاق يتنوع إلى نوعين : لأن الطرفين فيه قد يكونان متماثلين أيضا في الجنس ، وقد يكونان مختلفين فيه.

فمن شواهد النوع الأول ما يأتي :

---

(١) عروس الأفراح : شروح ٣٩٣/٣.

(٢) المرجع السابق الموضع نفسه.

(٣) سورة البقرة ٢٣.

(٤) سورة البقرة ١٩٤.

(٥) سورة البقرة ٢٢٨.

(٦)سورة البقرة ٢٧٥

٦٣- قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1].

(إنكم إذا مثلهم) أى فى الإثم والمعصية . ذكر أبو حيان عن ابن عطية قوله: وهذه المماثلة ليست فى جميع الصفات ، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة"[2].

وهذا الكلام معناه أن الاتفاق فى الصفة دون الجنس ، لكن يبدو أن (مثل) هنا تدل على المماثلة فى الصفة الدالةعلى الاتفاق فى الجنس –أيضا– لأنهما اتفقا فى النفاق والكفر . لأن القعود معهم وقت الاستهزاء رضا بالكفر والراضى بالكفر كافر[3].

ولا ضير إذا راعينا هذا الاعتبار أن تكون المماثلة تامة ، ويكون استعمال (مثل) حقيقة فى دلالتها . لأن الاتفاق فى صفات الكافرين وتحقق ذلك فى الطرفين يقتضى كونهما جنسا واحدا ، والمماثلة بينهما حقيقة.

٦٤- قال تعالى : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [4].

(ولا ينبئك مثل خبير) هذا من الإيجاز فى العبارة [5].

قال الزمخشرى : ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم بـه ، يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به"[6].

([1]) سورة النساء ١٤٠.

([2]) البحر المحيط ٣/٣٧٤.

([3]) ينظر الكاشف ١/٥٧٢ .

([4]) سورة فاطر ١٤.

([5]) ينظر دلائل الإعجاز ٣٣٠.

([6]) الكشاف ٣/٣٠٤ .

فالمماثلة على سبيل النفى أى لا يماثل الجاهل بحقيقة الأمر من يعلمه ويخبر به فى صحة الإخبار بالحقيقة.

فالمماثلة فى صفة وهى المنظور إليها والمقصودة من العبارة ، ولا ينظـــر إلى الجنس وان اتفق الطرفان فيه من حيث الإنسانية وصفتهما ومن حيـــث القيـــام بالأخبار.

وأن أريد بالخبير الله تبارك وتعالى فالاختلاف ذاتا واضح . ويكون القصد إلى الصفة وهى دقة الإخبار بالأمر على سبيل نفيها . أي نفي مماثلة غير الخبير لله تعالى.

قال الطبرى : وذلك الخبير هو الله الذى لا يخفى عليه شئ كان أو يكون سبحانه "[١].

وذكر هذا –أيضا– أبو حيان عن المفسرين ، ثم حكى عن ابن عطيـــة أن تكون الجملة من تمام ذكر الأصنام وأنها المرادة بكلمة خبير [٢].

ويكون الجنس أيضا مع هذا الاحتمال مختلفا.

ومما هو على طريقة الآية مع اختلاف الجنس قول عمرو بن كلثوم:

وما منع الظعائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلينا[٣]

أى ليس فيه شئ يماثل الضرب فى منع الظعائن وصونها .

وقول الشماخ :

ولم يهسل أمرا مثل أمر صريحة إذا حاجة فى النفس طال اعتراضها [٤]

---

(١) جامع البيان ١٢٦/٢٢ .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣٠٥/٧ .

(٣) البيت فى شرح القصائد السبع الطوال ٤٢٥ . والقلين : جمع قلة وهى خشبة يلعب بها الصبيان.

(٤) ديوان الشماخ ٢١٥ .

المعنى : أنه إذا كان هناك أمر يقلق النفس فإنه لا يسليها عنه إلا عزيمة صارمة. أي ليس فيه شيء يماثل العزيمة في تسلية النفس.

٦٥- قال تعالى : ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[1]

(لا يكونوا أمثالكم) أي في الخلاف والتولي والبخل . فنفى المماثلة في هذه الصفات ، وقيل في هؤلاء : هم الملائكة ، وقيل : هم الأنصار وقيل : فارس والروم إلى غير ذلك [2].

فعلى القول بأنهم قوم من البشر تكون المماثلة في الجنس محققة لكن القصد لا يتجه إليها وإنما إلى الصفة التي أريد نفي المماثلة فيها. فيكون المعنى على نفي المماثلة في الصفة لا نفي الجنس معها.

أما على القول بأنهم الملائكة فتكون المماثلة المنفية في الصفة دون نظر إلى الجنس ؛ لأن الجنس بطبيعته ليس فيه اتفاق.

أما النوع الثاني : وهو ما قصد فيه الحكم بالمماثلة في صفة مع اختلاف الجنس فمنه ما يأتي :

٦٦- قال تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾[3].

(أن أكون مثل هذا الغراب) تخبر الآية الكريمة بندم قابيل على قتل أخيه هابيل، وتمنيه أن لو كان مثل الغراب في معرفة ما ينبغي أن يكون في مثل حالته

([1]) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٣٨ .

([2]) ينظر الكشاف ٣/٥٤٠ والبحر المحيط ٨/٨٦.

([3]) سورة المائدة ٣١.

فيوارى سوأة أخيه ، فالمشابهة فى صفة والجنسان مختلفان . وهـذا الاخـتلاف ، والتباين مع ما للإنسان من تميز هو الذى ألهب فى نفسه نار الندم ، والحزن لفقد إلهام الفطرة لما ينبغى أن يكون فى هذا الموقف. والصفة هنا صفة معنوية . ومـا جاء فى الشعر من قبيل ذلك كثير . قال الأعشى يمدح قوما :

قوما بيوتهم أمن لجارهم

يوما إذا ضمن المحضورة الفزعَا

وهم إذا الحرب أبدت عن نواجزها

مثل الليوث وسم عاتق نقعا (١)

فـ (مثل) دلت على المماثلة بين هؤلاء وبين الليوث والـسم فى صـفة الجرأة ، وشدة الإصابة والقتل . والبعد بينهما فى الجنس واضح وقال حسان:

وقافية مثل السنان رزئتها

تناولت من جو السماء نزولها

فقالت ابنته :

يراها الذى لا ينطق الشعر عنده

ويعجز عن أمثالها أن يقولها(٢)

فمثل فى البيت الأول تدل على المماثلة فى صفة القـوة والمـضاء دون أن يكون بين المتماثلين اتفاق فى الجنس .

وفى الثاني – وهى بصيغة الجمع – تدل على المماثلة فى الجنس والـصفة. وقد تكون كلمة (أمثال) جمع (مـثَل) بفتح المثلثة. بمعنى الحكمة ، وعليه فلا شاهد فيها.

---

(١) ديوان الأعشى ١٠٨ . والمحضورة الجماعة الحاضرة والسم العاتق القوى القاتل.

(٢) البيان فى الشعر والشعراء ١/٣٠٧.

٦٧- قال تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[١].

(كأمثال) جمع (مثل) والنظر فى المماثلة من عدة وجوه : من ناحية دلالة الآية على المماثلة دلالة حقيقية ، أو مجازية. ومن ناحية مجئ لفظ (مثل) جمعا، ومن ناحية اجتماعها مع الكاف واحتمال زيادة إحداهما.

أما من الناحية الأولى – وهى غرضنا الآن – فقد جاءت (مثل) للدلالة على الشبه فى الصورة المشاهدة، التى تجمع بين الحور واللؤلؤ. وتعنى بها الصفاء والتلألؤ، والذى أكدها إتباع اللؤلؤ بصفة الكَنّ والحفظ (مكنون) قال أبو حيان: " وصف اللؤلؤ بالمكنون لأنه أصفى وأبعد من التغير "[٢].

وواضح أن بين المحكوم بينهما بالمماثلة اختلافا فى الجنس.

فالمماثلة هنا ليست كاملة . فالإتيان بكلمة (مثل) خروج بها عن أصل دلالتها ، وتجوز بها فى هذه الدلالة.

وهذه شواهد من الشعر جاءت فيها (مثل) للدلالة على الاتفاق فى الصورة المشاهدة مع اختلاف الطرفين فى الجنس على سبيل المجاز.

قال لبيد :

تأوى إلى الأطناب كل رذية   مثل البلية قالص أهدامها [٣]

يشبه حال المرأة من النساء اللاتى يلجأن إليه فى الشدة ، وقد أرذلها أهلها وألقوها بالناقة التى تعقل عند قبر صاحبها ، فى هيئة الرثاثة والإهمال.

فالاتفاق فى الصورة المشاهدة مع اختلاف جنس الطرفين . فالمماثلة ليست حقيقية.

---

(١) سورة الواقعة ٢٢، ٢٣.

(٢) البحر المحيط ٢٠٦/٨ .

(٣) شرح القصائد السبع الطوال ٥٨٩ .

وقال الأعشى يصف ناقته :

وألواح رهب كأن النسو ع ابن لى الدف منهـــا سطارا
ودأيا تلاحقن مثل الفؤو س لاحم منها السليل الفقارا [١]

شبه حلق فقارها فى صورته بالفؤوس الموضوعة بجوار بعضها وليس بـــين الطرفين مماثلة فى الجنس.

وقال عنترة يصف الناقة – أيضا – :

أبقى لها السفار مقرمدا سندا ومثل دعائم المتخيم [٢]

يشبه ناقته فى ضمورها ونحولها الظاهر فوق أرجلـــها الطـــوال بالخيمـــة ودعائمها. فكلمة (مثل) دلت على اتفاق أرجل الناقة ودعائم الخيمة فى الهيئـــة والصورة.

وقال الشماخ يصف شَعْر امرأة :

قامت تريك أثيث النبت منسدلا
مثل الأساود قد مسحن بالفاق [٣]

(مثل الأساود) دلت (مثل) على مماثلة الشَّعْر للحيـــات الـــسوداء فى الصورة المشاهدة من الاستطالة والسواد واللمعان ، ولا تدل على الاتفـــاق فى الجنس لأنهما مختلفان.

ولعل بهذا البيان يكون قد تجلى لنا الفرق بين دلالة (مثل) علـــى معـــنى (شبه) عند استعمالها فى دلالتها الحقيقية . إذ تكون دلالتها على الهيئة والصورة

---

(١) ديوان الأعشى ٨١. والرهب : الناقة المهزيلة . والدأى: حلق الفقار. تلاحقن : تلازمن. السليل: السنام.

(٢) شرح القصائد السبع الطوال ٣٢٨ .

(٣) ديوان الشماخ ٢٥٣. والمفردات أثيث: كثيف غزير– الأساود : الحيات فيها سواد – الفاق: البان أو الزيت المطبوخ ، وقيل : المشط .

داخلة فى إطار دلالتها على الاتفاق فى الجنس وجميع الصفات ما عدا ما يقع بـه التمايز كالشاهد (٤٢) فى قوله تعالى : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِه ﴾[1]– وبـين دلالتها عليه عند استعمالها فى مطلق المماثلة استعمالا مجازيا ، فتدل مثـل علـى الهيئة والصورة دون الاتفاق فى الجنس كالشاهد (٦٧) فى قوله تعالى : ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[2].

مجئ (مثل) بصيغتى التثنية والجمع :

يدل كلام سيبويه أن للوصف بكلمة (مثل) وجوها مختلفة من الدلالـة على المماثلة تبعا لصيغتها إفرادا وتثنية وجمعا .

قال : " ومن النعت – أيضا – مررت برجلين مثلين ، فتفسير المثلين : أن كل واحد منهما مثل صاحبه ، ومثل ذلك سيان وسواء . ومنه مررت بـرجلين مثلك ، أى كل واحد منهما مثلك. ووجه آخر على أنهما جميعا مثلـك وكـل ذلك جر"[3].

وفى ضوء هذا نجلى هذه المعانى لصيغ (مثل) الثلاث :

صيغة الافـراد :

عندما تجيء (مثل) مفردة ، قد يكون الطرفان مفردين ، مثـل : مـررت برجل مثلك ، فالمعنى الذى تدل عليه العبارة هو مماثلة أحد الطـرفين للآخـر ، ومن شواهد ذلك :

[٤٧] قوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِه إن كَانُوا صَادِقِينَ﴾[4].

[٢٤] وقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[5].

---

(1) سورة طه ٥٨ .

(2) سورة الواقعة ٢٣ .

(3) الكتاب ٤٣/١ .

(4) سورة الطور ٣٤.

(5) سورة غافر ٤٠.

وقد يكون الطرفان جمعا . مثل مررت برجال مثلكم فيكون المعنى أى كل واحد منهم رجل كما أن كل واحد منكم رجل ومن شواهد ذلك :

[١٣] قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾[١] أى كل واحد منكم بشر كما ترون بشرية كل واحد منا . ومما هو من قبيله :

[٦٣] قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ ﴾[٢].

وقد يكون الطرفان مختلفين ، فان كان المحكوم عليه بالمماثلة جمعا أو مثنى والممثل به مفردا مثل : مررت برجال مثلك ، أو برجلين مثلك فالمعنى – كما قال سيبويه – كل واحد منهما مثلك ، فمثل مفردة بمعنى الجمع. وهو الوجه لى:

[٤٥] قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾[٣].

قال الزمخشرى : " مثله – بمعنى أمثاله ، ذهابا إلى مماثلة كل واحدة منها له" [٤] وأيضا :

[١٨] فى قوله تعالى : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ [٥].

[٣٧] وقوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ [٦] اى ليت كل واحد مثله.

والوجه الآخر أن يكون الرجلان أو الرجال جميعا مثله . ومما هو من قبيل ذلك :

---

(١) سورة إبراهيم ١٠ .

(٢) سورة النساء ١٤٠.

(٣) سورة هود ١٣.

(٤) الكشاف ٢٦١/٢ .

(٥) سورة المؤمنون ٤٧.

(٦) سورة القصص ٧٩.

[٤٦] قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [١] فإن المعنى – والله أعلم بمراده – لو برزت الجن واجتمعت معهم الإنس وتظاهروا ، وبذل كل منهم ما فى وسعه للإتيان بمثل القرآن فى حسن نظمه وبلاغته ، فإن كل ما يأتون به – على فرض وجوده – لن يكون مثل القرآن. وليس المعنى فى هذه الآية نفى مماثلة ما يأتى به الجن للقرآن ، وما يأتى به الإنس – أيضا – للقرآن . لأن قرائن السياق من قوله : لئن اجتمعت الإنس والجن .. وقوله : ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا – تدل على أن المعنى نفى كون ما يأتون به مجتمعا مماثلا للقرآن.

ويجرى – أيضا – هذان الوجهان فيما كان فيه المحكوم عليه بالمماثلة مفردا والممثل به مثنى أو جمعا ، مثل : مررت برجل مثلكما أو مثلكم. أى هو مثل لكل واحد ، أو مثل لهم جميعا.

ومن شواهد ذلك :

[١٢] قوله تعالى : ﴿ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا ﴾ [٢] أى أنت تماثل كل واحد منا فى البشرية.

وعلى الوجه الثانى [٣٠] قوله تعالى ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾[٣] فالمعنى – والله أعلم – أى للذكر نصيب مماثل لما تأخذه امرأة وأخرى . فالمضاف الممثل به وهو (حظ) فى معنى المثنى لكونه مضافا إلى الانثيين فهو فى تأويل حظين ماثلهما معا حظ الذكر.

---

(١) سورة الإسراء ٨٨.

(٢) سورة هود ٢٧.

(٣) سورة النساء ١١.

صيغة التثنية :

إذا جاءت (مثل) بصيغة التثنية فإن للمحكوم عليه بالمثلية إحدى حالين: أن يكون واحدا لا تعدد فيه ، مفردا كان أو جمعا منظورا إليه باعتباره وحده شيئا واحدا . أو أن يكون متعددا بلفظ المثنى أو على سبيل العطف.

الحالة الأولى : وتدل (مثل) فيها على الحكم بالمماثلة على سبيل التضعيف ، فتكون مرتبطة بالأعداد والمقادير.

والشاهدان اللذان جاءا في القرآن الكريم لهذه الحالة هما :

٦٨- قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ ﴾[١] (يرونهم مثليهم) المعنى – والله أعلم- ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلى أنفسهم في العدد فيكون ذلك أبلغ في الآية. أو يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم[٢]. فتضعيف المثلية مرتبط بالعدد .

٦٩- وقوله تعالى﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣] (أصبتم مثليها) أى ضعف مقدارها من القتل والأسر بفضل الله تعالى . ورحمته لكم[٤].

الحالة الثانية : أن يكون المحكوم عليه متعددا ، فتكون (مثل) للدلالة على المماثلة بين أفراد الطرفين . وهذا مثل:

---

(١) سورة آل عمران ١٣.

(٢) ينظر الكشاف ٤١٥/١ والبحر المحيط ٣٩٤/٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٦٥.

(٤) ينظر البحر المحيط ١٠٦/٣.

أنتما مثلان ، وزيد وخالد مثلان . فالحكم هنا بمماثلة كل واحد منها للآخر.

ونقول : مر زيد وخالد بمثليهما . أى برجلين كل رجل منهما يماثل واحدا منهما، أو رجلين معا يماثلان زيدا وخالدا معا . وليس لهذه الحالة شواهد فى القرآن الكريم.

صيغة الجمع :

ذكر أبو حيان صحة مجىء (مثل) مفردة ومثناة ومجموعة مع كون المحكوم عليه بها مثنى أو جمعا ، مع كون إفرادها على نية التثنية أو الجمع . وعبارته : "ومثل يوصف بها المفرد والمثنى والجمع، كما قال تعالى : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [1] وتجوز المطابقة فى التثنية والجمع كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[2] ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[3] وإذا افرد وهو تابع لمثنى أو مجموع فهو بتقدير المثنى والمجموع ، أى مثلين وأمثال ..."[4].

هذا كلامه ولم يتعرض فيه لما وراء المجىء بها مطابقة أوغير مطابقة من نكات. وقد تقدم لنا الحديث عن مجيئها مفردة ومثناه. وبقى أن نعرف نكتة المجىء بها مجموعة فى شواهدها السبعة فى القرآن الكريم.

والذى يبدو من الإحساس بالمعنى لهذه الشواهد بمعونة القرائن أنها جاءت بصيغة الجمع للمعانى الآتية :

---

(1) سورة المؤمنون ٤٧.

(2) سورة محمد ٣٨.

(3) سورة الواقعة ٢٢، ٢٣.

(4) البحر المحيط ٥/٢٠٨ .

الأول : **تضعيف العدد** :

[٢٢] قال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾[١].

(فله عشر أمثالها) جاءت (مثل) بصيغة الجمع لمناسبة تضعيف الجزاء المدلول على عدده بلفظ (عشر) وليست (أمثالها) فى الأصل تمييزا للعدد عشر فيقال : أن هذا هو الذى اقتضى صيغة الجمع . لأن (أمثالها) فى الأصل صفة للتمييز المحذوف. قال الزمخشرى : " عشر أمثالها – على إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف ، تقديره عشر حسنات أمثالها"[٢].

إذا لا يتعين فى الأصل مجىء (مثل) جمعا ، لأنه لو قيل فى غير القرآن الكريم : عشر حسنات مثلها لجاز، لكن المجىء بالجمع فيه مراعاة لتكثير الجزاء وتضعيفه ، والله أعلم.

الثانى : **الدلالة على أنواع الجنس** :

أتت (مثل) بصيغة الجمع لتدل على الجنس وأنواعه بمساعدة المقام والسياق فيما يأتى :

٧٠- قال تعالى ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[٣].

المجىء بصيغة الجمع (أمثالكم) لإفادة ما يدل عليه الجمع من تنوع أفراده بخصائص وصفات مختلفة . ذلك لأنه لو قيل فى غير القرآن الكريم: إلا أمم مثلكم بصيغة الفرد المنوى بها الجمع لدلت على المثلية فى الأممية فقط. أما صيغة الجمع (أمثالكم) فقد دلت مع دلالتها على التعدد على تنوع أمم جنس

---

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

(٢) الكشاف ٢/٦٤ .

(٣) سورة الأنعام ٣٨.

الدواب وأمم جنس الطير، كما تنوع الإنسان إلى أمـم مختلفـة فى الخصائص والعادات وسائر الصفات.

٧١-قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾[١].

(أمثالها) قال الزمخشرى : "الضمير للعاقبة المـذكورة، أو للهلكـة، لأن التدمير يدل عليها، أو السنة لقولـه عـز وعـلا: سُـنَّةَ اللَّـهِ فِـي الَّـذِينَ خَلَوْا.."([٢]،[٣]).

وإذا كان الضمير عائدا إلى العاقبة المضافة إلى الذين من قبلهم ، وهـؤلاء قد تنوعت العقوبات لهم تبعا لاختلاف معاصيهم كان فى مجيء صـيغة الجمـع (أمثالها) دلالة على تنوع عقوبة الكافرين التى تنتظرهم جزاء كفـرهم ، ومـا يصنعون.

[٥١] قال تعال: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٤]

مما قاله الزمخشرى فى بيان المعنى : أمثالكم – جمع (مثـل) أى علـى أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق..."[٥].

وللجمع هنا دلالته على تنوع أفراد المجموع . فى سياق بيـان قـدرة الله تعالى على أن يأتى مكان كل واحد منكم بغيره مما له صفاته الخلقية والخلقيـة. فمجيء (مثل) بصيغة الجمع لملاحظة هذا التنوع فى طرفى المماثلة . والله أعلم.

([١]) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ١٠.

([٢]) سورة الأحزاب ٣٨، ٦٢.

([٣]) الكشاف ٥٣٢/٣.

([٤]) سورة الواقعة ٦٠، ٦١.

([٥]) الكشاف ٤/ ٥٦ .

[٥٢] قال تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾[١] أى نبدل أمثالهم فى الخلقة ، وعلى اختلاف أنواعهم فى صفاقم وهيئاقم التى هم عليها.

[٦٥] قال تعالى : ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[٢].

(ثم لا يكونوا أمثالكم) المماثلة فى هذه الآية على سبيل النفى أى لا يكونوا أمثالكم فى الخلاف والتولى والبخل [٣].

فصيغة الجمع بدلالتها على الأفراد تدل على تنوع هذه الأفراد بالاتصاف بهذه الصفات. أى أن الله قادر على أن يأتى بقوم غيركم لا يكون فيهم ما فى أشخاصكم من الصفات المختلفة التى يتصف بها بعضكم على تباينكم فيها.

الثالث: إظهار المماثلة بين أفراد الطرفين:

[٦٧] قال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[٤] (كأمثال اللؤلؤ) لمجيء (مثل) بصيغة الجمع فائدة إبراز الممثل به فى صورة أفراده التى تتشابه مع بعضها فى وجه المماثلة بينها وبين الحور. لأنه لو قيل فى وصف الحور فى غير القرآن الكريم: وحور عين مثل اللؤلؤ المكنون دلت (مثل) عندئذ على مماثلة الحور للؤلؤ. لكن مجيء صيغة الجمع (أمثال) فى الآية الكريمة دل على تعدد الصور المشاهدة التى حصل التمثيل بها. فالكلمة عندئذ دلت على جهتين من المماثلة: مماثلة الحور للؤلؤ بمادة الكلمة (مثل) ومماثلة كل حورية لأختها بصيغة الجمع.

---

(١) سورة الإنسان ٢٨.

(٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٣٨.

(٣) ينظر البحر المحيط ٨٦/٨ .

(٤)سورة الواقعة ٢٢ ،٢٣.

وللقرطبي – رحمه الله عند تفسير الآية عبارة تبرق هذا المعنى، قال: «أى هن تشاكل أجسادهن فى الحسن من جميع جوانبهن كما قال الشاعر:»

كأنما خلقت فى قشر لؤلؤ　　　فكل أكنافها وجه لمرصاد[١]

ومما هو من هذا القبيل قول بنت لبيد بن ربيعة:

اذا هبت ريــاح أبى عقيــل　　　دعــونا عند هبتها الوليــدا

أشَمّ الأنف أصيــد عبشميا　　　أعــان على مروءته لبيـــدا

بأمثال الهضاب كــأن ركبا　　　عليها من بنى حــام تعــودا

فأمثال – هنا – تضع فى مرأى العين صور النياق وقد تماثلت تماثل الهضاب.

زيادة (مثل)

القول بوجود كلمات زوائد فى القرآن الكريم قديم[٢]. وقد يكون منشأ القول به الوقوف عند معنى التركيب خاليا من الكلمة ثم النظر إليه مشتملا عليها فى اطار معناه وهو خال منها، دون مراعاة اختلاف التركيبين وتباين المعنى فيهما.

وقد ناقش القول بالزيادة كثير من العلماء المحققين[٣] وانتهوا إلى رفضه. لان القول بالزيادة مبناه عدم إفادته معنى« وغير جائز أن يكون فى كتاب الله تعالى شيء لا معنى له »[٤] لأنه إذا كان كل لفظ فى كلام أهل الطبع أصل فيه، لا يستغنى عنه فما بالنا بالقرآن الكريم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦٣٧٥.

(٢)ينظر مجاز القرآن لأبى عبيدة، ومعانى القرآن للفراء، ومفاتيح مشكل القرآن لابن قتيبة فى مواضع منها.

(٣) ينظر جامع البيان للطبرى، والكشاف للزمخشرى، ومفاتيح الغيب للرازى وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى والنبأ العظيم للدكتور دراز.

(٤) جامع البيان للطبرى ٢٨/٣.

وعليه فلا يقال: ان لفظا ما زائد فى موضعه لأنا نقول: ما دام المعنى لا يتم إلا به لكونه عند وجوده غيره عند عدمه- فإن اللفظ لا يعد زائدا، لأن توقف المعنى عليه ودعوى زيادته ضرب من المناقضة واللغو، إذ لا فرق بين ما يقتضيه المعنى وما هو أصل فى التركيب.

فالحق أنه لا يمكن قبول القول بالزيادة إلا على معنى أن الكلمة أفادت معنى زائدا عما كان عليه قبل مجيئها.وهذا- وان كان بعيدا عن مقصدهم- هو المناسب لتسميتهم ما يزاد من الحروف حروف المعانى.

وقد قيل: بزيادة (مثل) فى الآية الكريمة الآتية:

٧٢- قال تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [1]

حكى أبو حيان القول بزيادة (مثل) فى الآية قائلا: « وأما (مثل) فقيل: زائدة. والتقدير: فإن آمنوا بما آمنتم به. قالوا: كهى فى قوله تعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [2] أى ليس كهو شيء» [3] ومما يستدل به على القول بزيادتها ما روى من قراءة ابن عباس وابن مسعود (بما آمنتم به) وقراءة أبى (بالذى آمنتم به) [4].

لكنهم قالوا: ان هاتين القراءتين شاذتان [5] وحكى الطبرى إجماع القراء على تركها، وما رواه الطبرى يدل على أن ابن عباس لم يقصد نفى قراءة (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) وإنكار وجود مثل، وإنما أراد تأويل الآية. قال الطبرى:

---

(١)سورة البقرة ١٣٧.

(٢)سورة الشورى ١١.

(٣) البحر المحيط ٤١٠/١.

(٤) ينظر الكشاف ٣١٥/١ والبحر المحيط ٤٠٩/١

(٥) ينظر مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٧.

«قال ابن عباس: لاتقولوا ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) فانه ليس لله مثل.» ولكن قولوا: فإن آمنوا بالذى آمنتم به فقد اهتدوا، أو قال: فان آمنوا بما آمنتم به. فكأن ابن عباس فى هذه الرواية – إن كانت صحيحة عنه– يوجه تأويل قراءة من قرأ (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به)... » ولو قال يوجه المعنى لكان أولى من قوله قراءة من قرأ. ثم يرتضى الطبرى تأويلا آخر مبناه أن (مثل) ليست زائدة، لكنه يعتبر التشبيه بين الإيمانين لا بين من تحقق الايمان به. قال: « وإنما معناه ما وصفنا، وهو: فإن صدقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به من جميع ما عددنا من كتب الله وأنبيائه– فقد اهتدوا. فالتشبيه إنما وقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء وإيمان هؤلاء. كقول القائل: مر عمرو بأخيك مثل ما مررت به.يعنى بذلك: مر عمرو بأخيك مثل مرورى به. والتمثيل إنما دخل تمثيلا بين المرورين، لا بين عمرو وبين المتكلم. فكذلك قوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) إنما وقع التمثيل بين الإيمانين لا بين المؤمن به» [(١)] .

وقد ذهب الزجاج – أيضا– إلى ذلك قائلا: «فإن قال قائل: هل للإيمان مثل هو غير الإيمان؟ قيل له: المعنى واضح بين. وتأويله: فإن أتوا بتصديق مثل تصديقكم وإيمانكم بالأنبياء ووحدوا كتوحيدكم فقد اهتدوا، أى فقد صاروا مسلمين مثلكم » [(٢)] . وبهذا يكون القول بالزيادة على الباء.

ويرى الزمخشرى أن المثلية بين المؤمن به، لا على كون تحقق المثلية حقيقة وإنما على سبيل الفرض والتبكيت، مستدلا على ذلك بالسياق والمقام، من مجيء (إن) المفيدة للشك، وافتراض وقوع الشرط المستحيل فى مقام إقامة الحجة والبرهان. قال: « – بمثل ما آمنتم به – من باب التبكيت لأن دين الحق واحد

---

(١)جامع البيان ١/٥٦٩.

(٢) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١/١٩٥

لا مثل له ، وهو دين الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [١] فلا يوجد إذا دين آخر يماثل دين الإسلام، في كونه حقا، حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين: فقيل: فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير، أي فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا. وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل، لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال. ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه. هذا هو الرأي الصواب، فان كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به، وقد علمت أن لا رأي وراءه» [٢].

وعلى ما ذهب اليه تكون (مثل) غير زائدة. إذا لا محل للاحتجاج باستحالة وجود مثل لاعتبارها زائدة. لأن مثل وإن كانت في معناها حقيقة إلا أن المثل وجوده على سبيل الفرض والتقدير.

وبعد أن يذكر أبو حيان ما يفيده كلام الطبري والزمخشري يذكر رأيا ثالثا مفاده أن (مثل) مزيدة في المعنى دون اللفظ.

يقول:« وقالت فرقة: هذا من مجاز الكلام، تقول: هذا أمر لا يفعله مثلك، أي لاتفعله أنت، والمعنى: فان آمنوا بالذي آمنتم به، وهذا يؤول إلى إلغاء مثل وزيادتها من حيث المعنى» [٣].

وهذا الرأي هو طريق الكناية، لأن الإيمان بمثل ما آمن به المسلمون يستلزم الإيمان بما آمن به المسلمون تبعا لما تقتضيه قاعدة المثلية، من كون ما يثبت لأحد المثلين يثبت للآخر. والله اعلم.

---

(١) سورة آل عمران ٨٥.

(٢) الكشاف ٣١٥/١

(٣) البحر المحيط ٤١٠/١

مجيء (مثل) للتشابه:

قد تأتي (مثل) للدلالة على تماثل أمرين في معنى دون نظر عند الحكم بها إلى زيادة أو نقصان، وعندما تكون كذلك فإنها تدخل في باب التشابة والتماثل وشواهدها في ذلك من القرآن الكريم ست آيات سنذكرها إن شاء الله تعالى في مبحث التشابه.

٢- كلمة (شبه) وما تفرع منها:

الأصل في مادة (شبه) الدلالة على المشاركة في الصور والكيفيات المشاهدة. حكى ابن منظور في تفسير قول الله تبارك وتعالى:﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾(١) أن « أهل اللغة قالوا: يشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن، وقال المفسرون: يشبه بعضها في الصورة ويختلف في الطعم ودليل المفسرين قوله تعالى: (هذا الذي رزقنا من قبل) لأن صورته الصورة الأولى لأن اختلاف الطعم مع اتفاق الصورة أبلغ وأغرب عند الخلق..... ونقول: في فلان شبه من فلان» (٢).

الشبه إذا – في الكيفيات(٣) وأصل استعماله فيما يشاهد بان يكون الطرفان حسيين. قال لبيد بن ربيعة يصف ناقته:

كعقر الهاجرى إذا بناه بأشباه حذين على مثال (٤)

يصف ناقته في ضخامتها بالقصر، وقد بنى بحجارة على صورة واحدة تراصت على نظام واحد.

---

(١)سورة البقرة ٢٥

(٢)لسان العرب ٢١٩٠.

(٣) ينظر المفردات للراغب ٢٥٤.

(٤) البيت في الشعر والشعراء١/٢٨١- والعقر: القصر الذى يكون معتمدا لأهل القرية. والهاجرى: البناء.

و (شبه) فى هذا تخالف (مثل) التى تكون فى المحسوس وغيره. وبذلك يقال: السواد شبه السواد، ولا يقال القدرة شبه القدرة، وإنما يقال مثلها [١].

ومما يشهد لذلك- أيضا- قوله تعالى:﴿ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [٢] فقد أرجع المفسرون معنى (شبه) إلى الشبه فى الحس المشاهد.

قال الطبرى: « عن قتادة، قال: ألقى شبهه على رجل من الحواريين فقتل»[٣] وقال الزمخشرى: «شبه لهم من قتلوه» [٤].

وقد استعملت المادة فى الأمور المعنوية على سبيل التوسع يقال: بينهم أشباه، أى أمور يتشابهون فيها. واشتبهت الأمور وتشابهت، التبست لإشباه بعضها بعضا. والشبهة أن لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر عينا كان أو معنى [٥] .

وتتنوع دلالة المادة تبعا للصيغة، فتستعمل صيغة. أشبه ويشابه، وما يتفرغ منهما عند قصد الحكم بالمشابهة.

قال الشاعر:

ورمانة شبهتها إذ رأيتها بثدى كعاب أو بحقة مرمر[٦]

وتستعمل صيغة (تشابه) وما يتفرغ منها عند الحكم بوقوع المشابهة من الطرفين كل للآخر. كقول إبراهيم الصابى:

---

(١) ينظر الفروق فى اللغة ١٤٨.

(٢) سورة النساء ١٥٧.

(٣) جامع البيان ٦/١٤.

(٤)الكشاف ١/٥٨٠ وينظر البحر المحيط ٣/٣٩٠.

(٥) ينظر مادة (شبه) لسان العرب، أساس البلاغة، المفردات.

(٦) البيت فى أسرار البلاغة ١٧٠.

تشابه دمعى إذ جرى ومدامق   فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب

فوالله ما أدرى أبالخمر عينى أسبلت   جفونى أم من عبرتى كنت أشرب[١]

وتأتى (شبه) للحكم بالمشابهة بين المتفقين فى الجنس والمختلفين.

أما (شبيه) فتكون بين المتفقين فى الجنس. قال أبو هلال العسكرى:« الفرق بين الشبه والشبيه أن الشبه أعم من الشبيه. ألا تراهم يستعملون الشبه فى كل شيء، وقلما يستعمل الشبيه إلا فى المتجانسين. نقول : زيد يشبه الأسد، أو شبه الكلب. ولا يكادون يقولون: شبيه الأسد، أو شبه الكلب. ولا يكادون يقولون: شبيه الأسد وشبيه الكلب. ويقولون: زيد شبيه عمرو»[٢].

وعليه يكون قول القائل: زيد شبيه الأسد – فيه ادعاء كمال المشابهة وصيرورتهما جنسا واحدا.

من قبيل ذلك قول ابن الرومى:

يا شبيه البدر فى الحسـ   ـن وفى بعد المنال

جد فقد تنفجر الصّخـ   ـرة بالماء الزلال[٣].

وصيغة (أشبه، ويشابه) وما تفرع منهما مما يفيد الحكم بالمشابهة لم يأت لها شواهد فى القرآن الكريم. أما صيغة (تشابه) وما تفرع منها مما لا يفيد الحكم بالمشابهة وإنما يفيد الحكم بالتشابه فلها شواهد كثيرة فى القرآن الكريم، سنذكرها فى المبحث الذى عقدناه للتشابه.

---

(١) البيتان فى التبيان للطيبى ٢٠٣ وشروح التلخيص ٤١٢/٣.

(٢) الفروق فى اللغة ١٤٦.

(٣) البيتان فى أسرار البلاغة ٢٣٥.

٣- مادة (ساوى):

تدور أكثر صيغ المادة حول معنى الاعتدال والاستقامة أو قريب من ذلك[١].

وحقيقة (المساوى) ما يشارك في الكمية، ويتساوى في المقدار [٢].

وقال الراغب: المساواة المعادلة المعتبرة بالوزن والذرع والكيل.يقال: هذا ثوب مساو لذاك الثوب، وهذا الدرهم مساو لهذا الدرهم، وقد يعتبر بالكيفية، نحو: هذا السواد مساو لذلك السواد....» [٣].

وقيل: إنها تدل على المشابهة من كل وجه[٤] لكن الآية التي ستأتي تخالف ذلك.

وصيغ المادة تكون للدلالة على التشابه عندما تكون غير متعدية لمفعول رافعة فاعلين. وستأتي شواهد صيغها في ذلك في مبحث التشابه.

أما إذا جاءت الصيغه متعدية إلى مفعول بنفسها مثل: (ساوى) أو بالباء، مثل (سوى) فإنها تدل على التسوية بين الشيئين، يقال:« ساوى الشيء الشيء إذا عادله»[٥]. وكذلك سواه به.

وجميع شواهد المادة في القرآن الكريم جاءت بصيغ التشابه. ما عدا آية واحدة جاءت فيها كلمة (سوى) للدلالة على الحكم بالتسوية.

قال تعالى: ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦].

---

(١) ينظر لسان العرب ٢١٦٠ وما بعدها وأساس البلاغة ٢٢٦ وما بعدها.

(٢) ينظر الفروق ١٤٩.

(٣) المفردات في غريب القرآن ٢٥١.

(٤) ينظر عروس الأفراح شروح ٣/٣٩٣.

(٥) لسان العرب ٢١٦١.

(٦) سورة الشعراء ٩٧-٩٨

قال الطبرى: «يقول الغاوون الذين يعبدونهم من دون الله والله إن كنا لفى ذهاب عن الحق حين نَعْدِلُكُم برب العالمين، فنعبدكم من دونه» [١].

وجاء فى البحر المحيط « قال ابن عطية: أقسموا بالله إن كنا إلا ضالين فى أن نعبدكم، ونَجْعَلَكُم سواء مع الله تعالى، الذى هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم، انتهى» [٢].

فالفعل (سوى) دل على التسوية، أى تسوية الآلهة التى يعبدونها بالله تعالى، والتى أنكروها بعد ما تبين لهم ضلالهم.

وواضح أن التسوية فى الآية ليس مرادا بها أصل حقيقتها من المشاركة فى الكمية والتساوى فى المقدار. وإنما المراد بها المعادلة فى معنى هو العبادة لمخلوق مع الله تعالى، وتسوية الآلهة به. فيكون استعمالها مجازا، أو تكون صارت حقيقة بكثرة استعمالها فى مشابهة فى صفة على حد سواء.

٤- مادة (شكل):

تدور تصاريف مادة (شكل) وتفريعاتها فى معاجم اللغة حول الشبه فى الصورة، فشكل الشيء صورته المحسوسة، أو المتوهمة، وتشكل الشيء تصور، وشكّله صوره، وإذا اشتد الاتفاق فى الصورة أشكلت على الناظر إليها والتبست، فلا يستطيع أن يميز بين المتشاكلين [٣].

ويفترق الشكل عن المثل من جهتين: الأولى: ان (شكل) تكون عند الاتفاق فى أكثر الصفات التى تشكل، و(مثل) تكون فى أكثر الصفات التى لاتشكل.

---

(١) جامع البيان ١٩/٨٨.

(٢) البحر المحيط ٧/٢٧.

(٣) ينظر لسان العرب ٢٣١٠ وما بعدها وأساس البلاغة ٢٤٠ والفروق ١٤٨.

الأخرى: أن (مثل) تكون فى الحسيات والمعنويات، أما (شكل) فلا تكون الا فى الصور. يقال : هذا الطائر شكل هذا الطائر، ومثله. ولا يقال: الحلاوة شكل الحلاوة، وإنما يقال: مثلها [١].

وتفترق كلمة (شكل)عن (شبه) أنهما وأن كانتا تستعملان للدلالة على الاتفاق فى الصورة إلا أن الشكل يراعى فيه المقدار والأبعاد، بخلاف (شِبْه)فإنه لا يراعى معها ذلك . قال الراغب : الشكل يقال فيما يشارك فى القدر والمساحة فقط [٢].

وما يجيء موهما اتفاق الثلاثة عند بيان المعنى _ كقول ابن منظور:(الشكل الشبه والمثل) [٣]. إنما هو من إطلاق المعانى المتقاربة على بعضها على سبيل التوسع، بحكم ضرورة البيان والشرح.

و (شكل) وما يشتق منها مما له فاعل ومفعول، كشاكل ويشاكل، ومشاكل تدل على الحكم بالمشاكلة، أما ما يأتى لازما دالا على وقوع الفعل من اثنين أو أكثر، ومشاكلة كل واحد منهما للآخر فهو من باب الحكم بالتشاكل والتشابه، وليس من باب الحكم بالمشاكلة من احدهما للاخر.

وقد جاء فى القرآن الكريم من المادة صيغتان:

الأولى: صيغة (شكل) وقد جاءت فى آية واحدة.

قال تعالى:﴿ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [٤].

فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى من أنواع العذاب التى تصيب الكافرين كالحميم والغساق- اخبر جل وعلا: أن فيه أنواعا أخرى على شكل الغساق وصفته المشاهدة.

---

(١) ينظر الفروق ١٤٨.

(٢) المفردات ٤٦٢.

(٣) لسان العرب ٢٣١٠.

(٤) سورة ص ٥٨.

وعبارة الطبرى فى بيان معنى(شكل) تميل إلى أصل دلالتهما على الصورة المشاهدة، قال: « وعذاب آخر من الحميم ألوان وأنواع» [١].

أما الزمخشرى فَيَنْحُو بها إلى معنى (مثل) فى الأمور المعنوية يقول: «ومذوقات أُخَر من شكل هذا المذوق، من مثله فى الشدة والفظاعة» [٢]، وذكر مثله أبو حيان [٣].

وقد جاءت كلمة (شكل) مستعملة فى الأمور المعنوية فى قول امرىء القيس:

حى الحمول بجانب العزل إذ لا يلائم شكلها شكلى [٤].

أى لا يلائم مذهبها مذهبى ومسلكى. وقد تكون الكلمة (شكل) بكسر الشين بمعنى الدل والأنس [٥].

(الصيغة الثانية) صيغة (شاكله):

قال تعالى:﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [٦].

قال الطبرى: «على شاكلته على ناحيته وطريقته» [٧]. وقال الزمخشرى: «أى على سجيته وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة» [٨]. فهذه الآراء دالة على أن الصيغة لا يراد بها الحكم بالمشاكلة وإن أفادتها.

---

(١) جامع البيان ١٥٤/٢٥.

(٢) الكشاف ٣٧٩/٣.

(٣) ينظر البحر المحيط ٤٦/٧.

(٤) ديوان امرىء القيس ١٢٩ وفيه أنها تروى لامرىء القيس بن عابس الكندى والحمول: الابل وما عليها من الهوادج. والعزل ماء بين البصرة واليمامة.

(٥) ينظر لسان العرب ٣٣١٠ والمفردات ٢٦٦.

(٦) سورة الإسراء ٨٤.

(٧) جامع البيان ١٥٤/١٥

(٨) الكشاف ٤٦٤/٢.

وكلمة (شاكل) و (شَاكَه) بمعنى. قال زهير بن أبي سلمى:

تنازعت المها شبها ودر البحر وشاكهت فيها الظباء[1].

أى فيها من البقر العيون، ومن الدر الصفاء، ومن الظباء طول العنق.

٥- مادة (عدل):

تدور جميع تصاريف مادة (عدل) حول معنى أصلى هو الاعتدال والاستقامة «حسا أو معنى» [2]. وإن اختصت كل صيغة منها بدلالة معينة.بل قد تتنوع دلالة الصيغة الواحدة بمساعدة المقام والسياق. وذلك كأن يدل المقام على أن المقصود بكلمة (العدل) عدم الجور، أو الاستقامة، أو الفداء....... أو يشتمل السياق على حرف جر، أو ظرف فتدل الكلمة على معنى من المعانى. مثل: عدل بالله غيره، أى أشرك، وعدل عن الطريق، أى مال وحاد، وعدل عن الحق: أى جار. وعادل بين الشيئين: أى سوى بينهما. وهكذا....

وفى اللسان «العدل والعدل والعديل سواء، أى النظير والمثيل، وقيل: هو المثل، ليس بالنظير عينه، وفى التنزيل «أو عدل ذلك صياما» ...ثم قال والعديل الذى يعادلك فى الوزن والقدر. قال ابن برى: يشترط الجوهرى فى العديل الذى يكون انسانا مثله، وفرق سيويه بين العديل والعدل (بالكسر) فقال: العديل ما عادلك من الناس، والعدل لا يكون الا للمتاع خاصة. فبين أن عديل الإنسان لا يكون إلا إنسانا مثله، وان العدل لا يكون إلا للمتاع» [3].

ويفهم من كلام سيبويه أن كلمة عديل تكون بمعنى (مثل) لأنها فى المستفقين ذاتا، وكذلك العدل (بالكسر) إلا أنها فى العروض، أما فى العدل (بالفتح) فلا يتعين الاتفاق فى الجنس.

---

(١) البيت فى الشعر والشعراء ١/١٤٠.

(٢) ينظر لسان العرب ٢٨٣٨ وما بعدها.

(٣) لسان العرب٢٨٣٩.

لكن الراغب فرق بين العدل والعـدل مـن ناحيـة العقليـة والحسية، فقال:«والعَدل والعدل يتقاربان، لكن العدل (بالفتح) يستعمل فيما يدرك بالبصيرة، كالأحكام، وعلى ذلك قوله:« أو عدل ذلك صياما» والعدل العـديل فيما يدرك بالحاسة، كالموزونات والمعدودات والمكيلات» [١]. وفرق أبو هـلال العسكرى بين المثل والعديل قائلا:«الفرق بين المثل والعديل أن العديل ما عـادل أحكامه أحكام غيره، وان لم يكن مثلا له فى ذاته، ولهذا سمى العدلان عدلين وإن لم يكونا مثلين فى ذاتهما ولكن لاستوائهما فى الوزن فقط» [٢].

ومادة (عدل) على اختلاف صيغها جاءت فى القـرآن الكـريم فى أربـع وعشرين آية [٣] وصيغها وإن دلت كلها بأصل المادة على المـساواة والمعادلـة. كما فى قوله تعالى:﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاءِ﴾[٤] وقوله تعالى:﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [٥]. إلا أن الذى يهمنا منها ما يدل على الحكـم بالمعادلة والتسوية بين شيئين فى أمر حسى أو معنـوى، مـتفقين فى الجـنس أو مختلفين، وعند زيادة أحدهما ونقصان الآخر وإلحاقه بذلك الزائد، دون غيرها من الصيغ.

وقد جاءت فى الآيات الآتية:

١- قال تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَـن قَتَلَـهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَـدْياً بَـالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّـهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [٦].

(١) المفردات ٣٢٥.

(٢) الفروق فى اللغة ١٤٨.

(٣) تنظر مادة عدل فى معجم الألفاظ القرآنية.

(٤) سورة النساء١٢٩.

(٥) سورة الأنعام ٧٠.

(٦) سورة المائدة ٩٥.

جات صيغة (عدل) فى الآية الكريمة مرتين:

الأولى: (ذوا عدل منكم). والمراد بكلمة (عدل) النصفة فى الحكم والعدل الذى قوامه التسوية بين الخصوم عند الحكم. ولا يدخل هذا شاهدا فيما نحن بصدده.

الأخرى: (أو عدل ذلك صياما) والمراد- والله اعلم- جعل التكفير بالصوم معادلا ومساويا لما قتل من النعم، أى قيمته أو قيمة طعام المساكين. وهو الشاهد المراد من الآية الذى يلحق فيه الناقص بالكامل ويعادل به.

وقرىء (عدل) بالكسر، قال الزمخشرى:«وقرىء أو عِدْل ذلك بكسر العين. والفرق بينهما أن عدل الشيء (بالفتح) ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام. وعدله ما عدل به فى المقدار. ومنه عدلا الحمل لأن كل واحد منهما عدل الاخر حتى اعتدلا» [(١)].

٢- قال تعالى:﴿ الْحَمْدُ للّه الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾ [(٢)].

(يعدلون) أى يسوون به غيره، ويجعلونه إلها مثله فى العبادة. فهى على هذا شاهد لهذا الوضع.

أو يعدلون بمعنى يميلون عن الطريق المستقيم ويضلون. وتنوع المعنى حسب تعلق الباء فى قولة (بربهم) [(٣)].

٣-قال تعالى:﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [(٤)].

---

(١) الكشاف ٧٤٥/١

(٢) سورة الأنعام ١

(٣) ينظر الكشاف ٤/٢ والبحر المحيط ٦٩/٤.

(٤) سورة الأنعام ١٥٠.

(بربهم يعدلون) أى يعدلون به الأصنام فى الألوهية والعبادة. أو الباء بمعنى (عن) أى عن ربهم يميلون إلى طريق الضلال والكفر.

٤- قال تعالى:﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾(١).

أى يعدلون به غيره فى العبادة أو يعدلون عن التوحيد ويميلون عنه إلى الشرك.

٦- مادة (ند):

تدل مادة (ند) بتصاريفها المختلفة على عدة معان، منها: النفار والشرود والتدابر، والتفرق، والمخالفة (٢) وعلى أساس هذه المعانى يقوم التفريق بين كلمة (ند) وغيرها من الكلمات التى تفيد الحكم بالمماثلة أو المشابهة، لأن بين الندين تضادا وان اتصفا بصفة واحدة. وذكر صاحب اللسان عن الأخفش قوله:«الند: الضد والشبه» (٣).

وقال أبو هلال العسكرى:«الفرق بين المثل والند أن الند هو المماثل المناد، من قولك : نادّ فلان فلانا إذا عاداه وباعده، ولهذا سمى الضد ندا. وقال صاحب العين: الند ما كان مثل الشيء يضاده فى أموره» (٤).

وذكر الراغب ما يتفق فيه الندان قائلا:« الند المشارك فى الجوهر، وفى موضع آخر المشارك فى الجنس، وقال فى التفريق بينه وبين المثل : وذلك ضرب

---

(١) سورة النمل ٦٠.

(٢) ينظر لسان العرب ٤٣٨١.

(٣) لسان العرب ٤٣٨٢.

(٤) الفروق فى اللغة ١٤٧.

من المماثلة، فإن المثل يقال فى أى مشاركة كانت، فكل ند مثل، وليس كل مثل ندا » [١].

قال حسان بن ثابت فى هجاء أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

أتهجوه ولست له بند   فشركما لخيركما الفداء [٢].

وقد تحقق بنفي الندية نفى المماثلة، ودعوى أن نفاره وتدابره لا يعتد به ولا وزن له يصير به ندا لرسول الله ﷺ. ولدلالة المادة على النفار والمخالفة والتضاد تترجح رواية (ند) عن رواية (كفء).

والكلمة لم تأت فى القرآن الكريم إلا بصيغة الجمع، وذلك فى ست آيات.

١- قال تعالى:﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٣].

٢- قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [٤].

٣- قال تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [٥].

---

(١) المفردات ٤٨٦.

(٢) البيت فى الشعر والشعراء ١/٣٠٨ والغانى ٢/٥٠٦ والديوان بلفظ كفء ٩.

(٣) سورة البقرة ٢٢.

(٤) سورة البقرة ١٦٥.

(٥) سورة إبراهيم ٣٠.

٤- قال تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

٥- قال تعالى:﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٢).

٦- قال تعالى:﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٣).

ونلحظ فى تفسير بعض العلماء للآيات السابقة ما يأتى:

أولا: نلاحظ أن الطبرى عند تفسير آية (البقرة: ٢٢) قد ترك الفرق الذى تقرّر بين الند والمثل، فقال:«وكل شيء كان نظيرا لشيء وشبيها فهو له ند» (٤). ثم يحمل الآيات الأخرى عند بيان معنى (ند) على هذا أيضا.

وهذا منه مخالف لما تقرر من أن كل ند مثل، وليس كل مثل ندًا وعبارة الزمخشرى عند تفسير الآية أدق. فقد قال.«والند المثل. ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوىء...» (٥).

فَصَرَّحَ ببقاء المضادة بينهما. وأنه ليس كل مثل ندًا كما قال الطبرى.

(١) سورة سبأ ٣٣.

(٢) سورة الزمر ٨.

(٣) سورة فصلت ٩.

(٤) جامع البيان ١/١٦٣.

(٥) الكشاف ١/٢٣٦.

ثانيا: نلحظ- أيضا- أن أبا حيان لم يراع كون الندية فيها معنى المضادة، فَعَمَّم القول باتفاق المثل والشبه والند. قال: « ومن شابه شيئا فى وصف ما، قيل هو مثله وشبهه ونده فى ذلك الوصف دون بقية الأوصاف» [١].

وهذا الكلام بين المخالفة لما سبق بيانه.

ثالثا: ذكر أبو حيان أن كلمة (ند) قد تستعمل على سبيل المجاز عندما تطلق على ما ليس ندا حقيقة بدلالة القرائن، وحمل كلمة (أندادا) فى الآيات السابقة على هذا قائلا: «وسموا أندادا على سبيل المجاز، من حيث أشركوهم معه تعالى فى التسمية بالإلهية والعبادة صورة لا حقيقة، لأنهم لم يكونوا يعبدونهم لذواتهم بل للتقرب إلى الله، وكانوا يسمون الله إله الآلهة ورب الأرباب» [٢].

على أن هذا التعميم فيه نظر. لأن كثيرا من البشر يجعلون معبوداتهم آلهة من دون الله تعالى معتقدين ذلك. واعتبار الحقيقة أو المجاز يرجع إلى معتقد المتخذ أندادا لا كون الند حقيقة فى نفس الأمر، أم لا.

٧- مادة ضهأ:

ذكر صاحب اللسان أن المادة بالهمزة وغيرها «قال صاحب العين: ضاهأت الرجل وضاهيته أى شاهته، يهمز ولا يهمز وقرىء بهما قوله عز وجل: «يضاهئون قول الذين كفروا...» [٣]. ثم حكى بعد ذلك أن معناها المشاكلة «قال الليث: المضاهاة مشاكلة الشيء بالشيء، وربما همزوا فيه، وضاهيت الرجل شاكلته » [٤].

---

(١) البحر المحيط ٩٩/١.

(٢) المرجع السابق والموضع نفسه.

(٣) لسان العرب ٢٦١٥ وينظر المفردات للراغب ٢٠٠.

(٤) اللسان ٢٦١٧.

ويبدو أن هذا توسع فى بيان المعنى. لآن المشاكلة- كما هو- خاصة بالصور. أما المضاهاة، فالذى يبدو كثرتها فى الصورة، وقد تكون فى غيرها كقولة تعالى: ﴿يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [1]. وللمادة معان أخرى نلحظها عند الحكم بالمضاهاة، منها:

الرفق، والمعالجة والمتابعة«قال الأموى: ضاهأت الرجل رفقت به. خالد بن عيينة: المضاهاة المتابعة، يقال: فلان يضاهي فلانا أى يتابعه. وفى الحديث: أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله، أى يعارضون بما يعملون خلق الله تعالى، أراد المصورين» [2].

وكأن هذه المعانى المتعددة عناصر يتشكل منها المعنى العام للمضاهاة. فالمضاهي الشيء بالشيء يترفق فى جعله شبهه ويتابع معالجة ذلك فى أناة ورفق حتى يضاهي أحدهما الآخر ويصير نظيره، وهذه المعالجة والترفق لحصول الشبه يختلف المضاهي عن النظير، الذى تدل صيغته (فعيل) على التمكن فى الشبه.

ولم يأت من هذه المادة فى القرآن الكريم إلا صيغة واحدة هى (يضاهى).

قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [3].

قال الطبرى:«قيل إن معنى ذلك يحكون بقولهم قول أهل الأديان الذين قالوا اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى... ثم قال فى القراءتين: وهما لغتان : يقال:ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة إذا مالأته عليه وأعنته» [4]

---

(١) سورة التوبة ٣٠.

(٢) لسان العرب ٢٦١٨.

(٣) سورة التوبة ٣٠

(٤) جامع البيان ١٠/١١٣.

غير أنه فسر القراءة بالهمزة بمعنى آخر خلاف قراءتها من غير الهمزة. على أنه لا ضير أن يكونا بمعنى، مناسبة لتفسير الآية والله أعلم.

٨- مادة (كفء)

تدل تصاريف مادة (ك ف ء) المختلفة على عدة معان منها: المجازاة المقتضية المساواة وعدم مجاوزة حد المثل، وكل شيء ساوى شيئا حتى يكون مثله فهو مكافئ له، والمكافأة بين الناس من هذا. يقال :كافأت الرجل، أى فعلت به مثل ما فعل بى. ومنها معنى المناصفة كأن كل واحد من المتكافئين يأخذ حقه فى الوصف المشترك بينهما، ومنها معنى الصرف، كأن كل واحد منهما يصرف الآخر عن مجاوزة حد المماثلة بينهما.

ومنها معنى المقاومة كان كل واحد منهما يقاوم صاحبة بالصفة ليمنع غلبته عليه فيها.

ومنها معنى التغير وكسوف اللون، كان الكفء تعتمل نفسه مخافة أن يتغلب عليه غيره.

هذه المعانى وغيرها مما ذكرته المعاجم نلمحها فى معنى (الكفء) قال فى اللسان:«الكفء: النظير والمساوى، وتكافأ الشيئان تماثلا... وهذا كفاء هذا وكفؤه.. أى مثله يكون هذا فى كل شيء» [(١)].

ويرى الراغب ارتباط دلالة الكلمة بالأمور المعنوية، قال:«الكفء فى المنزلة والقدر»[(٢)].

والآية القرآنية الوحيدة التى جاءت فيها الكلمة تشهد بأن دلالتها على المماثلة فى الذات والصفة مع النظر إلى الاثنين عند الحكم بالتكافؤ.

---

(١) لسان العرب ٣٨٩٢ وانظر المادة فيه.

(٢) المفردات ٤٣٦.

١- قال تعالى:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[١].

قال الزمخشرى بعد أن بين دلالة الآيات قبلها على تفرد الله جل وعـلا فى الذات والصفات ونفى المجانسـة والمشابهة مع غيره:

« وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ – تقرير لذلك وبت للحكم به» [٢].

فكلمة (كفء) تدل على المماثلة والمساواة مراعى معها النظر إلى الطـرفين معا. وذلك على سبيل الإثبات، أو على سبيل النفى كما فى الآية الكريمـة. (ولم يكن له كفوا أحد) والله أعلم.

٩- كلمة (سَمِيّ):

يفيد كلام أهل اللغة والمفسرين أن أصل دلالة كلمة (سمى) هو: مجرد اتفاق اثنين فى الاسم. فقولنا: فلان سمى فلان، أى هو موافق له فى اسمه، دون نظـر إلى الذات أو الصفات. هذا هو محض معناها اللغوى[٣].

وهى فى الاستعمال على ضربين جاء عليهما شاهداها فى القرآن الكريم:

الضرب الأول:

وتكون فيه (سمى) بمعناها اللغوى، من الدلالة على الإتفاق فى التسمية مـن غير نظر إلى معنى آخر. وشاهده فى القرآن الكريم الآية الآتية.

قال تعالى:﴿يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِـن قَبْـلُ سَمِيّاً﴾ [٤].

---

(١) سورة الإخلاص ٤.

(٢) الكشاف ٤/٢٩٩.

(٣) ينظر لسان العرب ٢١٠٩ وما بعدها وجامع البيان ١٦/٥.

(٤) سورة مريم ٧.

(لم نجعل له من قبل سميا) أى لم يسم باسمه أحـد قبلـه. وهـذا مـا رواه الطبرى«عن قتادة قال: لم يسم بيحيى أحد قبله. وعن ابن عباس: إن معناه لم يسم قبله أحد بيحيى » [١].

ويؤيد هذا سياق الآية لأنها تحدثت عن تسمية (يحيى) ثم نفت أن يكون سمى بهذا الاسم أحد قبله.

الضرب الآخر:

أن تكون (سمى) بمعنى: مثل، وشبيه، أى أن الاتفاق فى التسمية تابع لمماثلـة بين المسميين، ومشابهة فى ذاتهما وصفاتهما: وشاهده الآية الآتية:

قال تعالى﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَـلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٢].

روى الطبرى فى تفسيرها عن مجاهد «قال: هل تعلم له شبيها، هل تعلم لـه مثلا تبارك وتعالى» [٣].

وقال الراغب:«أى نظيرا له يستحق اسمه، وموصوفا يستحق صـفته علـى التحقيق. وليس المعنى: هل تجد من يتسمى باسمه إذ كان كثير من أسمائه قد يطلق على غيره. لكن ليس معناه إذا أستعمل فيه كما كـان معنـاه إذا اسـتعمل فى غيره.»[٤].

أى أن كلمة (سميا) فى الآية مراد بها مـدلولها اللغـوى وهـو الاتفـاق فى التسمية، مع دلالة المقام على أن هذه المماثلة فى التسمية تكون راجعه إلى مماثلـة فى الذات، أو الصفة، من أجلها يستحق أن يسمى باسم مثله وشبيهه.

---

(١) جامع البيان ١٦/٥.

(٢) سورة مريم ٦٥.

(٣) جامع البيان ١٦/١٠٦.

(٤) المفردات فى غريب القرآن ٢٤٤.

وقد ذكر الزمخشرى وجوها ثلاثة فى معنى كلمة (سميا) يرجع الأول الى المعنى اللغوى من الاتفاق فى التسمية كما فى قوله تعالى:« لم نجعل له من قبل سميا» وفى الثانى يتفق مع ما ذهب اليه الراغب من كون التسمية منفية باعتبار انتفاء استحقاق التسمية من المماثلة فى الذات أو الصفة. ويتفق فى الثالث مع ما ذكره الطبرى من كون المراد بكلمة (سميا) المثل والشبه.

وعبارته: « أى لم يسم شيء بالله قط... ووجه آخر: هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل، فى كونها غير معتد بها كلا تسمية، وقيل: مثلا وشبيها»[١].

وقد ذكر فى موضع آخر علة إطلاق(سمى) على الشبه والمثل قائلا:« وإنما قيل: للمثل سمى لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه، والشكل والنظير، فكل واحد سمى صاحبه» [٢].

على أن فى هذا التعليل شيئا. لأنه إن أراد أن لفظ المثل والشبيه يطلق على كلا المثلين والشبيهين فهو ضعيف. لأن لفظ المثل وكذلك الشبيه والشكل والنظير لا يعدو المجيء بها الوصف بمدلولاتها، ووصف الشيئين بأن كل واحد منهما مثل للآخر، أو نظير له، لا يعد تسمية له.

وإن أراد أن كل متماثلين أو متشابهين يسمى كل منهما باسم الآخر،أو يوصف بوصفه- وإن كانت عبارته غير صريحة فى ذلك- فهذا لا يعدو ان يكون رجوعا بالوجه الثالث الذى أراد التعليل له إلى الوجه الثانى الذى ذكره الراغب.

ويكون إطلاق كلمة (سميا) فى الآية مرادا بها تحقق الوصف الذى يستحق بسببه التسمية- مجازا مرسلا من اطلاق المسبب وهو التسمية على سببها وهو اتفاق المسميين ذاتا أو صفة.

---

(١) الكشاف ٥١٧/٢.

(٢) الكشاف ٥٠٣/٢.

((كلمات أخرى)):

بقى معنا كلمات عدوها من أدوات التشبيه، سنذكرها فيما يأتى لبيان دلالتها الوضعية، ومدى إفادتها الحكم بالمشابهة، والفروق بينها. وذلك بصورة مجملة. (١).

وهذه الكلمات نوعان: نوع يفيد الحكم بالمشابهة، وليس له شواهد فى القرآن الكريم. ونوع لا يفيد الحكم بالمشابهة، وتحقيق القول فيه أنه- أيضا- ليس من التشبيه الاصطلاحى كما ذكره جمهور البلاغين. ولبعض هذا النوع شواهد فى القرآن الكريم وبعض كلماته الآخر ليس له شواهد فيه.

((النوع الأول)):

١٠- كلمة(نظير):

يدل كلام أهل اللغة على أن مادة هذه الكلمة تضم فى دلالتها عنصرين: المماثلة فى الأفعال والأحوال، ومقابلة كلا النظيرين لنظيره فيكونان عند النظر إليهما سواء.

جاء فى اللسان« فلان نظيرك، أى مثلك، لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء... وهم يقولون: دور آل فلان تنظر إلى دور آل فلان، أى هى بإزائها ومقابلة لها»(٢). فالمادة إذا شاهدة بذلك.

---

(١) تناثرت فى كتب المعاجم كالصحاح للجوهرى، ومقاييس اللغة لابن فارس، ولسان العرب لابن منظور، وغيرها كلمات تفيد فى بعض سياقات الكلام الحكم بالمماثلة أو المشابهة لم نذكر بعضاً منها لعدم وجود شواهد لها فى القرآن الكريم، مثل: خليق، وسلع، وشرج وشريج، وشرخ، وطرز، وقرن، ولمة.... وغيرها واكتفينا ببعض منها ، وهى مما لايعد من أدوات التشبيه، ولكنها تفيد الحكم بالمشابهة كما حققنا.

(٢) لسان العرب ٤٤٦٥، ٤٤٦٧.

ذكر الزمخشرى – أيضا– ما فيها من المماثلة والمقابلة. قال:«هو نظيره بمعنى مناظره، أى مقابله ومماثله.»[١].

وقد فرق أبو هلال العسكرى بين المثل والنظير قائلا: « الفرق بين المثل والنظير، أن المثلين ما تكافآ فى الذات، والنظير ما قابل نظيره فى جنس لأفعاله وهو متمكن منها. كالنحوى نظير النحوى، وإن لم يكن له مثل كلامه فى النحو أو كتبه فيه، ولا يقال: النحوى مثل النحوى، لن التماثل يكون حقيقة فى اخص الأوصاف، وهو الذات»[٢]. وبهذا نعلم ان تفسير التظير بالمثل كما فى كلام صاحب اللسان وكلام الزمخشرى جاء على سبيل المسامحة.

هذا وليس للكلمة شواهد فى القرآن الكريم.

١١- كلمة (ضريب):

تدل تصاريف مادة (ض ر ب) على رجوع أكثر معانيها إلى ما يتصل بالشكل والصورة الظاهرة. وكلامهم على استعمال (ضريب) فى الشكل كثير. كما يجيء فى معنى (مثل) أيضا.

جاء فى اللسان« قال ابن الأعرابى: الضريب الشكل فى القد والخلق. ويقال: فلان ضريب فلان، أى نظيره. وضريب الشيء مثله وشكله. ابن سيده: الضرب، المثل والشبيه، وجمعه ضروب، وهو الضريب، وجمعه ضرباء » [٣].

وخصه البهاء السبكى بالشكل [٤].وإن كان الزمخشرى قد قال: «هو ضربه وضريبه أى مثله»[٥]. ويشهد له قول البحترى:

---

(١) أساس البلاغة ٤٦٢.

(٢) الفروق فى اللغة ١٤٨.

(٣) لسان العرب ٢٥٦٨.

(٤) ينظر عروس الأفراح ٣٩٣/٣ . شروح

(٥) أساس البلاغة ٢٦٧.

بـــــلونا ضرائب مــــن قـــد نرى
فمـــا إن رأينـــا لفتح ضـــــريبـــا
هـــو المــــــرء أبـــدت لـــه الحــــادثا
ت عزمـــا وشيكـــا ورأيـــا صــــليبا
تنقـــــل فى خـــــلقى ســـــؤدد
سماحـــا مــــرجى وبأســــا مهيبـــا
فكـــالسيف ان جئته صــــــارخا
وكالبحـــــــر إن جئتـــه مستثيبـــا [1]

١٢- كلمة (محاك):

تدل الكلمة وما يتصرف منها على الإتيان بفعل أو قول على جهة تحـرى المساواة مع فعل أو قول آخر. قال ابن منظور: « حكيت فلانا وحاكيته فعلـت مثل فعله. أو قلت مثل قوله سواء. لم أجاوزه وحكيت عنه الحديث حكاية.. وفى الحديث ما سرنى انى حكيت إنسانا وان لى كذا وكذا، أى فعلت مثل فعله... ثم قال: والمحاكاة المشابهة تقول: يحكى الشمس حسنا ويحاكيها بمعنى » [2].

وقد ذكر أولا حقيقة الماحكاة من أنها تكون فى فعل أو قول علـــى ســـبيل تحرى الموافقة فيه،، ثم ذكر وجها آخر من وجوه استعمال الكلمة، بـــأن يـــراد المشابهة. وواضح أن المثال الذى مثل به فى هذا الوجه ليس فيه محاكـــاة بمعناهـــا الحقيقى الذى بيناه. لأنه – من ناحية- لا تتأتى محاكاة الإنسان الشمس فى فعل، فضلا عن قول. ومن ناحية أخرى أن المحاكاة حقيقة فى اكتـــساب وصـــف لا فى وصف قائم. وعلية يكون استعمال الكلمة فى هذا المثال على غير حقيقتها وضربًا

---

(١) الديوان ١/١٥١ والأبيات فى دلائل الاعجاز ٥٩.

(٢) لسان العرب ٩٥٤.

من المجاز، وهو ما صرح به الزمخشرى قائلا: « ومن المجاز وجهه يحكي الشمس حسنا ويحاكيها»[١]. وإن كان لم يعين نوع المجاز ولم يشر إليه. وقد يكون مجازا مرسلا، علاقته اللازمية، من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، لأن محاكاة شيء لشيء تستلزم مشابهته له. أو تكون علاقته التقييد والاطلاق، باطلاق المحاكاة من قيد كونها فى فعل أو قول.. إلى كونها مطلق مشابهة.

لكن يجب التفريق بين اعتبار المجاز فى الكلمة لهذه العلاقة وبين ما ذكره البهاء السبكي من ان « المحاكي المشابه مطلقا» [٢] لأن الذى يفهم من عبارته أن كلمة(محاك) وما تصرف منها مستعملة فى المشابه مطلقا على سبيل الحقيقة.

معنى هذا أن هذه الكلمة بعد أن استعملت فى غير معناها الأصلى وهو مطلق المشابهة للعلاقة التى ذكرناها، تنوسيت هذه العلاقة بكثرة الاستعمال، وانتقلت الكلمة إلى دائرة الحقيقة باعتبارها موضوعة للمعنى المجازى وضعا تحقيقيا جديدا وهذا مسلك من مسالك الوضع فى الغة فقد قالوا. إن أكثر اللغة مجاز لا حقيقة[٣].

وقد قلنا ان هذه المادة ليس لها شواهد فى القرآن الكريم.

ومن شواهدها فى الشعر قول ابن وكيع التنيسى:

وجلنار لهى ... فى دوحة يتوقد.
يحكى فصوص عقيق ... فى قبة من زبرجد [٤]

وقول آخر فى تشبيه الهلال بالسوار المنفصم:

---

(١) أساس البلاغة ٩٢ .

(٢) عروس الأفراح: شروح ٣/٣٩٣.

(٣) انظر الخصائص ٢/٤٤٧ ، والعلاقات والقرائن فى التعبير البيانى ، ص ٧٦ للمؤلف.

(٤) البيان فى المروع البديع ٢٣٣.

حاكيـــا نصــــــف ســـوار   من نضـــار يتـــــوقد[١].

١٣- كلمة (مضارع):

جاء فى اللسان ما يدل على أن المضارعة تكون بمعنى المــشابهة أى تتعلــق بالصور والهيئات، وتكون بمعنى المماثلة التى تتجاوز الصور والهيئات- كما بينا- قال:«والمضارعة للشيء أن يضارعه كأنه مثله أو شبهه، وفى حــديث عــدى: لا يختلجن فى صدرك شيء ضارعت فيه النصرانية. والمضارعة المشابهة والمقاربة»[٢].

ويستفاد من كلامه أن المضارعة تدل على المقاربة فى الصفة والشعور بنقص المعنى فى المحكوم عليه بها والاجتهاد فى الوصول إلى تمامه.

وبدلالتها على المقاربة تفارق المحاكاة لأن فيها- كمــا ســبق- تحــرى المساواة فى الصفة وعدم المجاوزة.

وتوسع البهاء الــسبكى فى بيــان معــنى المــضارعة قــائلا:«المــضارعة المشابهة»[٣].ووجه التوسع أن المضارعة – كما سبق- تشمل ما كان الاتفاق فيه فى الهيئات وما كان فى الذاتيات على جهة المقاربة. فأطلق الاتفاق عن هذا القيد مريدا بها الاتفاق فى صفة من الصفات.

١٤- كلمة (نحو):

أصل كلمة (نحو) المصدر بمعنى القصد. تقول: نحوت نحــوا، أى: قــصدت قصدا، ونحوت نحوك، أى قصدت قصدك. وقد تستعمل ظرفا، مثل سرت نحــو البيت، أو اسما، كتسمية الطريق نحوا. وتسمية العلم الذى به انتحاء طريق العرب فى كلامهم نحوا [٤].

---

(١) البيت فى أسرار البلاغة ٢٣٤.

(٢) لسان العرب ٢٥٨٠، ٢٥٨١.

(٣) عروس الأفراح – شروح ٣/ ٣٩٣.

(٤) ينظر لسان العرب ٤٣٧١ وأساس البلاغة ٤٥٠.

وهذا يتضح ما للكلمة من دلالة على الجهة، والموافقة فى المسلك والميل بالأفعال إلى طريق مخصوص. وهذه العناصر لمعنى الكلمة ساعدت على استعمالها للحكم بها لإفادة الاتفاق فى معنى على سبيل المقاربة وصيرورة المحكوم عليه بها فى جهة ما يتفق معه فى هذا المعنى. تقول: فعلت نحو فعلك وعند فلان نحو مائة رجل.

وحكى البهاء السبكى أن « لفظ النحو والمثل ليسا مترادفين فلفظ (المثل) دال على المساواة بين الشيئين إلا فيما لا يقع التعدد إلاّ به. هذا حقيقته، ويستعمل مجازا فيما دون ذلك، ولفظ (النحو) يدل على المقاربة فى الفعل، لا على المماثلة وإن استعمل فى (المثل) فبملاحظة معنى آخر»[1].

أى أن استعمال لفظ النحو مكان لفظ المثل يكون أيضا على سبيل المجاز.

١٥-كلمة (موازن):

تدل مادة الكلمة على المساواة فى الوزن، قال الزمخشرى:« وازن الشيء بالشيء ساواه فى الوزن وتوازيا واتزنا»[2].وفيها – أيضا– معنى الجهة، والمعادلة، والمقابلة.

جاء فى اللسان.«الميزان: العدل، ووازنه: عادله، وقابله. وهو وزنه وزنته ووزانه وبوزانة أى قبالته، وقولهم: هو وزن الجبل، أى ناحيته، وهو زنة الجبل: أى حذاءه»[3].

وبدلالة (موازن) على المساواة فى الوزن تكون أخص من كلمة (مساو) التى هى فى أصلها تدل على المقادير مطلقا، ذرعا. أو وزنا أو كيلا. وهى – أيضا – أخص من المعادلة التى تكون فى المقادير وغيرها.

---

(١) عروس الأفراح ٣/٢٩٣.

(٢) أساس البلاغة ٤٩٨.

(٣) لسان العرب ٤٨٢٩.

النوع الآخر:

وهو كلمات ذكروا أنها تفيد الحكمَ بالمماثلة[١] . وحقيقة الأمر فيها أنهـا لا تفيدها قطعا. وهذه الكلمات كلمتان لم تأتيا فى القرآن الكريم، وأخريان جاءتـا فيه.

١٦-١٧- فالأوليان كلمتا (مواز ومؤاز)

ويبدو من صنع صاحب اللسان بذكره الكلمة الأولى فى باب الواو، والثانية فى باب الهمزة- أن الكلمتين مختلفتان. لكنه عند الحديث عن كلمـة (وازيتـه)" يقول:«قال الجوهرى: ولاتقل: وازيته- وغيره أجازه على التخفيـف»[٢] فـدل بإرجاع الكلمة (وازيته) الى الكلمة (آزيته) لكون الواو مخففة من الهمزة- علـى أن الكلمتين فى حقيقتهما كلمة واحدة.

وقد اتفق ما قاله هنا مع ما قاله هنالك عن (آزيته) قال:« يقال: هو بـإزاء فلان، أى بحذائه، وقد آزيته، إذا حاذيته، ولاتقل: وازيته»[٣].

والتحقيق: أن الكلمتين مختلفتان مادة، ومعنى. فالموازاة المقابلـة والمواجهـة كما ذكر صاحب اللسان نفسه قائلا:«... فى حديث صلاة الخـوف : فوازينـا العدو وصاففناهم- فالموازنة المقابلة والمواجهة»[٤] فالمتوازيان لا يلتصقان، وإنمـا يتواجهان بحيث يكون كل منهما فى مقابلة الآخر وعلى مسافة معهودة.

---

(١) انظر عروس الأفراح ٣٩٢/٣.

(٢) لسان العرب ٤٨٣٠.

(٣) لسان العرب٧٥.

(٤) لسان العرب ٤٨٣٠.

قال الأعشى في قصيدة (الندى والمحلق) يصف الحصن الأبلق بتيماء اليهودي:

بناه سليمان بن داود حقبة
لـه أزج عال وطي موثق
يوازي كبيداء السماء ودونه
بلاط ودارات وكلس وخندق[١]

فالحصن يواجه وسط السماء ولا يلاصقة.

اما كلمة (آزيته) فتدل على التجاور والالتصاق. وقد جاء في السان أيضا «أزيت اليه أزيا وأزيا الضممت وآزاني هو ضمني. ويقال: هو بإزاء فلان، أي بحذائه » .

ففي الكلمة معنى الدنو والالتصاق. لكنه ذكر بعد ذلك ما يشعر بالاضطراب، قال:«وقد آزيته إذا حاذيته ولا تقل وازيته، وقعد إزاءه، أي قبالته، وآزاه، أي قابله»[٢]. أي من معاني آزى المقابلة، ولا مخرج من هذا الاضطراب إلا أن تكون الكلمة تدل على المجاورة تارة والمقابلة تارة أخرى وهما معنيان متضادان.

وأياما كان المعنى فليس للكلمتين إفادة الحكم بالمشابهة، فضلا عن انتفاء التشبيه الاصطلاحي.

أما الكلمتان الأخريان اللتان لا تفيدان الحكم بالمشابهة وهما شواهد من القرآن الكريم فهما:

---

(١) ديوان العشى ١٧٧ والأزج البناء المستطيل، والطي: البناء بالحجارة.

(٢) لسان العرب٧٥.

١٨- كلمة (أخ)

فقد ذكروا من أدوات التشبيه كلمة (أخ) ومؤنثها (أخت) [١].عندما تستعمل فى غير من جمعك به صلب، أو بطن، أو رضاع[٢].

وقد جاءت الكلمة(مذكرة ومؤنثة) فى آيات عدة من القرآن الكريم، مستعملة فى جهات المشاركة الثلاث. ونكتفى بالآية الآتية شاهدا على ذلك.

قال تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [٣].

فكلمة (أخوات) فى أول الآية، وكلمتا (الأخ، والأخت) بعدها تحتمل كل منها الدلالة على الاجتماع بصلب ورحم، أو باحدهما، وكذلك كلمة(الأختين) فى آخر الآية تحتمل الجهتين، وجهة الرضاع أيضا.

أما كلمة (أخوات) فى قوله تعالى(وأخواتكم من الرضاعة) فصريحة بالقرينة فى أخوة الرضاع لا غير.

وكلام البهاء السبكي على أنه قد اتسعت دلالة الوضع للكلمة، فصارت تطلق– أيضا– على المشارك فى القبيلة والدين، ثم صارت تستعمل فى كل مساو، لكنه لم يبين لنا طريق هذا الاستعمال.

---

(١) انظر التبيان.. للطيبى ٢١٢ وعروس الأفراح ٣٩٣/٣.

(٢) الأخوة من الرضاع توسع فى الدلالة اللغوية من جهة الشارع.

(٣) سورة النساء ٢٣.

قال:« والأخ حقيقته: المشارك لغيره فى أب أو أم، ثم أطلق على المشارك فى القبيلة أو فى الدين، ثم استعمل فى كل مساو»[١].

والذى يبدو من كلام العلماء أن منهم من لا يعتبر استعمال الكلمة (أخ) فى المشارك فى القبيلة والدين استعمالا لها فيما وضعت له.فالراغب يقـــول: «الأخ المشارك آخر فى الولادة من الطرفين، أو من أحدهما. أو من الرضاع. ويستعار فى كل مشارك لغيره فى القبيلة، أو فى الـــدين. أو فى صـــنعة، أو فى معاملـــة، أو فى مودة، وفى غير ذلك من المناسبات.... ثم يبرز معنى التـــشبيه فى قولـــه تعـــالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْـــهِ وَمِـــنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٢]. يقول :«سمـــاه أخاً تنبيها على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه »[٣].

ومنهم من يوسع دائرة الوضع ليشمل غير المشارك فى القبيلة والدين جاء فى اللسان « الأخ من النسب معروف وقد يكون الصديق والصاحب... ثم يحكـــى عن الزجاج فى الآية السابقة (واذكر أخا عاد) ما يدل على الاحتمالين أى كون كلمة أخ موضوعة لما أريد منها أو كونها للتشبيه- قال الزجاج: قيل فى الأنبيـــاء أخوهم وإن كانوا كفرة لأنه إنما يعنى أنه قد أتاهم بشر مثلهم من ولد آدم عليـــه السلام، وهو أحج. وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم فيكون أفهم لهم بأن يأخذوه عن رجل منهم»[٤].

وقد يكون تقديمه اعتبار التشبيه لترجيحه له عن اعتبار المعنى الثانى الذى هو إرادة الأخوة فى القبيلة الموضوعة له كلمة(أخ) كما هو ظاهر كـــلام الزجـــاج، بقرينة مقابلته بمعنى التشبيه الذى قدمه عليه.

---

(١) عروس الأفراح ٣٩٣/٣.

(٢) سورة الأحقاف ٢١.

(٣) المفردات ١٣.

(٤) لسان العرب ٤٠.

ومن شواهد الأخوة فى الدين قوله تعالى:﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

وقد تكون الأخوة فى الجنس وصفاته كما فى قوله تعالى.﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [2].

بقى لنا أن نعرف ما إذا كانت كلمة (أخ) عند استعمالها فى غير ما وضعت له- من أدوات التشبيه- كما قيل- أم لا.

والحق الذى لا غموض فيه أن الكلمة عند استعمالها فى غير المشارك فى أب أو أم أو رضاع على القول بأنها ليست موضوعة له- لا تكون أداة تشبيه وإنما تكون فى التركيب واقعة مشبها به. فقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [3].فيه جملة تشبيه (إنما المؤمنون أخوة) وطرفا التشبيه (المؤمنون) المشبه و(إخوة) هى الشبه بـه وأداة التشبيه الكاف محذوفة أى أن المؤمنين فيما يجمعهم من المحبة والقطاع التنازع والعداوة بينهم كأخوة الرحم سواء.

هذا إذا وجد طرفا التشبيه أما إن لم يوجد المشبه ولم يكن منويا فإن المجيء بلفظ (أخ أو أخت) عندئذ يكون على سبيل الاستعارة فقولة تعالى:﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾ [4] يكون لفظ (أخا عاد) مستعارا بعد أن شبه به هود ثم حذف واستعمل مكانه.

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) سورة الزخرف ٤٨.

(٣) سورة الحجرات ١٠.

(٤) سورة الأحقاف ٢١.

وكذلك قوله تعالى:﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴾[(١)] فإن كلمة (أخت) هنا على القول بأن هارون هذا رجل صالح فى زمانها شبهوها به [(٢)] مستعارة واستعملت مكان (مريم).

وعبارة الراغب « ويستعار فى كل مشارك لغيرة فى القبيلة أو فى الدين أو فى صنعة......»[(٣)] تحتمل أن يكون مرادا بالاستعارة الاستعارة الاصطلاحية وان يكون مرادا بها التشبيه المحذوف الأداة – كالأمثلة التى معنا– على القول بأنه استعارة.

وبهذا يكون قد تبين لنا تهافت القول بأن كلمة (أخ) من أدوات التشبيه... وإنما تفيد الحكم بثبوت مدلولها (المشارك فى أب أو أمّ أو رضاع) للمحكوم عليه إن كان كذلك ، وإن لم يكن كذلك كان تشبيها مع حذف أداة التشبيه، وإن حذف المشبه كان على سبيل المجاز.

١٩- كلمة (صنو):

جاءت كلمة (صنو) بغير صيغة الإفراد فى قوله تعالى:﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(٤)].

والصنو فى الأصل الغصن الخارج من أصل شجرة معه آخر، وذلك كأن تطلع نخلتان أو أكثر من عرق واحد، فتسمى كل واحدة صنوا... والاثنان صنوان بكسر النون، والجمع صنوان بضم النون مع التنوين كما فى الآية[(٥)] .

---

(١) سورة مريم ٢٨.

(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٥٠٨ والبحر المحيط ٦/ ١٨٦.

(٣) المفردات ١٣.

(٤) سورة الرعد ٤.

(٥) ينظر المفردات ٢٨٧ ولسان العرب ٢٥١٣.

وقد جاء فى اللسان ما يدل على أن الكلمة اتسعت دلالتها الوضعية فلم تبق خاصة بالنبات، وصارت تدل على مشارك فى الأصل.

قال:« والصنو الأخ الشقيق، والعم والابن، والجمع أصناء وصنوان، والأنثى صنوة، وفى حديث النبى ﷺ :« عم الرجل صنو أبيه». قال أبو عبيد: معناه أن أصلهما واحد. قال: وأصل الصنو إنما هو فى النخل. قال شمر: يقال فلان صنو فلان. أى أخوه ولا يسمى صنوا حتى يكون فيه آخر» (١).

وعبارة السبكى تؤصل المادة فى الدلالة على المشارك غيره فى أصله مطلقا، دون التصريح بأن أصل وضعها للغصنين اشتركا فى أصل واحد.

قال: «الصنو تصاريفه تدل على أنه المشارك لغيره فى الأصل الذى خرجا منه، فالإنسان صنو أخيه لاشتراكهما فى أب أو أم، وصنو عمه أو أبيه، لاشتراكهما فى الجد. والغصنان الخارجان من شجرة صنوان» (٢).

لكن الزمخشرى يرى أن الكلمة فى غير الغصنين المشتركين فى أصل مجاز، قال: « ومن المجاز هو شقيقه وصنوه. قال:

أتتركنى وأنت أخى وصنوى فيا للناس للأمر العجيب(٣)

وكلامه يحتمل أن يكون مراده بالمجاز مطلق مجاز الكلمة عما وضعت له أوّلاً واتساع دلالتها فى اللغة.

أو أن يكون مراده المجاز الاصطلاحى فيكون المثالان المذكوران من باب الاستعارة على القول بأن التشبيه البليغ استعارة.

---

(١) لسان العرب ٢٥١٣.

(٢) عروس الأفراح ٣٩٣/٢.

(٣) أساس البلاغة ٢٦٠.

بقي لنا أن نقول: إن كلمة (صنو) تجرى على الحد الذى بيناه فى كلمة (أخ) من أنها ليست أداة تشبيه. فاستعمالها فى كلام غير مراد بها مدلولها اللغوى يكون على سبيل التشبيه المحذوف الأداة إن كان المشبه مذكورا مثل: أخـوك صـنوك وخالد صنو عمرو. فأداة التشبيه الكاف المحذوفة وليست كلمة (صنو) وان كان المشبه غير مذكور كانت على سبيل الاستعارة مثل قابلنى صنوك. وهكذا.

لا يبقى معنا إلا كلمات ذكروا انها من أدوات التشبيه. ورأينا أنها ليـست كذلك.

٢٠- منها (أفعل التفضيل) فقد حكى البهاء السبكى أنها من الأدوات [١].

والحق أن أصل دلالة صيغة أفعل التفضيل الإخبار بالمعنى على سبيل المفاضلة لا التشبيه. ففى قولنا: العسل أحلى من عصير الفاكهة تدل هذه الـصيغة علـى مجاوزة العسل العصير فى الحلاوة. والكلام وإن أفاد اشتراك الاثنين فى الصفة إلا ان هذه الأفادة ليست قصدا وأصالة. وإنما من مضمون الكلام بحكـم اشـتراك المتفاضلين فى الصفة التى يقع فيها التفاضل. فالتشبيه ليس مدلولا عليه بأداة وإن كان مستفادا من الكلام. هذا فضلا عن اختلاف إفادة التشبيه بأفعل التفـضيل عن إفادته بالكلمات الأخرى: مثل وشبه وغيرها... لأن مبناه أن المفضل يفـوق المفضل عنه ويجاوزه، فليست فيه دعوى إلحاق شيء بشيء لأن الكلام يدل على اختلافهما فى الصفة زيادة ونقصانا دون أن يلحق الناقص بالكامل كما هو شأن ما يدل على التشبيه... أو ما يفيده من هذه الكلمات.

٢١- ومن هذه الكلمات (ياء النسيب) فقد حكي- أيضا- البـهاء السبكى عن عبد اللطيف البغدادى فى قوانين البلاغة أنها من أدوات التـشبيه [٢]

---

(١) عروس الأفراح ٣/٣٩٢-٣٩٣.

(٢) عروس الأفراح ٣/٣٩٢-٣٩٣.

وهذا لا يخفى بعده. لن الذى يفيد التشبيه فى بعض شواهدها المقام وليس الياء، بدليل علم اطراد هذه الإرادة وتخلفها فى بعض الأمثلة. فان كان قولنا: وردى وأحمرى يفيد التشبيه بالورد والشىء الأحمر، فان قولنا: مصرى وسودانى لايفيد التشبيه بالمصرية والسودانية.

٢٢- **ومنها صيغة (تفعل)** بتشديد العين التى ذكر العصام فيها إمكان الذهاب إلى كونها من أدوات التشبيه فى مثل: تحلم وتصبى، أى صار كالحليم وكالصبى [(١)].

ومن الواضح أن التشبيه لا يستفاد من صريح الكلام وإنما يستفاد ضمنا. كما أنه ليس فى الكلام مشبه به مذكور صراحة.

٢٣- **ومن هذه الكلمات- أيضا- كلمة (سواء)** والكلمة لا تدل على التشبيه، وإنما تفيد الحكم بالتشابه وسنذكرها فى مبحثه إن شاء الله تعالى.

---

(١) الأطوال ٢/٨٨.

المبحث الثانى
- أداتا التشبيه-

أولا - الكاف:

يقولون : إن الكاف هى الأصل فى الدلالة على التشبيه، معللين ذلك ببساطتها. أى كونها حرفا واحدًا لا تركيب فيها [١] لأن التركيب من شأنه أن يؤدى إلى خصوصية فى المعنى، فالمركب يدل على أصل المعنى وزيادة، كما هو الشأن فى (كأن) من دللتها على التشبيه المؤكد. أما الكاف فلا تدل إلا على الأصل، وهو التشبيه.

وهى أى الكاف الجارة- عند سيبويه «حرف جر للتشبيه»[٢] ويرى معه كثير من المحققين أنها لا تكون اسمية مرادفة لكلمة (مثل) إلا فى الشعر للضرورة. كقول العجاج:

بيض ثلاث كنعاج جم　　　يضحكن عن كالبرد المنهم [٣]

ويرى أبو حيان- أيضا – ان اسميتها خاصة بالشعر ، مع أنه فى كثير من مواضعها فى القرآن الكريم يعربها اسما بمعنى (مثل) موافقا غيره فى ذلك. [٤]

وكثير من النحويين منهم الأخفش والفارسى- يجوزون إعرابها اسما فى الاختيار. ففى نحو: زيد كالأسد، يجوز ان تكون الكاف فى موضع رفع والأسد مخفوضا بالإضافة. وقد ذُكِرَ ذلك كثيرا فى كتب المعربين [٥].

---

(١) ينظر شروح التلخيص ٣٨٥/٣.

(٢) الكتاب ٢١٧/١.

(٣) من مشطور السريع المكسوف، والنعاج: جمع نعجة، وهى البقرة الوحشية، والجم الكثير، أوجمع جماء التى لا قرن لها، والمنهم: الذائب. انظر مغنى اللبيب وحاشية الأمير عليه ١٥٤/١.

(٤) البحر المحيط ٦٢/١ وانظر أيضا- ٢٤٦/١، ٤٣٥، ٤٧٤ ٢٣٤/٢، ٤٦٦ ،٥/ ١٥٤.

(٥) ينظر مغنى اللبيب ١٥٤/١.

والزمخشرى عند تفسير قول الله تعالى:﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [١] وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾[٢] – نجده يرجع الضمير فيهما إلى الكاف، وهذا لا يكون إلا اذا كانت اسما.. ويذكر تعليلا حسنا بأن الضمير (ها) لا يرجع إلى الهيئة التى أضيفت إليها الكاف، لأنها – اى الهيئة – ليست من خلقه، ولا من نفخه فى شيء»[٣].

والمعانى التى ذكروها للكاف الحرفية خمسة: التشبيه، مثل: زيد كالأسد. والتعليل: واستشهدوا له بآيات عدة منها قوله تعالى:﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [٤] والتوكيد، مثل قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٥] والاستعلاء: كما فى قول بعضهم: كخير، جوابا للسؤال: كيف أصبحت؟ أى على خير. والمبادرة، مثل صل كما يدخل الوقت. أى صل مبادرا دخول الوقت[٦].

وشواهد الكاف الجارة فى القرآن الكريم تجرى كلها على التشبيه، وإن حمل بعض منها على التعليل، وبعض آخر على التأكيد.

وسيكون حديثنا عن هذه المعانى الثلاثة: التشبيه، والتعليل ، والتأكيد، دون المعنيين: الرابع والخامس، لبعد حمل بعض الآيات عليها.

---

(١) سورة آل عمران ٤٩.

(٢) سورة المائدة ١١٠.

(٣) ينظر الكشاف ١/٤٣١، ٦٥٣.

(٤) سورة القصص ٨٢.

(٥) سورة الشورى ١١.

(٦) ينظر مغنى اللبيب ١/١٥١ وما بعدها.

وسنبدأ – أولا– بالحديث عن التشبيه بها، ثم نردفه بالشواهد التى أمكن للعلماء حملها على معنى التعليل، ثم نختم بالشواهد التى قال بعض المفسرين: إن الكاف فيها زائدة، على أن تكون الشواهد التى تفيد التشابه فى مبحثه.

وجميع شواهد الكاف الجارة فى القرآن الكريم ستة وخمسون ومئتا شاهد وقعت فى اثنتين وأربعين ومئتى آية كررت بعض الشواهد فى آيات منها.

«التشبيه بالكاف»

يدل تتبع شواهد التشبيه بالكاف فى القرآن الكريم، وإنعام النظر إليها– أن الكاف تأتى للتشبيه مطلقا.

ومعنى إطلاق مجيئها للتشبيه أن لها سعة فى الاستعمال، دون (كأن) والكلمات الأخرى التى تفيد الحكم بالمشابهة. فهى تأتى فى ضروب من التشبيه لا تأتى فيها هذه الكلمات، فضلا عن مشاركتها (كأن) والكلمات الأخرى فى الدلالة على ما تدل عليه هذه الكلمات، وبيان هذا الإجمال فيما يأتي:

أولا: تختص الكاف بتشبيه الأفعال والأحوال المدلول عليها بالمصدر الصريح أو المؤول ببعضها عندما يكون القصد إلى مطلق المشابهة فى حصول الفعل، لا مماثلة مخصوصة بين الأفعال والأحوال، فى صفاتها وخصائصها بحيث يصلح لإفادتها كلمة (مثل) وليست –أيضا– مشابهة فى هيئة الفعل وصورته بحيث يصلح لإفادتها كلمة (شبه).

يشهد لوجود هذا الفرق بين دلالة الكاف على التشبيه وبين إفادته بكلمة (مثل) قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾[1] فقد ذكروا أقوالا عدة فى ما نزلت فيه، فقيل: فى مسيلمة، والأسود العنسى، وقيل: فى النضر بن الحرث،

---

(١) سورة الأنعام ٩٣.

وقيل: في عبدالله بن سعد أبي سرح العامري. وقال أبو حيان:« قال عكرمة : أولها في مسيلمة، وآخرها في ابن أبي سرح »[١] .

وأنا أميل إلى هذا الرأي، لأن مسيلمة ادعى نزول الوحي عليه وسخافاته في ذلك كثيرة. أما القصة في ابن أبي سرح فتحكى أنه عندما أملى عليه رسول الله ﷺ - قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [٢] عجب عبدالله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين. فقال عليه الصلاة والسلام: اكتبها فكذلك أنزلت. فشك عبدالله وتوهم أنه يستطيع أن يقول مثل القرآن [٣].

فالمجيء بكلمة (مثل) لأفادة الحكم بالمماثلة بين كلامين جنسا وصفة. لمن مراده: أنه ينزل كلاما- أي ينظمه - يماثل ما نزل على الرسولﷺ - في جنسه وصفته.

أما لو جاءت الكاف فإنه لا تتعين الدلالة على ذلك لأن الكلام عندئذ سيحتمل الدلالة على التشبيه بين الفعلين في الوقوع لا غير، أو أن تكون الكاف بمعنى (مثل) صفة لمصدر محذوف، أو لمفعول به محذوف، لأننا لو قلنا - في غير القرآن - أنزل كما أنزل الله كان المعنى: إما أنه يقع إنزال كما وقع من الله، وإما أنزل إنزالا مماثلا لإنزال الله في صفته، أو كلاما مماثلا لكلام الله في صفته.

ونظير ذلك قولك لمخاطبك: سافر كما سافر فلان، فإنه يحتمل أن يكون المعنى: ليكن منك سفر كما كان من فلان سفر. وعند القصد إلى ذلك يتعين المجيء بالكاف، ولا يصح المجيء بكلمة (مثل) لكون التشبيه بين الفعلين في مطلق الوقوع. ويحتمل أن يكون المعنى ليكن منك سفر مماثل لسفر فلان. وعندئذ يصح

---

(١) البحر المحيط ٤/١٨٠ وانظر جامع البيان ٧/٢٧٢.

(٢) سورة المؤمنون ١٤.

(٣) ينظر الكشاف ٢/٣٥.

المجيء بـ (مثل) لأن التشبيه عندئذ بين طبيعة السفرين وصفاتهما. خلافا للاحتمال الأول.

وعليه لو فسرنا المثال على المعنى الأول بقولنا: إن المعنى سافر مثلما سافر فلان- كان خلفا من القول، لأن بين المفسر والمفسر به فرقا، هو الفرق بين الكاف و(مثل) وهذا ملحظ دقيق ومهم.

ومما يزيد ما قلناه تأكيدا النظر في معنى قوله تعالى:﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١) فالمقام يدل على أن المماثلة بين اعتداءين في صفاقما، لا في مجرد الأمر بحصول الاعتداء ردا على المعتدى لأن المعنى – والله أعلم- اعتدوا عليه اعتداء مماثلا لاعتدائه عليكم ليرتدع ولا يعود إلى ما فعل. يدل على ذلك سياق الآية (ولا تعتدوا) أى قابلوه بمثل ما فعل معكم، ولا تجاوزوا حد المماثلة، ولا يخفى أن النهي عن مجاوزة الحد إعلام بالوقوف عند الحد وهو المماثلة.

إذًا المقام والسياق لهما أهمية في تحديد معنى التشبيه بالكاف، وأى المعنيين السابقين يراد بها. يتجلى ذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٢).

يحمل الزمخشرى- عفا الله عنه- الكاف في قوله تعالى (كخلقه) على معنى (مثل) قائلا:«يعنى أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين، قد خلقوا مثل خلق الله،

(١) سورة البقرة ١٩٤.

(٢) سورة الرعد ١٦.

فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم»[١] ويسلك مسلكه أبو حيان قائلا: «أجعلوا لله شركاء موصوفين بالخلق مثل خلق الله، فتشابه ذلك عليهم»[٢] ونحن لا نتحرج إذا قلنا : إن كلام الشيخين فى هذا المعنى غير دقيق . وتحرير القول فى ذلك : أن مجئ الكاف – هنا – دون (مثل) لأجل أنها هى التى تناسب الغرض . وهو – والله اعلم – إنكار أن يخلق العباد شيئا ، وذلك فى مقام إثبات الوحدانية لله تعالى وتفرده بالخلق والإيجاد ، لا إنكار مماثلة خلقهم لخلق الله الذى تفيده (مثل) جل وعلا عن الشبيه والنظير .

ويؤيد كون الغرض نفى الخلق من أساسه سياق الآية الكريمة ، فقد سبق جملة التشبيه إنكار اتخاذ أولياء من دونه ، ونفى أن يملك أحد غيره نفعا أو ضرا ، وامتناع استواء النقيضين ، ومجئ قوله تعالى : (قل الله خالق كل شئ) بعد جملة التشبيه . مثبتا كون الخلق كله لله ، ومقررا انتفاءه عمن عداه . فلم تأت (الكاف) فى سياق نفى مماثلة خلق غير الله لخلقه ، فتثبت بذلك مخلوقا لهم ، وإنما أتت لإنكار الخلق من أساسه . وهو ما تختص به الكاف فى الدلالة .

وخصوصية الكاف فى الدلالة على هذا المعنى بمساعدة المقام والسياق – أولى فى نظرنا مما ذهب إليه ابن المنير – طيب الله ثراه – لدفع معتقد الزمخشرى من أن غير الله وهم العبيد يخلقون أفعالهم ، ولكن لا يخلقون مثل خلق الله ، لأن الله تعالى يخلق الجواهر والأعراض ، والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم على زعمه[٣]. لأن مجئ الكاف هنا للدلالة على المشابهة فى الفعل من حيث الوقوع ، لا المشابهة فى الفعل من حيث صفاته وما يتعلق به ، ولا للمشابهة بين مخلوق

---

(١) الكشاف ٣٥٥/٢.

(٢) البحر المحيط ٣٧٩/٥.

(٣) ينظر الإنصاف على الكشاف ٣٥٥/٢.

ومخلوق ، فتوجه الإنكار إلى مجرد وقوع الخلق لا للمشابهة بين خلق واقع فعلا من الله وخلق غيره كما يزعم المبطلون.

ثانيا: ومن خصوصيات الكاف اتساع مجالها فى الاستعمال. فبينما لكل كلمة من الكلمات التى تفيد الحكم بالمشابهة معنى تختص به دون أخواقا، نجد الكاف تستعمل للدلالة على المعانى التى تدل عليها هذه الكلمات، فضلا عما تختص به الكاف. كما سيتضح بعد بمشيئة الله.

والكاف فى دلالتها على هذه المعانى حقيقة فيها، وليست مجازا فى بعضها. إذ لم يقل أحد من العلماء إنها موضوعة لمعنى واحد، ووجه من وجوه الشبه دون غيره. فتعيين المعنى المراد منها تعيين دلالة اللفظ المشترك على أحد معانيه.

خلافا لدلالة الكلمات الأخرى على معنيين، إذْ هى حقيقة فى معنى معين، مجاز فى غيره، لأنهم عينوا معانيها.

ثالثا: تتميز الكاف عن غيرها بامكان الإتيان بها فى التشبيه لجميع الأغراض التى ذكرها البلاغيون، من بيان الحال، ومقدارها، وتقريرها، وإمكان المشبه، وتزيينه، وتقبيحه، واستطرافه، أما الكلمات الأخرى فإنه لا تطرد إفادة جميع الأغراض بها ، لاختصاص كلّ منها بمعنى تدُل عليه يناسب بعض الأغراض دون بعضها الآخر[1].

فمثلا- كلمة (عدل) وما يشتق منها، لما كانت للدلالة على المساواة بين طرفين فى أمر حسى أو معنوى، اختلفا أو اتفقا جنسا - كان مجيئها لبيان الحال، أو المقدار، وكلمة (صنو) لما كانت للدلالة على المشاركة فى الأصل فإنها تستعمل عند بيان الحال، ولا تستعمل عند بيان المقدار. وهكذا تتميز كل كلمة بمعنى يناسب غرضا ما.

---

(١) ذكرنا فى المبحث السابق ما تفيده هذه الكلمات، فجدّد بها عهدا.

رابعا: لتميز الكاف عن (كأن) فإنهم قالوا: بإفادتها (أى كأن) التشبيه عندما يكون خبرها جامدا، أما عندما يكون خبرها مشتقا ففى إفادتها التشبيه مناقشة ستأتى عند الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

تشبيه الأفعال والأحوال بالكاف:

إذا تتبعنا شواهد (الكاف) فى القرآن الكريم سنلحظ أن أكثرها جاء فى تشبيه الأحوال والأفعال بعضها [1] ولعل السر فى ذلك – والله أعلم- ما كان للقرآن الكريم من اهتمام بالدعوة إلى التوحيد، وبيان الأحكام والتشريعات، والإخبار عن أحوال الأمم السابقة وضرب الأمثال... مما اقتضى كثرة تشبيه الأفعال والأحوال ببعضها بيانا وإرشادا، وتنبيها وزجرا. بل ما كان اهتمام القرآن الكريم بالصور التشبيهية المتعلقة بالذوات والأشخاص إلا من حيث ما لها من أفعال وصفات ترتبط ببيان مقاصده.

وتشبيه الأفعال والأحوال بالكاف يأتى على ضربين: ضرب يكون القصد منه إلى مطلق المشابهة بين الفعلين اللذين هما المشبه والمشبه به فى مطلق الوجود والوقوع خارجا، وهو ما ألمحت إليه قبل وبينت أنه من خصوصيات الكاف فى الدلالة، وشواهد هذا الضرب على كثرتها من باب التشابه.

وضرب آخر يلحظ فيه شهرة الوجه أو كماله فى المشبه به عن المشبه، بأن يراعى فى الوجه بمساعدة قرائن المقام والسياق بعض الصفات أو الكيفيات فيكون التشبيه عندئذ تشبيها اصطلاحيا يحصل به بيان الخفى بالظاهر وإلحاق الناقص بالكامل.

ولتحقيق هذا الفرق بين الضربين ننظر إلى دلالة التشبيه فى الآيات الآتية:

---

(١) يراد بالفعل- هنا- الحدث والعمل الذى يقع، أى المعنى اللغوى لا النحوى .

١- * قال تعالى:﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١)

فى الآية إيجاز حذف، والمعنى: فضربوه فأحياه الله، كذلك يحيى الله الموتى. فالتشبيه بين الفعلين فى مجرد الوقوع ليس غير. وكلام السلف رحمهم الله واضح فى ذلك. يقول الطبري: «اعتبروا بإحيائى هذا القتيل بعد مماته، فإنى كما أحييته فى الدنيا فكذلك أحيى الموتى بعد مماتهم»(٢) ويقول أبو حيان: « المماثلة إنما هي فى مطلق الإحياء لا فى كيفية الإحياء» (٣) فالتشبيه هنا من الضرب الأول. وإن كان الأولى بأبي حيان أن يقول : " التشبيه إنما هو فى مطلق الإحياء " لما بين المماثلة ومطلق الإحياء من التدافع ، كما سبق أن بيّنا.

٢- قال تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٤) .

فى قوله (كذلك الله يفعل ما يشاء) التشبيه ليس في مجرد وقوع العمل كالآية السابقة، وإنما هو تشبيه فعل بفعل آخر على صفة معينة، يدل على ذلك مقام الآية وسياقها. لأن الآية فى مقام الحديث عن فعل غريب مشار إليه باسم الإشارة، وهو تكون الولد من أب فانٍ وأم عاقر، فالمعنى: مثل هذا الفعل الغريب يفعل الله ما يشاء، فالفرق بين هذه الآية والتي قبلها واضح. والتشبيه هنا من الضرب الثاني. ونظير هذه الآية أيضا.

(*) سنرقم جميع شواهد الكاف ترقيما واحدا بما فيه شواهد التشابه، وما يعاد الاستشهاد به سيوضع رقمه السابق بين معقوفين هكذا [ ].

(١) سورة البقرة ٧٣.

(٢) جامع البيان ٣٦١/١.

(٣) البحر المحيط ٢٦٠/١.

(٤) سورة آل عمران ٤٠.

٣- قول الله تعالى:﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[١].

أى مثل ذلك الخلق العجيب من غير أن يكون على السنة المعهودة من طريق أب. كذلك يخلق الله ما يشاء من غير توقف على الأسباب الظاهرة.

ولزيادة تحقيق هذا الفرق علينا أن ننظر إلى البيان النبوي الجليل في قوله ﷺ: « لا تُطروني كما أُطرِي عيسى بن مريم، وقولوا عبد الله ورسوله»[٢] فإنه ﷺ نهى أصحابه والأمة كلها أن تبالغ في مدحه بالباطل، فيصل بها الأمر إلى مدحه بما ليس له، كما فعلت النصارى بادعاء أن المسيح ابن الله.

فالكاف هنا بمعنى (مثل) أى لا يكن منكم إطراء عَلَيّ مماثل للإطراء الذى كان من النصارى على عيس بن مريم مجاوزين فيه الحد، وليس النهى عن مطلق الإطراء، إذ مدح الرسول ﷺ ، والثناء عليه، وإجلاله، وإنزاله المنزلة اللائقة بـه فرض على جميع الأمة.

وفى ضوء الرؤية للضربين سنتناول شواهد الضرب الثانى التى تعد من التشبيه الاصطلاحي- حسب تنوعها. إذ تكون تارة بمعنى (مثل) عند دلالة الكاف على المماثلة في جنس الفعل وصفته. وأخرى بمعنى (شبه) إن دلت على الفعل وهيئته وصورته. أو تكون بمعنى (مساو) إن دلت على المساواة بين الفعلين في المقدار.

---

(١) سورة آل عمران ٤٧.

(٢) هذا جزء من حديث طويل فى صحيح البخاري، فى كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ٤/١١٠. وقوله (لا تطرونى) (بضم التاء) أى لا تبالغوا فى مدحى بالباطل.

الكاف بمعنى (مثل):

تكون الكاف بمعنى (مثل) عند تشبيه الأفعال ببعضها إن اتفقا في الجنس والصفة دون ما يقع به التمايز، وتتجلى هذه الدلالة في الشواهد الآتية:

٤- قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ (١)

في الآية شاهدان: قوله تعالى(آمنوا كما آمن الناس) والمعنى: آمنوا إيمانا مماثلا إيمان من كمل في جنس الإنسانية بأن صدقوا بما جاء به محمد ﷺ من عند ربه بحيث لا يكون إيمان ادعاء، كمن يقولون: (آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)(٢) قال العلامة السيد:« ولفظ (ما) في (كما) إن كانت كافة للكاف عن العمل مصححة لدخولها كان التشبيه بين مضموني الجملتين ، أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم، وإن كانت مصدرية – فالمعنى آمنوا إيمانا مشابها لإيمانهم »(٣).

وقوله تعالى حكاية عنهم: (أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء) التشبيه فيه- يفيد أيضا- معنى مثل. فهم ينكرون – خيبهم الله- أن يؤمنوا إيمانا مماثلا لإيمان المؤمنين. فالإيمان الذى يطالبون به وهم يرفضونه إيمان له صفات معينه لا تتحقق المماثلة إلا بها.

٥- قال تعالى:﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة ١٣.

(٢) ينظر جامع البيان ١/١٢٧.

(٣) حاشية السيد على الكشاف ١/١٨٢.

(٤) سورة البقرة ١٠٨.

ليس الإنكار لمطلق وقوع سؤال وإنما هو إنكار لسؤال معهود من قولهم اجعل لنا إلهًا.. وأرنا الله جهرة وغير ذلك . فالكاف للدلالة على المماثلة بين فعلين جنسا وصفة.

٦- قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [١].

الكاف في (كذلك..) بمعنى (مثل) لأنّ التشبيه ليس في مجرد قول بدلالة المقام والسياق، فالقول الذى تشابهوا فيه معروف من صدر الآية ومجيء (مثل) صريحة في الدلالة على هذه المماثلة. فالمقالتان أى مقالة اليهود والنصارى ومقالة الذين لا يعملون توافقتا، حذوك النَّعْلَ بالنَّعْل.

٧- قال تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢] والقول فيها مثل الآية السابقة.

٨- قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٣].

٩- وقال تعالى:﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة ١١٣.

(٢) سورة البقرة ١١٨.

(٣) سورة البقرة ١٤٦.

(٤) سورة الأنعام ٢٠.

(كما يعرفون أبناءهم) أى معرفة واضحة مثل معرفتهم أبناءهم في الوضوح وعدم اللبس والخفاء. قال الزمخشرى:«كما يعرفون أبنائهم بحلاهم ونعوقهم، لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم »[1] فطرفا التشبيه فعلان اتفقا جنسا وصفة فتحققت المماثلة بينهما.

١٠- قال تعالى:﴿ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾[2] مقام الآية من إعلان سياسة الحرب ومعاقبة المعتدى ليرتدع وما في السياق من الإتيان بالمصدر الصريح المضاف إلى الكافرين بما له من دلالة على الوقوع وعلة هذا الجزاء- كل ذلك دليل على أن الكاف بمعنى (مثل) لدلالتها على المماثلة في الجنس والصفة.

١١- قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [3]

(كالذي ينفق ماله رئاء الناس) أى إبطالا كإبطال الذى ينفق ماله رئاء الناس. هذا على إعراب الكاف نعتا لمصدر محذوف، أما إن كانت في موضع الحال- أى لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذى ينفق ماله رئاء الناس فيبطلها بالرياء. [4] فإن الكاف عندئذ لا تكون للمماثلة بين الأفعال وإنما لتشبيه الذوات.

---

(١) الكشاف ٢/١٠

(٢) سورة البقرة ١٩١.

(٣) سورة البقرة ٢٦٤.

(٤) ينظر البحر المحيط ٢/٣٠٨.

١٢- قال تعالى:﴿ كَالَّذِينَ من قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ منكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ من قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(١).

غرضنا – هنا- مرتبط بالشاهدين الثاني والثالث: قوله تعالى(كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) أى استمتاعا مثل استمتاع من سبقكم فهو غاية في الفعل والتمكن منه وامتلاك جميع وسائله، وقوله: (كالذى خاضوا) أى وخضتم خوضا مثل الخوض الذى خاضوه، أو مثل خوضهم، على أن (الذى) موصول اسمى أو حرفى (٢) والتشبيه عندئذ تشبيه بين الأفعال، والكاف بمعنى (مثل) قال الزمخشرى : «كالذي خاضوا – كالفوج الذى خاضوا، أو كالخوض الذى خاضوا»(٣) وعلى تفسيره الأول يكون التشبيه بين الذوات لا الأفعال.

١٣- قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾(٤).

(كما يعبد آباؤهم) أى عبادهم تماثل عبادة آبائهم من الشرك، بلا تفاوت. هذا على اعتبار (ما) في (كما) و(كما) مصدريه، أما على كونها موصولا اسميا فتكون المماثلة بين الذوات .

١٤- قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٥) قال الزمخشرى: «فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها»(٦) .

(١) سورة التوبة ٦٩.

(٢) ينظر منار السالك إلى أوضح المسالك ١/ ٧٧.

(٣) الكشاف ٢/٢٠١.

(٤) سورة هود ١٠٩.

(٥) سورة هود ١١٢.

(٦) الكشاف ٢/٢٩٥.

١٥- قال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[١].

أى استقم استقامة من جنس ما أمرك الله به من الحنيفية السمحة.

١٦- قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٢].

(كما أمنتكم) ائتمانا من جنس الائتمان السابق المصحوب بالوعود المؤكدة، والذى يتخوف منه.

١٧- قال تعالى: ﴿قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٣] أى مثل ذلك الجزاء من إسترقاق السارق نجزى الظالمين بالسرقة لا نحيد عنه. فالتشبيه مراعى فيه خصوصية فى الجزاء لا مطلق وقوع جزاء، فالكاف بمعنى (مثل).

١٨- قال تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾[٤].

التشبيه بين الأفعال، وتقدير المعنى«إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه»[٥] فالكاف بمعنى (مثل)

(١) سورة الشورى ١٥.

(٢) سورة يوسف ٦٤.

(٣) سورة يوسف ٧٥.

(٤) سورة الرعد ١٤.

(٥) الكشاف ٢/٣٥٤.

والتشبيه تشبيه تمثيل، وطبيعة التمثيل استكمال الأوصاف التى تتحقق بها المماثلة بين الطرفين.

١٩- قال تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً﴾ (١).

(كما زعمت) أى إسقاطا مثل الإسقاط الذى زعمت القدرة عليه. قال الزمخشرى: «يعنون قول الله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ﴾(٢).. (٣) فالكاف بمعنى (مثل).

٢٠- قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٤).

أى يستأذن الأطفال استئذانا مماثلا استئذان المماليك فى الآية السابقة « يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات.. » فالمشبه به له صفات معينة فى الوقت والعدد، وليس التشبيه فى مطلق وقوع إذن. فالكاف بمعنى (مثل)- والتشبيه الثانى له موضعه.

٢١- قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥).

---

(١) سورة الإسراء ٩٢.

(٢) سورة سبأ ٩.

(٣) الكشاف ٢/٤٦٦.

(٤) سورة النور ٥٩.

(٥) سورة النور ٦٣.

(كدعاء بعضكم بعضا) أى دعاء مثل دعاء بعضكم بعضا باسمه الذى سمى به، بأن تقولوا يا محمد كما ينادى الواحد منهم أخاه باسمه- فالكاف جاءت للدلالة على المماثلة على سبيل النهى عن هذه المماثلة. ودلائل السياق، من النهى ومن كون المشبه به دعاء بعضهم بعضا- واضحة فى أن الكاف بمعنى (مثل).

٢٢- قال تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾(١)

أى مثل الذى نفعله من عبادة الأصنام فَعَل آباؤنا، لا شيء غيره. ومقام دفع إنكار إبراهيم عليه السلام عبادتهم بأنهم يماثلون آباءهم وتقديم اسم الإشارة (ذا) المشبه به، لإفادة حصر عبادتهم فى ذلك- كل هذا دليل على أن الكاف بمعنى (مثل).

٢٣- قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ (٢).

الشاهد (كغلى الحميم) أى يغلى غليانا مثل غلى الحميم فى شدته وصعوبته.

٢٤- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣).

أى صبرا مثل صبر أولى العزم الذى تحملوا فيه شدائد الإيذاء من قومهم وممن يدعوهم. فليس التشبيه فى مجرد صبر، وإنما هو صبر له خصوصية بأولى العزم.

---

(١) سورة الشعراء ٧٤.

(٢) سورة الدخان ٤٣ إلى ٤٦.

(٣) سورة الأحقاف ٣٥.

٢٥- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾(١).

الكاف فى (كجهر بعضكم لبعض) للمماثلة فى الجنس والصفة. من كونه جاريا بينهم، لكن ليس ذلك على سبيل الاستهزاء، لأنهم منزهون عن ذلك. وإنما هو جهر فيه بعض التسامح.

٢٦- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾(٢).

شبه الله تعالى يأسهم فى أن يكون لهم حظ فى الآخرة بيأسهم من رجوع موتاهم بجامع انقطاع الأمل. أو شبه يأسهم من التوبة والرحمة وهم أحياء فى الدنيا بيأسهم وهم أحياء فى انقطاع أسباب الإيمان والعمل فـ (من) ابتدائية على الأول، ولبيان الجنس على الثاني (٣).والتشبيه لإلحاق الناقص بالكامل، ودلت الكاف على المماثلة بين الطرفين فى الجنس والصفة.

٢٧- قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً﴾ (٤).

أى ظنوا مثل ظنكم فى جنسه وصفته. فالتشبيه ليس فى مطلق ظن، وإنما فى ظن ضلال وعمى بأن الله لن يبعث أحدا.

وقد يكون المشبه به حالا مفهومه من كلام سابق مشارا إليها باسم إشارة واقع فى اللفظ مشبها به كما فى الآية الآتية:

---

(١) سورة الحجرات ٢.

(٢) سورة الممتحنة ١٣.

(٣) ينظر الكشاف ٩٦/٤ والبحر المحيط ٢٥٩/٨.

(٤) سورة الجن ٧.

٢٨- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[١].

(كذلك كنتم من قبل) المشبه به الحال المفهومة من الكلام السابق التى كان عليها ملقي السلام، المشار إليها باسم الإشارة. أى كانت حالكم أول ما دخلتم الإسلام مثل هذه الحال، لا تملكون لتحصين أنفسكم إلا النطق بالشهادة دون نظر إلى بواطن نفوسكم[٢].

وقد يكون التشبيه بين الأحوال محمولا على المعنى، فيقدر المصدر تبعا لما يقتضيه هذا المعنى، كما فى الآية الآتية.

٢٩- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[٣].

(كما قال عيسى...) المعنى لا يستقيم إلا بتقدير محذوف إذ لا شبه بين كون المسلمين أنصار الله وبين قول عيسى.. لأن الشبه بين كونهم أنصارا للنبي ﷺ وكون الحواريين أنصارا لعيسى عليه السلام، فوجب أن يكون التقدير: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله[٤].

---

(١) سورة النساء ٩٤.

(٢) ينظر الكشاف ١/٥٥٥/ والبحر ٣/٣٢٩.

(٣) سورة الصف ١٤.

(٤) ينظر الكشاف ٤/١٠١ وشروح التلخيص ٣/٣٨٨.

ومن تشبيه الأفعال بالكاف فى الشعر للدلالة على المماثلة قول الأعشى يصف ناقته:

عنتريس تعدو إذا مسها السو ط كعدو المصلصل الجوال [1]

أى تعدو مثل عدو حمار الوحش فى نشاطه وسرعته، فالتشبيه فى جنس العدو وصفته.

وقال فى فضل الشعر:

والشعر يستنزل الكريم كما اســ تنزل رعد السحابة السيلا [2]

يشبه استنزال الشعر عطاء الكرام واستخراجه باستخراج الرعد ماء السحابة وخيرها. فالكاف فى هذا البيت والذى قبله بمعنى (مثل).

ومما لا يستقيم التشبيه فيه إلا بتقدير فى الكلام قول الأعشى: [3]

تسمع للحلى وسواسا إذا انصرفت

كما استعان بريح عشرق زجل [4]

يشبه خشخشة حلى المرأة التى يصفها بخشخشة شجيرة لعبت بها الريح. وواضح أن تشبيه وسواس الحلى باستعانة الشجرة بالريح لا يستقيم وإنما المعنى: تسمع صوتا كما تخشخش شجيرة لعبت بها الريح.

---

(١) ديون الأعشى ١٦٥- والعنتريس: الصلبة القوية. والمصلصل: حمار الوحش لشدة نهيقه.

(٢) ديوان الأعشى ١٧١.

(٣) جئنا بهذا الشاهد لجريانه على أسلوب القرآن الكريم فى آية الصف ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله...﴾.

(٤) ديوان الأعشى ١٤٤ والوسواس: الصوت، والعشرق: شجرة.

الكاف بمعنى (شبه)

قد تأتي الكاف عند تشبيه الأفعال بها دالة على هيئة الفعل وصورته، قائما بفاعله، مرتبطا بمتعلقاته. فتكون عندئذ بمعنى (شبه) وشواهدها ما يأتي:

٣٠- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١).

(كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى قياما يشبه قيام المصروع بمس الشيطان فى صورته وهيئته من خلط حركاته وتخبطه نتيجة لما يستفزه من الطمع.

٣١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (٢).

(كما لعنا أصحاب السبت) التشبيه فى الصورة والهيئة من المسخ قردة وخنازير بدلالة مقام التهديد ووقوع هذا اللعن فى سياق ذكر المسخ فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(٣).

٣٢- قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة ٢٧٥.

(٢) سورة النساء ٤٧.

(٣) سورة البقرة ٦٥.

(٤) سورة الأنعام ٧١.

(كالذى استهوته الشياطين) ذكر أبو حيان إعرابين للكاف قائلا: «وموضع- كالذى- نصب، قيل. على أنه نعت لمصدر محذوف أى ردا مثل رَدّ الذى. والأحسن أن يكون حالا. أى كائنين كالذى.....»[(١)] والرأيان لا يختلفان فى أن التشبيه بصورة وهيئة مشاهدة، وأن الكاف بمعنى (شبه) لكن على كونه وصفا يكون تشبيها بين فعلين والنظر إليهما أصاله. مع تعلقه بالفاعل والمفعول. وعلى كونه حالا يكون التشبيه بين ذاتين في هيئتهما وصورتهما البادية للعيان. صوّر من رجع على عقبه بصورة من لعبت به الشياطين وأصابته بالحيرة والتخبط.

٣٣-قال تعالى:﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[(٢)].

(كما خلقناكم أول مرة) أي مجيء يشبه مجيئكم عند خلقكم أول مرة، منفردين عن الأولاد والأموال والأوثان التي عبدتموها من دون الله، تشبهون في هذه الصورة وهذه الهيئة ما كنتم عليه عند الخلق الأول، فالكاف بمعني (شبه).

٣٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[(٣)].

---

(١) البحر المحيط ١٥٨/٤.

(٢)سورة الأنعام ٩٤.

(٣) سورة التوبة ٣٦.

(كما يقاتلونكم كافة)- كافة- في الموضعين حال من الفاعل أو المفعول، أي قاتلوهم قتالا بهيئتكم وصورة النفير العام لا يتخلف منكم أحد كما يفعلون ذلك معكم. أو قاتلوهم جميعاً لا تتركوا منهم أحداً وعاملوهم جميعاً معاملة المحارب. كما يفعلون معكم. والكاف وإن دلت- أيضا- علي المماثلة في صفات أخري غير حسية مشاهدة، إلا أنه لما كان عنصر الحسيات أكثر ظهوراً وإدراكاً فإن حمل الشواهد التي من هذا القبيل على كون الكاف بمعنى (شبه) يكون أحق وأولى.

٣٥- قال تعالى : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾[1].

(كما دخلوه أول مرة) قال أبو حيان: (أى بالسيف والغلبة والإذلال) فالكاف دلت على الشبه فى الصورة والهيئة المشاهدة ، فهى بمعنى (شبه).

٣٦- قال تعالى : ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾[2].

(كما خلقناكم أول مرة) اى مجيئا يشبه مجيئكم أول مرة حفاة عراة غرلا ، لا شئ معكم .

٣٧- ﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾[3].

(كما أرسل الأولون) أى إتيانا يشبه إتيان الأولين بالآيات المشاهدة المحسوسة التي فيها خوارق للعادات ولا تكون كلاما مفترى من عنده.

---

(١) سورة الإسراء ٧.

(٢) سورة الكهف ٤٨.

(٣) سورة الأنبياء ٥ .

قال أبو حيان : ((الكاف في – كما أرسل – يجوز أن تكون في موضع النعت لآية و – ما أرسل – في تقدير المصدر . والمعنى بآية مثل آيـة إرسـال الأولين ، ويجوز أن يكون في موضع النعت لمصدر محذوف ، أى إتيانا مثل إتيان الأولين، أى مثل إتيانهم بالآيات))[1] والكاف على التقديرين بمعنى (شـبه) إلا أنها على التقدير الأول تكون تشبيها بين الذوات والأشياء ، فليست شاهدا لهذا الموضع ، وعلى التقدير الثاني تكون شاهدا له ، وهو التشبيه بين الأفعال.

٣٨- قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [2] .

(كطي السجل للكتب) طيا يشبه طي الكاتب صحائفه فالتشبيه لصورة الحركة فالكاف بمعنى (شبه) والشاهد الثاني من شواهد التشابه.

٣٩- قال تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [3]

(كالذي يغشى عليه) أى ينظرون إليه نظرا يشبه نظر المغشي علية تراه يقلبه هنا وهناك . فالكاف بمعنى شبه ، لأن التشبيه في صورة مشاهدة.

٤٠- قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [4]

---

(١) البحر المحيط ٢٩٨/٦.

(٢) سورة الانبياء١٠٤.

(٣) سورة الأحزاب ١٩.

(٤) سورة محمد ١٢ .

(كما تأكل الأنعام) أى أكلا يشبه فى صورته وهيئته أكل الأنعام فى مسارحها ومعالفها وهى فى غفلة ولهو عما يضمر لها. وهذه هيئة الكافر وصورته عند أكله، فالكاف بمعنى (شبه) أو أن أكلهم مجرد عن الفكر والنظر، فهم يعيشون عيشة جهل وغفلة [1] ولا يلحظ عندئذ الصورة الحسية. على أن مراعاه الصورة المشاهدة تستلزم معنى الغفلة. ولما كان تلقى الصورة المشاهدة من التشبيه أسرع من الشبه العقلى استشهدنا بالآية للكاف بمعنى (شبه).

ومن شواهد الكاف بمعنى (شبه) فى الشعر عند تشبيه الأفعال الأبيات الآتية:

فمن قصيدة (ودع هريرة) يقول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعا أيها الرجل

غراء فرعاء مصقول عوارضها

تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل [2]

يصفها بالبياض وطول الشعر وجمال الأسنان، وفى قوله (كما يمشى الوجى الوحل) يشبه حركة مشيها فى تمايلها واهتزازها بحركة من يمشى فى الوحل ومن يشتكى شيئا. والذى يعنينا أن الكاف دلت على الصورة المشاهدة فهى بمعنى (شبه).

وأبدع منه فى وصف هذا التمايل والتبختر قول طرفة:

فذالت كما ذالت وليدة مجلس

ترى ربها أذيال سحل ممدّد [3]

---

(١) انظر الكشاف ٣/٥٣٢ والبحر المحيط ٨/٧٧.

(٢) القصيدة فى ديوانه ١٤٤ – وغراء: بيضاء– فرعاء: طويلة الشعر– عوارضها: أسنانها– الوجى: الدابة تشتكى حافرها. الوحل: الواقع فى الوحل.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال ١٨٥. ومعنى ذالت: ماست وتبخترت. سحل ممدد: ثوب أبيض مرسل.

يصف تبختر ناقته في مشيتها مشبها له بتبختر الجارية في مجلس سيدها. فالكاف في (كما ذالت) بمعنى (شبه) أي ذيلا يشبه ذيل وليدة.

ويقول الشماخ يصف رسوم الديار:

أتعرف رسما دارسا قد تغيرا

بذروة أقوى بعد ليلى وأقفرا

كما خط عبرانية بيمينه

بتيماء حبر ثم عرض أسطر [١]

يشبه صورة رسم الديار وهيئة خطوطه وآثاره غير الشاخصة بما يكتبه حبر يهودي بالعبرية دون تحسين. فالكاف في (كما خط) بمعنى (شبه) لأن التشبيه هنا في صورة مشاهدة.

الكاف بمعنى (يساوي)

قد تأتي الكاف عند تشبيه الأحوال والأفعال دالة على المساواة في المعنى الذي يشترك فيه الطرفان. ونلحظ في شواهد هذه الدلالة في القرآن الكريم اعتمادها على قرائن السياق. كذلك جاءت الكاف لهذه الدلالة بين فعلين مختلفين جنسا. وشواهد ذلك ما يأتي:

٤١- قال تعالى﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[٢].

---

(١) ديوان الشماخ ١٢٩. والرسم: ما لا شخص له من الآثار. وذروة: بلدة. وتيماء: بلد في أطراف الشام، وعرض: كتب على عجلة ولم ينمق. والحبر: واحد أحبار اليهود.

(٢) سورة البقرة ١٦٥.

(كحب الله) أى يحبونهم حبا مساويا حبهم لله. فالكاف- هنا - بمعنى (مساو) يدل على ذلك قرينة السياق (والذين آمنوا أشد حبا لله) إذ لو لم تكن هذه القرينه موجودة لاحتمل المعنى الإخبار بأنهم يحبونهم مثل حبهم لله دون نظر إلى المساواة. قال الزجاج : " يحبونهم كحب الله - أى يسوون بين هذه الأوثان وبين الله - عز وجل- فى المحبة، وقال بعض النحويين: يحبونهم كحبكم أنتم لله. وهذا قول ليس بشيء، ودليل نقضه قوله (وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ) والمعنى أن المخلصين الذين لا يشركون مع الله غيره هم المخلصون حقا" [1]، وقال أبو حيان ((الكاف فى موضع نصب، إما على الحال من ضمير الحب المحذوف على رأى سيبويه، أو على أنه نعت لمصدر محذوف ، على رأى جمهور المعربين. التقدير على الأول: يحبونهم أى الحب مشبها حب الله، وعلى الثانى: حبا مثل حب الله))[2].

ونحن نرى أن جعله الكاف بمعنى (شبه) مرة و (مثل) أخرى لايتفق مع ما بيناه من أن الكاف بمعنى (مساو) إذ لا مشابهة فى صورة. ولا مماثلة فى الجنس والصفات.

٤٢- قال تعالى:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾[3].

(كذكركم آباءكم) أى ذكرا مساويا ذكركم آباءكم، بقرينة (أو أشد ذكرا) قال الزجاج: ((كانت العرب إذا قضت مناسكها وقفت بين المسجد بمنى

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٢١/١.

(٢) البحر المحيط ٤٧٠/١.

(٣) سورة البقرة ٢٠٠.

وبين الجبل فتعدد فضائل آبائها، وتذكر محاسن أيامها، فـأمرهم الله أن يجعلـوا ذلك الذكر له، وأن يزيدوا على ذلك الذكر، فيذكروا الله بتوحيـده وتعديـد نعمه. لأنه إن كان لآبائهم نعم فهي من عند الله- عز وجل- وهـو المـشكور عليها)) [١]. وكون الكاف هنا بمعنى (مساو) أوضح من أن يخفى.

٤٣- قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُـواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْـشَوْنَ النَّـاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَـى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[٢].

(كخشية الله) أي خشية تساوي خشيتهم الله، بل قد تزيـد عنـها لـشدة جهلهم.

٤٤- قال تعالى:﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِـدَةٍ إِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٣].

(كنفس واحدة) أي تساوي خلق نفس واحدة ((أي سواء في قدرته القليل والكثير، والواحد والجمع، لا يتفاوت)) [٤] فالكاف بمعنى (مساو).

وقد جاءت للمساواة بين المختلفين جنسا في هاتين الآيتين:

٤٥- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٦٤.

(٢) سورة النساء ٧٧.

(٣) سورة لقمان ٢٨.

(٤) الكشاف ٣/٢٣٦.

(٥) سورة النحل ٧٧.

(كلمح البصر) أى مساو للمح البصر فى السرعة، وهذا تشبيه للخفى بالظاهر. قال أبو حيان((قيل-: لما كانت الساعة آتية ولا بد جعلت من القرب كلمح البصر. وقال الزجاج: لم يرد أن الساعة تأتى فى لمح البصر، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها، أى يقول للشىء كن فيكون. وقيل هذا تمثيل للقرب، كما تقول: ما السنة إلا لحظة))[١] فالكاف أفادت المساواة على سبيل التخييل والتمثيل بين طرفين اختلفا فى الجنس. وساعد على معنى المساواة قرينة قوله (أو هو أقرب).

٤٦- قال تعالى:﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [٢].

(كلمح بالبصر) قال الزمخشرى ((إلا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر أراد قوله: (كن) ...)) [٣] . وقال أبو حيان: ((تشبيه بأعجل ما يحس))[٤] فالتشبيه لإخراج المعقول فى صورة محسوسة تقريبا لإدراك أن قدرة الله لا حدود لها.

ويعتمد فهم معنى المساواة من التشبيه فى الآية على المقام وقرينة السياق العام؛ فقد جاء التشبيه بـ (لمح البصر) دلالة على المساواة فى آية سورة النحل السابقة مصحوبا هذا التشبيه بقرينة سياقية وهى قوله تعالى: (أو هو أقرب).

الكاف ومعنى (نظير)

جاءت الكاف دالة على معنى (نظير) فى الآية الآتية:

٤٧- قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾[٥].

---

(١) البحر المحيط ٥٢٠/٥.

(٢) سورة القمر ٥٠.

(٣) الكشاف ٤٢/٤.

(٤) البحر المحيط ١٨٣/٨.

(٥) سورة العنكبوت ١٠.

المعنى والله أعلم أنهم يجعلون فتنه الناس فى صرفها لهم عن الإيمان نظير عذاب الله فى صرفه عن الكفر والمعاصى[١].

والمناظرة بين الطرفين تحققت بجعل أثر كل منهما بإزاء الآخر وتقابل أثرهما. وليست الكاف للمماثلة؛ لأن ((الفرق بين المثل والنظير أن المثلين ما تكافآ فى الذات، والنظير ما قابل نظيره فى جنس أفعاله وهو متمكن منها، كالنحوى نظير النحوى، وإن لم يكن له مثل كلامه فى النحو أو كتبه فيه، ولا يقال: النحوى مثل النحوى، لأن التماثل يكون حقيقة فى أخص الأوصاف وهو الذات))[٢].

وحال الطرفين فى الآية ليس كذلك، إذ المشبه جنسه الفتنة، والمشبه به جنسه العذاب. وقد اتفقا فى الفعل وتمكنا منه، وهو الصرف، لكنه فى المشبه صرف عن الإيمان وفى المشبه به صرف عن العصيان.

تشبيه الذوات بالكاف

عندما يؤتى بالكاف لتشبيه الذوات ببعضها فإن التشبيه يكون على ضربين: ضرب يكون بين طرفين متفقين جنسا وصفة، وضرب يكون الطرفان فيه مختلفين جنسا متفقين صفة.

الضرب الأول: وهو ما يكون الطرفان فيه متفقين جنسا وصفة يتنوع نوعين:

(النوع الأول) هو ما تكون فيه الصفة التى حصل فيها الاتفاق صفة معنوية، مفردة كانت أو هيئة مركبة. والكاف فى هذا النوع تكون بمعنى (مثل) لتحقيق المماثلة ذاتا وصفة، ولا تكون بمعنى (شبه) لارتباط الشبه بالوجه الحسي، وقد تكون بمعنى (مساو) بمساعدة القرائن. وشواهد هذا النوع ما يأتى:

---

(١) ينظر الكشاف ١٩٨/٣ والبحر المحيط ١٤٣/٧.

(٢) الفروق فى اللغة ١٤٨.

٤٨- قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١].

(أو كالذى) معناه أو أرأيت مثل الذى مر [٢].

فالسؤال عن رؤية إنسان مماثل للمذكور فى صفاته من الشك والإنكار والسؤال. فالكاف بمعنى (مثل) لتحقق المماثلة فى الذات والصفات المقصودة من الآية.

ويذهب ابن ناقيا إلى ان الكاف فى الآية زائدة، قال: «وقد ورد لفظ التشبيه بغير تشبيه، كقوله تعالى: (أو كالذى مر على قرية) وإنما ذلك معطوف على معنى الكلام الأول فى قوله تعالى: (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه) أو كالذى مر على قرية، وموضع الكاف نصب بـ (تر)....[٣]».

ويبدو من آخر كلامه رجوعه عن القول بزيادة الكاف، لأن كون الكاف فى موضع النصب أنها اسم بمعنى (مثل) فهى للتشبيه الذى نفاه أول كلامه.

[١٢] قال تعالى: ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً... الآية ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩.

(٢) انظر الكشاف ١/٣٨٩.

(٣) الجمان فى تشبيهات القرآن ٧٣.

(٤) سورة التوبة ٦٩.

(كالذين من قبلكم) أى أنتم أيها المنافقون مثل الذين من قبلكم فى الاستمتاع بالقوة والأولاد والخوض فى الأحاديث الكاذبة، فأنتم جنس واحد وملة واحدة. فالكاف دلت على المماثلة جنسا وصفة.

ومن قبيل هذا النوع التشبيهات التى تكون فى سياق نهى أو نفى (١).

ويكون مآل التشبيه فيها على فرض وقوع مدلوله خارجا إلى الاتفاق فى الجنس والصفة. وذلك من جهة كون الجنسية ترتكز على الصفة التى يقوم عليها عقد التشبيه. وتكون الكاف عندئذ بمعنى (مثل) وشواهد ذلك الآيات الآتية :

---

(١) قد يعرض للشواهد التى مبناها النهى، أو نفى التشبيه أنها لا تدخل فى التشبيه. لما فى التشبيه والنفى معا من المناقضة . على أننا استشهدنا بها هنا لأمرين: الأول: أنه لا بدع فى ذلك ولا مخالفة ما دمنا رأينا القوم قد سلكوها فى شواهد التشبيه. فعلى سبيل المثال نرى الرمانى عند حديثه عن التشبيه وبيان وجوهه التى يأتى بما يدخل من هذه الأمثلة فى شواهده (النكت فى إعجاز القرآن ٨٠ وما بعدها) ويذكر ابن أبى الأصبع ما قاله الرمانى فى هذه الوجوه، ومنها ((إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار، كقوله تعالى «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر» التوبة ٩- تحرير التحبير ١٥٩ وما بعدها. ونرى الطيبى وغيره -أيضا- يستشهدون بقولة تعالى: (ليس كمثله شىء) الشورى ١١ ويتحدثون عن قلب التشبيه فى قولة تعالى: (أفمن يخلق كمن لا يخلق)) النحل ١٧ مع أن التشبيه فى الآيتين فى سياق النفى ينظر التبيان للطيبى ٢٠١، ٢١٤ والكشاف ٤٠٥/٢ ، ٥٣٣/٣ والبحر المحيط ٤٨١/٥ ، ٥١٠/٧ ومن استشهادات الإمام عبدالقاهر للتشبيه المبنى على التخييل فى سياق النفى قول أبى الطيب المتنبى:

لم تحك نائلك السحاب وإنما ... حمّتْ به فصبيبها الرحضاء

أسرار البلاغة ٢٢٣ وأمثلة أخرى كثيرة فى هذا الباب.

الثانى: أن استشهادهم بهذه الأمثلة دليل على اتساع دائرة دلالة التشبيه بأن يكون عقده دالا على مشاركة أمر لآمر فى معنى. أعم من أن تكون هذه المشاركة عند المتكلم فيخبر بها على سبيل الإثبات، أو واقعة عند من يساق من أجله الكلام مخاطبا أو سامعا فيخبر بها على سبيل النفى. وأعم أيضا من أن يكون التشبيه فى أسلوب خبر أو إنشاء.

٤٩- قال تعالى:﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

(ولا تكونوا كالذين تفرقوا) أى مثلهم فى الردة بعد الإيمان، فالنهى عن شىء يكون مآله المماثلة فى الجنس والصفة، فالكاف بمعنى (مثل).

٥٠- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٢).

أى لا تكونوا مثلهم بالاعتقاد الخاطىء والمقالة الباطلة، لأنكم بذلك تكونون من جنسهم وعلى كفرهم ونفاقهم.

٥١- قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾(٣). نهى عن الكذب الذى هو ركيزة الوصف بالنفاق. فالكاف بمعنى (مثل) لكون التشبيه فى أمر معنوى.

٥٢- قال تعالى : ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(٤). نهى عما يكونون به من جنس الصادين عن سبيل الله.

---

(١) سورة آل عمران ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران ١٥٦.

(٣) سورة الأنفال ٢١.

(٤) سورة الأنفال ٤٧.

٥٣- قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(١).

اى لا تكونوا من جنس من ينقض ما أبرمه وعاهده بجودة الصنع. فالكاف بمعنى (مثل).

٥٤- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾(٢).

أى لاتقولوا فى نبيكم مثل ما قالوا فى نبيهم، فتصيروا مثلهم ومن جنس المحاربين أنبياءهم المبغضين لهم. فالكاف فى سياق نهى عن المماثلة.

٥٥- قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٣).

أى مثلهم فى الغفلة والنسيان ومن جنس قساة القلوب وعلى صفاقم.

٥٦- قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤).

نهى عن مماثلة الكافرين فى نسيان الله واتباع الهوى.

ويتضح من شواهد النهى السابقة أن الصفة التى وقع النهى عنها هى الأساس الذى تقوم عليه المماثلة، بصيرورة الطرفين جنسا واحدا، يدل على ذلك

---

(١) سورة النحل ٩٢.

(٢) سورة الأحزاب ٦٩.

(٣) سورة الحديد ١٦.

(٤) سورة الحشر ١٩.

التشبيه فى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾(١) فالتشبيه فى صفة المشاركة للكافرين فى باطلهم والبقاء معهم فى مجالسهم عند الاستهزاء بآيات الله. وذلك على سبيل النهى عنه. والطرفان وإن اتفقا فى جنس البشرية إلا أنهما يختلفان فى الإيمان والكفر اللذين إليهما مآل الافتراق إلى جنسين آخرين لكل منهما صفاته التى يتميز بها. ويكون مآل الاتفاق فى الصفة التى نهت عنها الآية إلى صيرورة الطرفين جنسا واحدا. لأن مناط تحديد الطرفين جنسا هو هذه الصفة.

لكن لا يطرد كون الصفة المنهى عنها هى مناط تحديد جنسية الطرفين إذ قد يكون الطرفان متفقين جنسا ويتحقق بالاتفاق فى هذه الصفة تمام المشابهة، كما فى الآية الآتية.

٥٧- قال تعالى﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٢)

أى لا تكن مثله فى الضجر عند الشدة. فالكاف للمماثلة التامة جنسا وصفة عند تحقق الضجر المنهى عنه.

(المماثلة بين الهيئات)

وتأتى الكاف بمعنى (مثل) عند تشبيه الهيئات المركبة بعضها فى وجه شبه عقلى مركب. وشواهد ذلك جاءت فى القران الكريم فى معرض ضرب الأمثال، بتشبيه قصتين فيهما غرابة ببعضهما، بما تضم إحداهما من ذوات وأشخاص لها أحوال الأخرى وصفاتها. فتحقق بتشبيه هذه القصة بتلك- بما تضمان من عناصر مختلفة- المماثلة.

---

(١) سورة النساء ١٤٠.

(٢) سورة القلم ٤٨.

وتجيء كلمة (مَثَل) بفتح الثاء- في الطرفين مرادا بها هذه القصة العجيبة، إذ هي تستعار من معناها العرفي الذى هو القول السائر المشبه مضربه بمورده للقصة التي فيها غرابه، بجامع الغرابه فيهما [١].

٥٨- قال تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَـهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾[٢].

مثل الله سبحانه وتعالى حال المنافقين العجيبة الشأن من تجملهم بظاهر الإسلام ليحقنوا دماءهم ويشاركوا فى الغنائم ويتمتعوا بما يتمتع به المسلمون، ثم إطلاع الله رسوله والمؤمنين على ما فى نفوسهم... بحال الذى استوقد نارا يستضيء بها، ثم لم يلبث أن زال ضوؤها ونورها، بجامع الهيئة الحاصلة من وجود الطمع مع الأسباب القريبة له ثم تعقب الحرمان لزوال تلك الأسباب ، فالكاف بمعنى (مثل) لدلالتها على تماثل الطرفين فى هذه الهيئة.

٥٩- قال تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ﴾[٣] هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين.و (أو) هنا- لإباحة التشبيه بأيهما ((أى إن مثلتموهم بالمستوقد فذلك مثلهم، وإن مثلتموهم بالصيب فهو لهم مثل، أو مثلتموهم بهما جميعا فهما مثلاهم ، فالتمثيل مباح لكم فيهم))[٤] والكاف بمعنى مثل.

٦٠- قال تعالى:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٥].

---

(١) ينظر الكشاف وحاشية السيد عليه ١/١٩٥.

(٢) سورة البقرة ١٧.

(٣) سورة البقرة ١٩.

(٤) الجمان فى تشبيهات القرآن /٦٩.

(٥) سورة البقرة ١٧١.

ذكروا تفسيرات عدة لبيان معنى التشبيه فى هذه الآيــة. منــها أن المثــل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق، وتقدير التشبيه: ومثل الذين كفروا فى دعــائهم آلهتهم التى لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه، لا ينتفع بنعيقه بشئ غير أنــه فى عناء ، وكذلك الكافر ليس له من دعائه آلهته وعبادته أوثانه إلا العناء. وقيل: إن المثل مضروب بتشبيه داعى الكافر بالناعق على حذف مضاف، فقد شبه داعــى الكافر فى دعائه إياه بالناعق بالبهائم فى كون الكافر لا يفهم مما يخاطبه به داعيــه إلا دوى الصوت دون إلقاء ذهن أو فكر، فهو يشبه الناعق بالبهيمة التى لاتسمع من الناعق بها إلا دعاءه ونداءه، ولا تفهم شيئا [١].

٦١- قال تعالى:﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَــلِ حَبَّــةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِــعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢]. الكاف للدلالة على تماثل المثلين والتشبيه تمثيلي.

[١١] قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِــالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَــفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّــهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٣] (فمثله كمثل صفوان...) تمثيل لحال الذى يتصدق ثم يذهب ثواب صدقته بالمن والأذى والمباهاة، بحال الحجر الصلد الذى يصيبه المطر فيذهب بما عليه من تراب، هو مظنة الإنبات مع الماء، وذلك بجامع ذهاب ما كان يؤمل فيه ويعتقد ثبوته واستقراره[٤].

---

(١) ينظر البحر المحيط ٤٨١/١ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة ٢٦١.

(٣) سورة البقرة ٢٦٤.

(٤) ينظر البحر المحيط ٣٠٩/٢.

٦٢- قال تعالى:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

تمثيل – أيضا – لحال المنفق فى مرضاة الله بحال الجنة الكائنة فى مكان مرتفع يصيبها من المطر ما تزكو به، قل أو كثر.

٦٣- قال تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

مثل الله تعالى حال عيسى وشأن خلقه بحال آدم – على نبينا وعليهما الصلاة والسلام- بجامع الغرابة ومخالفة العادة.

وجاء التشبيه على المسلك المتبع فيه بتشبيه الخفى بالواضح، والضعيف فى الوجة بالأقوى. لأن الوجود من غير أب وأم كما هو شأن آدم أغرب فى خرق العادة من الوجود من غير أب كما هو شأن عيسى. فشبه الغريب بالأغرب، وتمت المماثلة بين الصفتين فى الغرابة، وبين آدم وعيسى[3].

٦٤- قال تعالى:﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[*].

قال ابن المنير:«أصل الكلام- والله أعلم- مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته»[4] فالتشبيه تشبيه تمثيل.

---

(١) سورة البقرة ٢٦٥.

(٢) سورة آل عمران ٥٩.

(٣) ينظر الكشاف ٤٣٣/١ والبحر المحيط ٤٧٧/٢.

(*) سورة آل عمران ١١٧.

(٤) الأنصاف على الكشاف ٤٥٨/١.

٦٥- قال تعالى:﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

تمثيل لحال المتهالك على الدنيا، من لزومه القلق والاضطراب فى طلبها بحال الكلب فى لزومه اللهث هيجته، أو تركته.

٦٦- قال تعالى:﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

شبه الله تعالى حال الدنيا فى سرعة فنائها بعد إقبالها بحال نبات الأرض ينمو ويزهر ويزين الأرض، ثم يجف بعد ذلك وتزروه الرياح.

٦٧-قال تعالى:﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾(٣).

تدل الكاف على معنى (مثل) سواء كان التشبيه تشبيه اثنين باثنين أم تشبيه واحد بوصفيه بواحد بوصفيه (٤).

٦٨- قال تعالى:﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾(١) تمثيل لأعمال الكافرين... بالرماد الذى تذروه الرياح..

(١) سورة الأعراف ١٧٦.

(٢) سورة يونس ٢٤.

(٣) سورة هود ٢٤.

(٤) ينظر الكشاف ٢/٢٦٤ والبحر المحيط ٥/٢١٢.

٦٩- قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾(٢).

٧٠- وقال تعالى:﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾(٣).

فى الآيتين تمثيل لصفة كلمة الإيمان بالشجرة الطيبة، وكلمة الكفر بالشجرة الخبيثة، فالكاف بمعنى (مثل) فى معرض التمثيل.

٧١- وقال تعالى:﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾(٤)

تمثيل لحال الدنيا تبدأ مزهرة نضرة ثم يكون الهلاك والفناء نهايتها بحال النبات يكون أخضر يانعا ثم يجف فتذروه الرياح. فالكاف بمعنى (مثل)

٧٢- قال تعالى:﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٥).

---

(١) سورة إبراهيم ١٨.

(٢) سورة إبراهيم ٢٤.

(٣) سورة إبراهيم ٢٦.

(٤) سورة الكهف ٤٥.

(٥) سورة النور ٣٥.

أى صفة نور الله العجيبة الشأن التى لتجلى فى إتقان صنعة المخلوقات جميعا، وما تدل عليه براهينه الساطعة على وحدانيته، وما يليق به، مثل هذه الصفة فى الوضوح كمثل النور الساطع الذى تجمعت له الأسباب ليبدو ساطعا متلألئا فالكاف بمعنى (مثل).

٧٣- قال تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(١) فى الآية تمثيل كالآيات السابقة.

٧٤- قال تعالى:﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾(٢)

قوله (كزرع أخرج شطأه). تمثيل لحال المؤمنين وصفتهم بالزرع الذى يخرج من الأرض ثم يؤازر بعضه بعضا، ويشتد فيفرح أصحابه ويغيظ أعداءهم.

٧٥- قال تعالى:﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٣).

(كمثل غيث) الكاف بمعنى (مثل).

---

(١) سورة العنكبوت ٤١.

(٢) سورة الفتح ٢٩.

(٣) سورة الحديد ٢٠.

٧٦- قال تعالى:﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

أي((مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب)) ([٢]) فهذا تمثيل والكاف بمعنى (مثل).

٧٧- قال تعالى:﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

تمثيل حالة بحالة. حالة الكفار مع المنافقين عند وعد المنافقين لهم بالوقوف معهم عند حربهم المؤمنين، ثم خذلانهم لهم عند ساعة الاختبار .. بحال الشيطان مع الكافر يضله واعدا له بالخير، ثم لا يعرفه عند الشدة، فالمنافقون كالشيطان، وبنو النضير كالإنسان الذي غوى[٤].

٧٨- قال تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٥].

تمثيل لحال اليهود الذين كلفوا بالتوراة ثم لم يقوموا بتكاليفها بحال الحمار الذي يحمل الكتب المليئة بما ينفع في الدنيا والآخرة لكنه لا ينتفع بها. فالكاف هنا بمعنى (مثل).

ومن قبيل تشبيه التمثيل من غير الإتيان بكلمة (مَثَل) في الطرفين الآيتان الآتيتان:

---

(١) سورة الحشر ١٥.

(٢) الكشاف ٨٦/٤.

(٣) سورة الحشر ١٦.

(٤) ينظر البحر المحيط ٢٥٠/٨.

(٥) سورة الجمعة ٥.

٧٩- ٨٠- قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ* أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[١].

فى الآية الأولى تمثيل لأعمال الكافرين بالسراب فى عدم النفع وزوال الرجاء... وفى الثانية بالظلمات الكثيفة التى لا خير فيها ولا نفع. والكاف فى التشبيهين بمعنى (مثل).

وتكون الكاف – أيضا– بمعنى(مثل) عند الإتيان بها للدلالة على المماثلة بين صفتين فى طبيعتهما وما يترتب عليهما. فيكون وجه الشبه هيئة معينة مركبة. لذا لا تكون الكاف بمعنى (شبه) وذلك فى الآيات الآتية:

٨١- قال تعالى:﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢].

٨٢- وقال تعالى:﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

٨٣- وقال تعالى:﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة النور ٣٩-٤٠.

(٢) سورة آل عمران ١١.

(٣) سورة الأنفال ٥٢.

(٤) سورة الأنفال ٥٤.

قال الزجاج:«أى كشأن آل فرعون. كذا قال أهل اللغة، والقول عنـــدى فيه- والله أعلم- أن (دأب) ههنا أى اجتهادهم فى كفرهم وتظاهرهم على النبى ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام»[١].

ويبدو من كلام أهل اللغة أن الطرفين مركبان من التكذيب والعذاب.وذلك لمساواة كلمة دأب كلمة (مَثَل) الذى هو الصفة العجيبة. أمـــا علـــى اختيـــار الزجاج فهما مفردان.

قال أبو حيان:«شأن هؤلاء فى تكذيبهم لرسول الله ﷺ وترتيب العذاب على كفرهم كشأن من تقدم من كفار الأمم، أخذوا بذنوبهم وعـــذبوا عليهـــا »[٢]. فالكاف تدل على المماثلة.

قال امرؤ القيس:

كدأبك من أم الحويرث قبلها

وجارتها أم الرباب بمأسل [٣]

أى شأنك مع هذه المرأة مثل شأنك مع غيرها من التعلق بهن وتحمل النصب والمشقة معهن.

الكاف بمعنى (مُساوٍ) :

وجاءت الكاف للدلالة على المساواة فى الصفة بين المتفقين جنسا فى هـــذه الآية:

٨٤- قال تعالى:﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٤].

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٣٨٠/١.

(٢) البحر المحيط ٣٨٩/٢.

(٣) من معلقة امرىء القيس (قفا نبك) الديوان ١١١ وشرح القصائد السبع ٢٧.

(٤) سورة الحج ٤٧.

فالمشبه والمشبه به من جنس واحد، والتشبيه للدلالة على مساواة يوم القيامة في شدته وقسوته وكثرة ما يلاقي فيه الإنسان بألف سنة بما في أيامها ولياليها من الشدائد، لأن أيام الشدائد مستطالة. أو ان المساواة في زمنه ووقته، أي طوله كطول ألف سنة [١].

فالكاف جاءت للدلالة على المساواة في الوصف الجامع للطرفين، ولا يعكر على كون معنى المساواة المقصود الأهم- لمح معنى المماثلة في الجنس والصفة. لأن ما ندركه هنا إبراز المساواة بين الطرفين في الصفة.

وقد تكون الدلالة على المساواة في سياق النفي كما في هذه الآية:

٨٥- قال تعالى:﴿ يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾[٢].

جاءت الآية الكريمة في مقام تفضيل جماعة نساء النبي ﷺ على جميع نساء الأمة، وفي سياق بيان تضعيف العذاب لمن تأتي منهن بفاحشة وتضعيف أجر من تعمل صالحا، ثم قررت الآية ذلك بنفي مساواتهن غيرهن في المنزلة سالكة إلى ذلك طريقتين: طريق التشبيه، إذ نفت الآية عن طريقه مساواة واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام لواحدة من النساء الأخريات، في إمكان وقوع فعل قبيح، أو ترخص في قول، كما يحصل من بعض النساء.

وطريق نظم الآية: إذ إن التقدير ((ليست واحدة منكن كأحد من النساء أي كواحدة من النساء، ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة))[٣].

---

(١) ينظر الكشاف ١٨/٣ والبحر المحيط ٣٧٩/٦.

(٢) سورة الأحزاب ٣٢.

(٣) الأنصاف على الكشاف ٢٥٩/٣.

هذا يضح أن الكاف هنا بمعنى (مساو) وليست بمعنى (مثل) لتحقق المماثلة بينهن وبين نساء الأمة في الجنس وفي كثير من الصفات، خاصة ما يتعلق بالأحكام- ما عدا ما يقع به التمايز، وهو مدلول (مثل) فلا يتأتى في الآية نفي المماثلة في هذا، ولكن يتأتى نفي المساواة الذي مآله بقاء ما يقع به التمايز.

ومن شواهد ذلك في الشعر قول طرفه بن العبد:

لا تجعليني كامرىء ليس همه

كهمّي ولا يغني غنائي ومشهدي (١)

لا ينهى طرفه أم معبد أن تجعله مثل هذا المرء الذي لايشبهه، بمعنى أنه لا يستحق ما تعامله به. ولكن معناه لا تسوي بيني وبين من لا يماثلني في شجاعتي وكرمي. فالكاف في قوله (كامرىء) بمعنى (مساو).

(النوع الثاني)

وهو ما يكون الطرفان فيه متفقين في الجنس والصفة، لكن الاتفاق في صفة حسية. وتكون الكاف في هذا النوع بمعنى (شبه) لارتباط الشبه بالصور والهيئات الحسية، وقد تأتي للمساواة، وشواهده ما يأتي:

٨٦- قال تعالى:﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢).

(١) البيت من معلقة طرفة - شرح القصائد السبع ٢٢٤.

(٢) سورة آل عمران ٤٩.

٨٧- وقال تعالى:﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ (١).

المعنى: هيئة تشبه هيئة الطير. فالكاف بمعنى (شبه).

٨٨- قال تعالى:﴿فأصبحت كالصريم﴾ (٢)

يخبر الله سبحانه بقصة أهل الجنة وأنه أهلكها لهم، ويصفها بأنها أصبحت تشبه فى صورتها وهيئتها المشاهدة الجنة التى صرم ثمرها، وقيل أصبحت مسودة تشبه الصريم. أى الليل(٣).

٨٩- قال تعالى:﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٤).

(عرضها كعرض السماء والأرض) أى مساو لعرض السماء والأرض فى بسطة المساحة وسعتها.

((الضرب الثانى))

وهو ما يكون الطرفان فيه مختلفين جنسا متفقين صفة. ويتنوع إلى نوعين:

((النوع الأول)):

وهو ما يكون الوجه فيه صفة معنوية. وفيه لا تكون الكاف بمعنى (مثل) لاختلاف الطرفين فى الجنس، ولا بمعنى (شبه) لكون الصفة معنوية لا حسية يمكن أن يدل عليها بلفظ (شبه).

---

(١) سورة المائدة ١١٠.

(٢) سورة القلم ٢٠.

(٣) ينظر الكشاف ٤/١٤٤.

(٤) سورة الحديد ٢١.

وشواهده ما يأتي:

٩٠- قال تعالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

(كالحجارة) شبّه الله القلوب بالحجارة في القسوة. والحجارة أوضح ما يصف الغفلة والجمود، لذا لما قصد المبالغة في هذه القسوة جاء الوصف بالشدة في قوله تعالى(أو أشد قسوة) وكان يمكن أن يقال (أو أقسى) فكان وصف القسوة بالشدة أبلغ في وصفه القلوب بالقسوة(٢).

ولما كان الطرفان مختلفين في الجنس. لكون ذات القلوب تخالف ذات الحجارة فليست الكاف هنا بمعنى (مثل) ولا يقال عند تفسير الآية: المعنى : مثل الحجارة إلا على جهة التسامح لتقريب المعنى. لأن المماثلة تكون في الذات وأكثر الصفات ما عدا ما يقع به التمايز كما يَتأتّى – أيضا– أن يقال: شبه أو شكل لكون هذه الكلمات لا تدل إلا على الشبه الحسي.

٩١- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٣).

٩٢- قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة ٧٤.

(٢) ينظر التصوير البياني ٢٧.

(٣) سورة الأعراف ١٧٩.

(٤) سورة الفرقان ٤٤.

(كالأنعام) فى الآيتين للتشبيه فى صفة معنوية، وهى عدم النظــر والاعتبــار لعدم العقل فى المشبه به تحقيقا وفى المشبه تنزيلا، فالثمرة فيهما معدومة واختلاف الطرفين جنسا واضح. فالكاف لا تدل على تمام المماثلة، وليست بمعنى (شــبه) لكونها- أى شبه- لا تكون إلا فى الصور المشاهدة.

ومن شواهد هذا النوع فى الشعر قول لبيد:

ما المرء إلا كالشهاب وضَوْئه

يحور رمادا بعد إذْ هو ساطع [(١)]

يشبه المرء فى حركته ونشاطه ثم موته بالقبس يضىء ثم يــصير إلى رمــاد.. بجامع النفع ثم انقطاعه، فالطرفان مختلفان جنسا، والوجه أمر معنوى لا حسى.

وقول زياد العجم فى هجاء الفرزدق:

وإنا وما تُهدى لنا إن هجوتنا

لكالبحر مهما يلق فى البحر يغرق [(٢)]

شبه نفسه وقومه بالبحر فى علو الشأن عــن التــأثر بــسفاسف الأمــور، واختلاف الطرفين جنسا واضح، والشبه معنوى، فهو مما تختص بــه الكــاف فى الدلالة.

وقد يأتى التشبيه من هذا النوع على سبيل النفى كما فى هذه الآية:

٩٣- قال تعالى:﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِــنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [(٣)].

---

(١) البيت فى الشعر والشعراء ٢٧٨/١.

(٢) البيت فى الشعر والشعراء ٤٣١/١.

(٣) سورة آل عمران ٣٦.

(وليس الذكر كالأنثى) نفى للمماثلة بين الذكر والأنثى التى ولدها امرأة عمران. أى ليس الذكر الذى طلبت (بضم التاء) مثل الأنثى التى أرادها الله وقضى بها، فهى خير منه؛ لأن الله اختارها هذا على أنه كلامها، وإن كان من كلام الله فالمعنى وليس الذكر الذى طلبت (بكسر التاء) كالأنثى التى وهبت لك فى الفضل والمزية [(١)]. فالتشبيه جاء فى سياق النفى، ويكون مآل نفى الصفة مع اختلاف الطرفين جنسا انتفاء المماثلة جنسا وصفة.

(النوع الثانى)

وهو ما يكون طرفاه مختلفين جنسا متفقين فى صفة حسية، موجودة فيهما على سبيل التحقيق أو التخييل، ودلالة الكاف فى هذا النوع تختلف تبعا للصفة المراد الشبه فيها، لأنها قد تكون من طريق حس الباصرة أو من طريق بقية الحواس الأخرى.

فإن كان التشبيه فى صورة مشاهدة وروعى فيها مجرد الاتفاق فى الهيئة والصورة المرئية دون نظر إلى القدر والمساحة كانت الكاف بمعنى (شبه) وشواهد ذلك الآيات الآتية :

٩٤- قال تعالى:﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[(٢)].

(كالمعلقة) الكاف بمعنى (شبه) لدلالتها على الشبه فى صورة مرئية وهيئة مشاهدة وإن كانت فى المشبه على سبيل التخييل، إذ شبهت المرأة بالشىء المعلق لا يستقر على الأرض، ولا على ما علق به.

---

(١) ينظر البحر المحيط ٤٣٩/٢.

(٢) سورة النساء ١٢٩.

٩٥- قال تعالى:﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [١].

(كالظل) أى يشبه فى ارتفاعه واسوداده واضطرابه الظل، وهى السحاب، او الجبال [٢] فالتشبيه فى الصورة المشاهدة والكاف بمعنى (شبه).

٩٦- قال تعالى:﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [٣].

(كالعرجون) شبه القمر بالعرجون؛ لأن المشاهد يرى لهما فى مرأى العين صورة واحدة؛ لأن العذق بعد القطع يتعرج وينعطف على بعضه ويزيده فى ذلك قدمه، وصورة القمر فى انحنائه وصفرته كذلك، فالتشبيه من ثلاثة أوجه لأنه إذا قَدم دَقّ وانحنى واصفر فمرجع التفصيل فى هذه الصورة المشاهدة كلمة (قديم)[٤].

٩٧- قال تعالى:﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [٥].

يصف الله تعالى الريح التى أصابت قوم عاد بأنها تجعل كل ما مرت عليه فى هيئته وصورته المشاهدة كالشيء البالى المتفتت، فالكاف بمعنى (شبه).

٩٨- قال تعالى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [٦].

أى هم فى صورة تحطمهم وتهشمهم بالريح كالحطب المتهشم فى حظائر المحتطب. فالكاف بمعنى (شبه).

---

(١) سورة لقمان ٣٢.

(٢) ينظر الكشاف ٢٣٧/٣ والبحر المحيط ١٩٣/٧.

(٣) سورة يس ٣٩.

(٤) ينظر الكشاف ٣٢٣/٣ والتصوير البيانى ٣٩.

(٥) سورة الذاريات ٤٢.

(٦) سورة القمر ٣١.

٩٩- قال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [١].

(كالدهان) كدهن الزيت فى الرخاوة، أو كالأديم الأحمر فى مرأى العين، فهى تتلون تلون الدهان المختلفة.

(١٠٠-١٠١) قال تعالى ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [٢].

قال الزمخشرى: ((كدُرْدِىّ الزيت، وعن بن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها. كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا، لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فإذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح))[٣] فالكاف فى الآيتين بمعنى (شبه) لكون الشبه فى الصورة المشاهدة. وسيأتى فى آيتين أخريين التشبيه بالمهل فى صفة أخرى له وهى الحرارة فلا تكون الكاف عندئذ بمعنى (شبه).

(١٠٢-١٠٣) قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [٤].

شبه الله تعالى صورة الناس يوم البعث بالفراش كثرة وانتشارًا وإنهم لخفتهم من الضعف والذل يتطايرون إلى الداعى من كل جانب.

((وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبوغ الوانا لأنها الوان، وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها))[٥].

---

(١) سورة الرحمن ٣٧.

(٢) سورة المعارج ٨-٩.

(٣) الكشاف ١٥٧/٤.

(٤) سورة القارعة ٤-٥.

(٥) الكشاف ٢٧٩/٤.

((فكأن التشبيه هنا يرتكز على أمرين : الأول : ما يكون من اختلاف الألوان فى الجبال المتحللة وهى جدد مختلفة الألوان فلا تكون كالصوف المنفوش فحسب، وإنما تتراءى كالصوف المصبوغ الذى احتوى ألوانا شتى. والثانى هو الخفة وصيرورة هذه الرواسى الثقال كأنها تلك القطع السابحة فى الهواء))[١].

وهذا يتضح أن الكاف هنا بمعنى (شبه) لمجيئها للدلالة على الشبه فى الصور المشاهدة.

١٠٤- قال تعالى:﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ [٢].

(كعصف) أى شبه ورق زرع آكله الدُّود، فهم هلكى فى مصارعهم فالكاف بمعنى (شبه).

وهذا النوع من التشبيه كثير فى الشعر قال لبيد:

أسهلت وانتصبت كجذع منيفة

جرداء يحصر دونها جرامها[٣]

يقول بعد سعى فى الجبال نزلت إلى السهل فنصبت الفرس عنقها من نشاطها ومرحها، تشبه فى صورتها جذع نخلة مشرفة طويلة تضيق صدور صرامها لارتفاعها. ومعلوم أن التشبيه فى هيئة الارتفاع دون قصد إلى المقدار. فالكاف بمعنى (شبه) .

وقال الأعشى يصف عوارض امرأة:

وتَفْتَرّ عن مُشْرِقٍ بارد

كشوكِ السيال أُسِفَّ النؤورا[٤]

---

(١) التصوير البيانى ٣٠.

(٢) سورة الفيل ٥.

(٣) البيت من المعلقة فى شرح المعلقات السبع ٥٨٢ ومعنى أسهلت: نزلت السهل- والمنيفة: النخلة الطويلة- يحصر يضيق.

(٤) ديوان الأعشى ٨٥- والسيال: نبات شوكه أبيض- وأسف: ذر عليه- والنؤور: دخان الشحم.

يشبه أسنانها فى دقتها وبياضها بشوك شجر السيال. فالكاف بمعنى (شبه).

وقال الشماخ :

وكلهن يبارى ثنى مطرد

كحية الطود ولى غير مطرود [١]

يشبه زمام الناقة فى اهتزازه والتوائه باهتزاز الحية وتلويها دالا على ذلك بقوله غير مطرود لأن المطرود من شأنه أن يسير سيرا مستقيما. والتشبيه فى الهيئة والصورة المشاهدة فالكاف بمعنى (شبه).

وقد لاحظنا فى الشواهد التى سبقت من هذا النوع أن التشبيه فى الصورة المشاهدة دون نظر إلى القدر والمساحة، لكن قد يكون التشبيه فى الصورة المشاهدة مراعى فيه ما بين المشبه والمشبه به من تقارب فى القدر والمساحة. عندئذ تكون الكاف بمعنى (شكل) وليست بمعنى (شبه) لما سبق أن قررناه من أن الشكل يراعى فيه المقدار والأبعاد، أما الشبه فلا يراعى فيه ذلك [٢] والشواهد التى تكون فيها الكاف بمعنى(شكل) ما يأتى :

١٠٥-قال تعالى : ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [٣].

(كالجبال) كل موجة كالجبل فى تراكمها وارتفاعها،فشكلها فى المقدار والعظم كشكل الجبل، فالكاف دلت على معنى (شكل) الذى فيه معنى (شبه) بزيادة النظر الى الجرم والمقدار.فالموجة منظور إلى هيئتها ومقدارها معا .

---

(١) الديوان ١١٤س٤- ويبارى: يعارض - ثنى: زمام مفتول.

(٢) انظر المفردات ٤٦٢.

(٣) سورة هود ٤٢.

١٠٦-قال تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[١].

(كالطود) أى فى شكل الجبل العظيم المنطاد فى السماء، فى مساحته وحجمه الضخم.[٢]

١٠٧- قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٣]

(وجفان كالجواب) أى كالحياض الكبيرة فى المساحة والسعة قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل ، قال الأعشى:

نفى الذم عن آل المحلق جفنة

كجابية الشيخ العراقى تفهق

ترى القوم فيها شارعين ودونهم

من القوم ولدان من النسل دردق[٤]

فالكاف فى الآية بمعنى (شكل) وكذلك فى البيت.

١٠٨- قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٥]

١٠٩- وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٦]

---

(١) سورة الشعراء ٦٣.

(٢) ينظر الكشاف ٣/١١٥.

(٣) سورة سبأ ١٣.

(٤) ديوان الأعشى ١٢١- والجابية: الحوض الضخم - تفهق: تفيض- والدردق: الأطفال - وقيل الشيخ العراقى: كسرى.

(٥) سورة الشورى ٣٢.

(٦) سورة الرحمن ٢٤.

كالأعلام فى مساحتها وارتفاعها وضخامتها.

١١٠- وقال تعالى: ﴿إنها ترمى بشرر كالقصر﴾ (١)

(كالقصر) أى فى شكلها من العظم والضخامة.

وعندما يكون التشبيه بين المختلفين جنسا فى صفة حسية ليس طريق إدراكها البصر - فإن الكاف- عندئذ - لا تكون بمعنى (شبه) ولا بمعنى (شكل) لارتباطها بالمشاهدات، وكذلك بقيه الكلمات التى تفيد الحكم بالمشابهة ، لكننا نلجأ عند بيان التشبيه إلى ذكر كلمة (مثل) على سبيل التوسع والتسامح ، لأن (مثل) لا تكون إلا بين المتفقين جنسا وصفة والشواهد التى من هذا القبيل ما يأتى:

١١١- قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ من رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾(٢)

١١٢- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ* طَعَامُ الْأَثِيمِ* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾(٣)

(كالمهل) فى الآيتين تشبيه فى شدة الحرارة وقسوتها بقرينة السياق فقد ذكر وصفه بأنه يشوى الوجوه فى الآية الأولى . وبأنه يغلى فى البطون ، فى الآية الثانية. وهذا يدل على أن القصد إلى صفة محسوسة ليس طريقها المشاهدة بخلاف مجئ التشبيه بالمهل فى قوله تعالى : ﴿ يوم تكون السماء كالمهل﴾ (٤) فقد بينا عند الحديث عنها أنه روعى فى المهل صفة مشاهدة وهى التلون . إذ قد يكون للشئ وصفان فيشبه به منظورا إلى أحدهما فى موضع، ومنظورا إلى الآخر فى موضع آخر.

---

(١) سورة المرسلات ٢٢.

(٢) سورة الكهف ٢٩

(٣) سورة الدخان ٤٣ - ٤٤ - ٤٥.

(٤) سورة المعارج ٨.

١١٣- قال تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [١].

كالفخار في صدور صوت منه وفي قوله ويؤيد النظر إلى معنى الصوت مادة الكلمة فإنها تحمل صلصة وجرسا.

الكاف ومعنى (التعليل)

ذكروا أن من معاني الكاف التعليل . حكاه ابن هشام قائلا :

«قد أثبت ذلك قوم ونفاه الأكثرون. وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بـ (ما) كحكاية سيبويه: كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه. والحق جوازه في المجردة من (ما) نحو: ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [٢] اى اعجب لعدم فلاحهم، وفي المقرونه بـ (ما) الزائدة، كما في المثال – الذي حكاه سيبويه – وبـ (ما) المصدرية، نحو ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ [٣] . قال الأخفش: "أي لأجل إرسالي فيكم رسولا منكم فاذكروني، وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [٤] .....»[٥]

وهذا الخلاف الذي حكاه يدل على أن فيه ثلاثة آراء:

الأول: أن الكاف لا تدل على التعليل ألبته. فهي موضوعة للتشبيه لا غير.

وما جاء من الشواهد بمعنى التعليل فعلى جهة من التأويل، وهذا رأى الأكثرية.

الثاني: أنها تفيد التعليل بشرط أن تكون مكفوفة بـ (ما) وعليه تكون الكاف قد تحول بها عن أصل دلالتها على التشبيه إلى إفادتها للتعليل.

---

(١) سورة الرحمن ١٤ .

(٢) سورة القصص ٨٢.

(٣) سورة البقرة ١٥١.

(٤) سورة البقرة ١٩٨.

(٥) مغني اللبيب ١/١٥١ ، وانظر البحر المحيط ٢/٩٧.

الثالث: أنها تدل على التعليل كما تدل على التشبيه دون قيد وهو ما ارتضاه ابن هشام، وتكون الكاف بهذا موضوعة للمعنيين فهي من المشترك.

والذى أرتضيه كون الكاف للتشبيه،وما حمل من الشواهد على معنى التعليل فعلى جهة التجوز فى طرفي التشبيه أو أحدهما، وقد ذكر ابن هشام ما يجاب به عن القول بالتعليل فى قوله تعالى: « واذكروه كما هداكم » قائلا: « وأجاب بعضهم بأنه من وضع الخاص موضع العام، إذ الذكر والهداية يشتركان فى أمر واحد، هو الإحسان، فهذا فى الأصل بمنزلة : وأحسن كما أحسن الله إليك، والكاف للتشبيه، ثم عدل عن ذلك للإعلام بخصوصية المطلوب، وما ذكرناه فى الآية من أن (ما) مصدرية قاله جماعة، وهو الظاهر»[١].

إذًا الكاف باقية على التشبيه، لكن وضع مكان الطرفين اللذين هما: إحسان العباد (المشبه) وهو أمر عام، وإحسان الله (المشبه به) وهو شامل عام — وضع مكانهما أمران خاصان: هما ذكر الإنسان ربه، وهو نوع من إحسان العبد، وهداية الله وهى نوع من إحسان الله إليكم، ثم تجوز فى طرفي التشبيه.

ولى ملحظ آخر يؤيد بقاء التشبيه فى الآية، ويمنع القول بالتعليل ذلك أن فى دعوى كون الهداية علة للذكر بعدا، لأن جوهر الهداية الذكر، فكيف يكون الشيء علة لنفسه، فيترتب الذكر على الهداية ترتب المعلول على العلة؟

وقد خرج الأمير شواهد أخرى لإبقاء الكاف للتشبيه كبقائها له فى قوله تعالى: (واذكروه كما هداكم) قائلا: «وهو ممكن — أيضا — فى (كما أرسلنا) فإن الإرسال إحسان. بل وفى حكاية سيبويه، فإن عدم العلم يتضمن عدم الإساءة، فكأنه قيل: كما أنه لم يسيء لم يُسَأ فإن غير المنتهك لم يقصد الإساءة،

---

(١) مغنى اللبيب ١٥١/١ ، وانظر البحر المحيط ٩٧/٢.

وأما«ويكأنه..الآية» فيحتمل أنّ (كأن) من أخوات (إن) للتحقيق، والكلام معها مستأنف»[١].

وعلى هذا النهج من التخريج يمكن حمل الآيات التى ذكر بعض المفسرين أن الكاف فيها للتعليل، بأن تبقى للتشبيه. وهذه الآيات ما يأتى:

١١٤- قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً) جوز أهل اللغة أن تتعلق بما قبلها (ولأتم نعمتي) أو (لعلكم تهتدون) أو تتعلق بما بعدها. واستجاد الزجاج الرأى الثانى، قال: « – كما – تصلح أن تكون جوابا لما قبلها، فيكون (لعلكم تهتدون)كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ». والأجود أن تكون (كما) متعلقة بقوله عز وجل (فاذكرونى أذكركم) أى فاذكرونى بالشكر والإخلاص كما أرسلنا فيكم. فإن قال قائل : كيف يكون جواب (كما أرسلنا) فاذكرونى أذكركم؟ فالجواب ههنا إنما يصلح أن يكون جوابين . لأن قوله (فاذكرونى) أمر، وقوله (اذكركم) جزاء (اذكرونى) والمعنى : إن تذكرونى أذكركم» [٣].

ولم يستجد الطبري هذا الرأى، لكونه ليس الأسهل الأفصح من كلام العرب[٤].

وعند تفسير الآية يذكر أبو حيان أن الكاف للتشبيه فى موضع نصب على أنها نعت لمصدر محذوف، تقدير الكلام، أى: ولأتم نعمتي عليكم إتماما مثل إتمام إرسال الرسول فيكم، ثم يذكر الرأى بأنها للتعليل قائلا: «ويحتمل بل

---

(١) حاشية الأمير على مغنى اللبيب ١/١٥١.

(٢) سورة البقرة ١٥١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٢١٠.

(٤) ينظر جامع البيان ٢/٣٦.

الأظهر إذا علقت بما بعدها ألا تكون الكاف للتشبيه، بل التعليل، وهو معنى مقول فيها إنها ترد له، وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿واذكروه كما هداكم﴾[١] وقد سبق القول ببقائها للتشبيه ووجود التجوز فى مدخولها.

١١٥- قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ﴾[٢].

(كما هداكم) الكاف للتشبيه، فى موضع نصب نعتا لمصدر محذوف أو حالا، وجوز فيها التعليل من أثبت هذا المعنى للكاف. أى اذكروه لهدايتكم. وقد سبق القول باستفاضة فى الآية، وتحقيق كون الكاف للتشبيه.

١١٦- قال تعالى : ﴿فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

ذكر أبو حيان صحة اعتبار الكاف للتعليل، أى فاذكروا الله لأجل تعليمه إياكم[٤] وكونها للتشبيه جلى لا يخفى.

١١٧- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً .... الآية ﴾[٥].

(كما علمه الله) أى بمثل ما علمه الله من كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير. أو الكاف للتعليل، أى لأجل ما فضله الله.

---

(١) البحر المحيط ١٤٤/١ وانظر البرهان للزركشى ٣١٠/٤.
(٢) سورة البقرة ١٩٨.
(٣) سورة البقرة ٢٣٩.
(٤) ينظر البحر المحيط ٢٤٤/٢.
(٥) سورة البقرة ٢٨٢

١١٨- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[١].

(وكذلك) الكاف للتشبيه والمعنى: ومثل هدايته إلى توحيد الله تعالى ودعوته أباه لترك الأصنام وعبادة الله أشهدناه ملكوت السموات والأرض ليدعو قومه مستدلا بما رأى. ومن يقول بأن الكاف للتعليل يقدر المعنى: لذلك الإنكار على قومه إلى التوحيد أريناه ملكوت السموات والأرض»[٢].

١١٩- قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٣].

يبدو من صنيع أبي حيان أنه يرتضى كون الكاف فى قوله تعالى: (كما لم يؤمنوا) للتعليل، فهو يقول: « المعنى أنه تعالى يحولهم عن الهدى ويتركهم فى الضلال والكفر، و(كما) للتعليل، أى يفعل بهم ذلك لكونهم لم يؤمنوا به أول وقت جاءهم هدى الله»[٤].

وكأنه لم يرض بما ذكره من كلام الزمخشرى، من كون الكاف للتشبيه، والكلام على الإخبار بتقدير أنه لو جاءت الآية التى اقترحوها صنعنا بهم ذلك كما صنعناه بهم أول مرة، وعبارة الزمخشرى « ونقلب أفئدتهم – ونذرهم – عطف على لا يؤمنون (فى الآية السابقة) داخل فى حكم وما يشعركم، بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أى نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق، كما كانوا عند نزول آياتنا، أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم »[٥].

---

(١) سورة الأنعام ٧٥.

(٢) ينظر الكشاف ٢/٣٠ والبحر المحيط ٤/١٦٥.

(٣) سورة الأنعام ١١٠.

(٤) البحر المحيط ٤/٢٠٣.

(٥) الكشاف ٢/٤٤.

ومناط الفرق بين ما اختاره أبو حيان وما ذهب إليه الزمخشرى أن أبا حيان يرى أن الكلام إخبار مستأنف بما يفعل بهم فى الدنيا وهو أمر واقع.

أما الزمخشرى فيرى أنه إخبار بما يقع لهم على تقدير وقوع الآية المقترحة، فالتقليب لم يقع، لأنه مرتب على أمر على تقدير وقوعه.

على أنى أرى – والله أعلم – أن اعتبار مدخول الكاف علة للكلام قبله وهو تقليب الأفئدة والأبصار يضعفه تقييد عدم الإيمان بقوله : (أول مرة) لأن تقليب الأفئدة والأبصار لا يعلل بترك الإيمان أول مرة، ولكن بتركه دائما ؛ إذ لا يتعين مع عدم الإيمان للمرة الأولى بقاء تقليب الأفئدة والأبصار فقد تذهب عن القلب غواشي الشك التى التبست به أول سماعه الدعوة إلى الحق، ثم يستقر الإيمان فيه. والمعنى الذى يبدو لى من الآية الكريمة بيان استمرار أحوالهم على نمط واحد من الشك والتقلب والحيرة. فلا تراهم الآن إلا فى هذه الحيرة. كان رأيتهم عند دعوتك لهم أول مرة. فالكاف للتشبيه، وهو واضح جلى. أعاذنا الله من الحيرة وثبت منا القلوب.

١٢٠- قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[١].

قال الزمخشرى: «كما أخرجك ربك– فيه وجهان : أحدهما: أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا الحال كحال إخراجك، يعنى أن حالهم فى كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب، والثانى: أن ينتصب على أنه صفه مصدر الفعل المقدر فى قوله(الأنفال لله والرسول)، أى الأنفال استقرت لله والرسول، وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون »[٢].

---

(١) سورة الأنفال ٥.

(٢) الكشاف٢/١٤٢.

ومن إشراقات ابن المنير – رحمة الله عليه- قوله: «وكان جـدى أبـو العباس أحمد الفقيه الوزير – رحمة الله عليه – يذكر فى معنى الآية وجها أوجه من هذين. وهو أن المراد تشبيه اختصاصه عليه الصلاة والسلام – بالأنفال وتفويض أمرها إلى حكمه من حيث الإثابة والجزاء بإخراجه من بيته مطيعا لله تعالى ، سامعًا لأمره، راضيًا بحكمه على كراهة المؤمنين الطاعة، فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية. فكما بلغت طاعته الغاية فى نوع الطاعات. فكذلك بلغت إثابة الله له الغاية فى جنس المثوبات، وجماع هذا المعنى هو المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام «والأجرة على قدر النصب»[١].

ويذكر أبو حيان خمسة عشر رأيا فى معنى الآية والكاف، ولم يرض بشئ منها، وإنما ارتضى تخريجا (مَنَامِيًا) يرجع إلى كون الكاف ليست لمحض التشبيه، بل فيها معنى التعليل، والمعنى عليه: لإخراج ربك لك من بيتك بالحق نصرك وأيدك[٢].

١٢١- قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[٣].

استظهر أبو حيان كون الكاف فى الآية للتعليل، قال: « والظاهر أن الكاف فى (كما) للتعليل، أى رب ارحمهما لتربيتها لى وجزاء على إحسانهما إلى حالة الصغر والافتقار »[٤].

على أن ذلك – عندى – ليس بالوجه، لبعد أن يعلل الفعل الإلهى بفعل العباد؛ إذ الآية تأديب من الله تعالى لعباده أن يقولوا التى هى أحسن، وعلى هذا

---

(١) الإنصاف على الكشاف ١٤٢/٢.
(٢) ينظر البحر المحيط ٤٥٩/٤ وما بعدها.
(٣) سورة الإسراء ٢٤.
(٤) البحر المحيط ٢٨/٦..

النمط العالى قول يوسف – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – عنـدما أراد أن يدعو ربه. فقد أدخل ما أراد أن يدعو ربه فى إطار نعم كثير فضله الله تعالى بها فقال ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِـن تَأْوِيـلِ الأَحَادِيـثِ فَـاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِـرَةِ تَـوَفَّنِي مُـسْلِماً وَأَلْحِقْنِـي بِالصَّالِحِينَ﴾[1].

والأولى فى الكاف فى قولة (كما) كونها للتشبيه، والمعنى ارحمهما رحمة ـــ لأنك الراحم بالحقيقة ـــ كما رحمتنى بهما فربيانى صغيرا .

١٢٢ـــ قال تعالى﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّـهَ لَـا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].

(كما أحسن الله إليك) أى إحسانا كإحـسان الله، أى فى مطلـق وقـوع الإحسان، إذ ليس ثمة مشابهة فى الصفات ، بل لا مقارنة البتة.

وقيل : الكاف : للتعليل، أى لأجل إحسان الله إليك [3]

الكاف ومعنى (التأكيد) :

ذكر بعض أهل اللغة والنحويين أن الكاف كما تأتى للتشبيه والتعليل تـأتى – أيضا – زائدة للتأكيد، وحملوها على الزيادة فى آيات من القرآن الكريم منـها ما يأتى:

١٢٣– قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُـسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ وَهُـوَ الـسَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4].

([1]) سورة يوسف ١٠١.

([2]) سورة القصص٧٧.

([3]) ينظر البحر المحيط ١٣٣/٧.

([4]) سورة الشورى ١١.

فقد ذهب كثير من العلماء إلى أن فى الآية زيادة لئلا يلزم المحال، لأن المعنى على أصالة (الكاف) و (مثل) ليس شيء مثل مثله، فيكون محتملا إثبات المثل له- سبحانه- لأن النفى بحسب الظاهر ينصب على الحكم ويفيد ثبوت متعلقه، لأن المتبادر من قولنا: ليس مثل ابن زيد أحد أن لزيد ابنا[1].

وإنما كان محتملا إثبات المثل وليس قاطعا فيه «لأن السالبة – كما يقول علماء المنطق – تصدق بعدم الموضوع، أو لأن النفى كما يقول علماء النحو – قد يوجه إلى المقيد وقيده جميعا، تقول: ليس لفلان ولد يعاونه، إذا لم يكن ولد قط، أو كان له ولد ولم يعاونه. وتقول: ليس محمد أخا لعلى، إذا كان أخا لغير على، أو لم يكن أخا لأحد»[2].

وقد اختلف فى الزائد هل هو (مثل) أو (الكاف)؟ فقيل الزائد (مثل) زيدت لتفصل الكاف من الضمير. وأكثر القائلين بالزيادة على أن الزائد (الكاف) لأن زيادة الحرف أولى من زيادة الاسم.

وقد ذكر الطبري الرأيين قائلا: «قوله – ليس كمثله شئ – فيه وجهان: أحدهما: أن يكون معناه: ليس هو كشئ، وأدخل المثل فى الكلام توكيدا للكلام؛ إذ اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد، كما قيل ما إن نديت بشئ أنت تكرهه. فأدخل على (ما) وهى حرف جحد (إن) وهى – أيضا- حرف جحد لاختلاف اللفظ بهما وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام، كما قال أوس بن حجر:

وقتلى كمثل جذوع النخل تَغَشّاهم مُسْبِلٌ منهمر

ومعنى ذلك كجذوع النخيل، كما قال الآخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم

ما إن كمثلهم فى الناس من أحد

(1) ينظر البرهان للزركشى ٣١٠/٤ ومغنى اللبيب ١٥٣/١.
(2) النبأ العظيم ١٤٦.

والآخر: أن يكون معناه: ليس كمثله شيء، وتكون الكاف هى الداخلة فى الكلام كقول الراجز: وصاليات ككما يُؤَثْفَيْن. فأدخل على الكاف كافاً توكيدا للتشبيه»[١].

الطبرى إذاً يذهب مع من يقولون بزيادة إحدى الكلمتين فى الآية لتأكيد نفى المثل لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانية.

(رأى الزمخشرى) ذهب الزمخشرى عند تفسير الآية إلى عدم الزيادة فيها، لا الكاف، ولا (مثل)، مشيراً إلى ضعف القول بالزيادة. قال: «قالوا: مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله: وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يسد مدة وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه، ونظيره قولك للعربى: العرب لا تخفر الذمم، فكان أبلغ من قولك: أنت لا تخفر .. فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قولك: ليس كالله شيء، وبين قوله (ليس كمثله شيء) إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد، وهو نفى المماثلة عن ذاته. ونحو قوله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٢] فإن معناه: بل هو جواد، من غير تصور يد ولا بسط لها، لأنها وقعت عبارة عن الجود، لا يقصدون شيئا آخر حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له. فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل، ومن لا مثل له. ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال: وصاليات كما يؤثفين. ومن قال: مثل كعصف مأكول» [٣].

وبهذا يتضح أنه يرى ترجيح أصالة الكلمتين: الكاف و(مثل) فى الآية، وأن التركيب أفاد نفى المماثلة من طريق الكناية، وذلك بنفى المثلية عن مثل الله

---

(١) جامع البيان ١٢/٢٥ ، ١٣.

(٢) سورة المائدة ٦٤.

(٣) للكشاف ٣/٤٦٢

تعالى، مرادا بهذا المثل الله تعالى، إذا ليس له مثل. كما يترك القول بالزيـــادة إلى ضعفه بقوله: ولك أن تزعم.

(رأى ابن المنير) يذهب ابن المنير – رحمه الله– إلى اختيار الـــرأي الأول الذى ذكره الزمخشرى ، رافضا الرأى الثانى. أى القول بالزيادة لإخلاله بالمعنى، لأن الزيادة للتأكيد تفيد تأكيد المماثلة، ومع تسلط النفى عليها يفيد الكلام نفى تأكيد المماثلة،ونفى تأكيد المماثلة لا يستلزم نفى مطلق المماثلة فيصح وقوعهـــا، وهذا مستحيل. وعبارته : «وهذا الوجه الثانى مردود على ما فيه من الإخـــلال بالمعنى، وذلك أن الذى يليق هنا تأكيد نفى المماثلة، والكاف على هذا الوجه إنما تؤكد المماثلة، فإن نفى المماثلة المهملة عن التوكيد أبلغ وآكد فى المعنى من نفـــى المماثلة المقترنة بالتأكيد، إذا يلزم من نفى المماثلة الغير المؤكدة نفى كل مماثلـــة، ولا يلزم من نفى مماثلة محققة متأكدة بالغة نفى مماثلة دونها فى التحقيق والتأكيـــد، وحيث وردت الكاف مؤكدة للمماثلة وردت فى الإثبات فأكدته، فليس النظر فى الآية بهذين النظرين مستقيما والله أعلم »[١].

هذا كلامه، وهو واضح فى رفضه القاطع القول بالزيادة. ولم يكتف بمـــا ذهب إليه الزمخشرى من تضعيفه. واستدل على بطلانه – أى القول بالزيـــادة– بأنه يؤدى إلى فساد المعنى.

(رأينا فى ذلك) وهو ذو وجهين: وجه اتفاق مع الزمخشرى وابن المـــنير، ووجه اختلاف.

وجه الاتفاق: وهو القطع برفض القول بزيادة (الكاف أو مثل) وأن نفى المثلية عن الله تعالى بطريق الكناية.

---

(١) الإنصاف على الكشاف ٤٦٣/٣.

وجه الاختلاف: نحن نرى أن دليل عدم الزيادة فى الآية يقوم على أساس لغوى، وهو دلالة كل من (الكاف ومثل) إذ ليس معنا فى الآية كلمتان متفقتان اتفاقا تاما فى الدلالة يقتضينا القول بزيادة إحداهما لإفادة تأكيد الأخرى، أو يساعدنا عليه. لأن الكاف التى هى أداة التشبيه أصالة وفى الآية كذلك تدل- كما قررنا- على التشبيه مطلقا، ولا يتعين دلالتها على المماثلة فى الذات والصفات التى هى مدلول (مثل) إذ قد تدل على شبه فى صفه (ما) دون غيرها. فالكلمتان (الكاف ومثل) مختلفتان فى دلالتهما اللغوية، وتؤديان فى الآية هذه الدلالة. فتركيب الآية بالنفى والكاف على نفي مطلق مشابهة أى نفى المثل المفترض- بدلالة المقام – وجوده، وإذا انتفى مطلق المشابهة فى صفة للمثل المدعى استلزم ذلك انتفاء مطلق المشابهة فى صفة لله تعالى بمقتضى المماثلة ، وإذا ثبت انتفاء مطلق الشبه لله – تعالى – استلزم ذلك انتفاء المماثلة فى الذات، وجميع الصفات، التى هى مدلول (مثل) من باب أولى، على طريق التنبيه بالأدنى على الأعلى، وثبتت بذلك الوحدانية لله تعالى.

وبهذا يندفع قول أبى حيان: «قد أجمع المفسرون على أن الكاف والمثل يراد بهما موضوعهما الحقيقي من أن كلا منهما يراد به التشبيه، وذلك محال، لأن فيه إثبات مثل لله تعالى، وهو محال»[1].

ووجه الدفع أن الكلمتين يراد بهما- فعلا مدلولهما اللغوي، لكن حكمه عليهما بأن مدلولهما إرادة التشبيه بهما بهذا الإطلاق لا يستقيم، كما أن إثبات المثل لله تعالى محال إن كان على سبيل القطع والتحقيق . أما على سبيل الفرض فجائز لأن افتراض الوجود هو فى حقيقته إثبات للانتفاء، فليس الإثبات على سبيل الفرض محالا. والله أعلم.

---

(1) البحر ٧/٥١٠.

١١٤- قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[١].

يشبه الله تعالى الحور باللؤلؤ فى شدة البياض والصفاء وقد اجتمع فى الآية أداة التشبيه (الكاف) وكلمة (مثل) بصيغة الجمع التى تفيد المماثلة فى الذات والصفات. وبناء على ما أكدنا ذكره عند سورة الشورى السابقة من اختلاف دلالة الكلمتين فإنه لا يمكن القول بزيادة إحداهما فى هذه الآية.

والنكتة من مجئ الكلمتين معا – والله أعلم – أنه لما كان أصل دلالة كلمة (مثل) الاتفاق فى الجنس والصفة. والحور العين واللؤلؤ مختلفين جنسا متفقين صفة، جاءت الكاف للدلالة على المشابهة بينهما فى الصفة دون الجنس، كما لو قلنا فى غير القرآن الكريم: حور كاللؤلؤ. ودلت صيغة الجمع (أمثال) على ما لا تدل عليه الكاف من تماثل أفراد كل طرف مع بعضها وتشاكلها فى الحسن من جميع الجوانب مقابلة فى أوصافها أفراد الطرف الآخر.

وهذا شئ لا نجده إلا فى القرآن الكريم، مما يستحيل معه القول إن كلمة منه لا تنفرد بمعنى خاص بها عن أخواتها وهى فى موضع الزيادة تأكيدا لها. لكنه- أى هذا القول – كثيرا ما يجوز فى كلام البشر. كما هو واضح فيما ذكرناه من شواهدهم تدليلا على زيادة الكاف، وقد لا تخفى الزيادة فى قول الأعشى من قصيدته التى يمدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
وأنك لم ترصد لما كان أرصدا[٢]

---

(١) سورة الواقعة ٢٢-٢٣.
(٢) ديوان الأعشى ٤٦.

فقوله: (كمثله) الكاف فيه زائدة، أملت عليه هــذه الزيــادة ضــرورة البيت. ولو فتشنا عن معنى يزيد بإحدى الكلمتين عن الأخرى فلن نجد.

يبقى لنا الإشارة إلى أن فيه آيات أخرى قالوا فيها بزيادة الكاف، ونرى فيما استشهدنا به كفاية في هذا المطلب[1].

---

(1) انظر على سبيل المثال تفسير آية البقرة ٢٦١ وآية آل عمران ٥٩ في البحر المحـيط ٣٠٣/٢، ٤٧٧ وآية البقرة ٢٥٩ في البرهان للزركشي ٣١٠/٤.

ثانيا – الأداة الأخرى «كأن»[١]:

الحرف الآخر الذى يدل على التشبيه (كأنّ) وقد اختلف فيها، أبسيطة أم مركبة، فى ذلك مذهبان:

الأولى: أنها بسيطة لا تركيب فيها، وهو مذهب بعض البصريين وحكى السيوطي اختيار أبي حيان له. وعللوا ذلك بجمودها. وبأن التركيب خلاف الأصل، وبوقوعها فى بعض الصور فيما لا يصح فيه التأويل بالمصدر المناسب لـ (أن) المفتوحة.

الآخر: أنها مركبة من (الكاف) ومن (أن) المشددة، نظرا لما يبدو من صورها، وقد ذهب إلى ذلك الخليل، وسيبويه، وجمهور البصريين، والفراء. بل فيه من ادعى عدم الخلاف فى تركيبها[٢].

وقد ذكر ذلك سيبويه فى عدة مواضع من كتابه، من ذلك قوله: «سألت الخليل عن (كأن) فزعم أنها (إن) لحقتها (الكاف) للتشبيه، لكنها صارت مع (إن) بمنزلة كلمة واحدة... »[٣].

وقال ابن جنى فى (كأن زيدا عمرو) : « اعلم أن أصل هذا الكلام زيد كعمرو، ثم إنهم بالغوا فى تأكيد التشبيه فقدموا حرفه إلى أول الكلام عناية به، وإعلاما بأن عقد الكلام عليه، فلما تقدمت (الكاف) وهي جارة لم يجز أن تباشر (إن) لأنها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل، فوجب لذلك فتحها، فقالوا: كأن زيدا عمرو»[٤].

---

(١) شواهد (كأن) فى القرآن الكريم أربعون شاهدا وقعت فى سبع وثلاثين آية وكررت فى ثلاث آيات منها. وشواهدها ثقيلة خمسة وعشرون شاهدا، ومخففة تسعة شواهد، ومكفوفة بـ(ما) ستة شواهد، سنذكرها جميعها بعون من الله تعالى، على حسب الغرض، لكن لا على سبيل ذكر جميع شواهد الغرض فى موضعه، منعا للإطالة بالتكرار، وما سيعاد الاستشهاد به سيوضع رقمه بين معقوفين، والله المستعان.

(٢)ينظر شروح التلخيص٣/٣٨٥ وجمع الجوامع ١/١٣٣ ومغنى اللبيب ١/١٦٢.

(٣) الكتاب ٣/ ١٥١ وانظر صفحة ١٦٤ ، ٣٣٢.

(٤) الخصائص ١/٣١٧.

ومسلك الخطيب فى التلخيص والإيضاح عند حديثه عن أدوات التشبيه وذكره (الكاف) و (كأن) يحتمل كون (كأن) عنده بسيطة، ليست (الكاف) أصلها، أو أنها مركبة من كاف التشبيه و(كأن)[1].

(معانى كأن):

ذكر أهل اللغة لكلمة (كأن) أربعة معان:

التشبيه، والظن، والتحقيق، والتقريب. والذي يعنينا فى هذه الدراسة معنى التشبيه، لكننا سنذكر المعانى الأخرى لنقف على ما أجاب به العلماء لإرجاعها إلى معنى التشبيه.

(معنى التشبيه)

المشهور المتفق عليه عند الجمهور أن (كأن) تفيد التشبيه مطلقا[2]، ولا معنى لها غيره عند البصريين. قال به الخليل، وسيبويه، والمبرد، وابن جنى، وذكره ابن هشام، والمرادى، والسيوطى، وهم يؤولون كل الأمثلة التى قيل: إن (كأن) فيها تفيد معنى آخر ويرجعون إلى التشبيه[3].

ومن شواهد التشبيه بـ (كأن):

١ - قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[4].

يشبه الله تعالى المؤمنين حال القتال والوقوف صفا واحدا بالبنيان المرصوص فى الاستواء والتماسك. ويجوز أن يكون فى استواء النيات والثبات عليها. [5]

---

(١) ينظر شروح التلخيص٣/٣٨٥ وعروس الأفراح ٣/٣٩١.

(٢) أى دون نظر إلى كلام الزجاج وغيره من التفصيل الذى سنذكره.انظر الأطوال ٢/٨٨.

(٣) انظر الكتاب ٣/١٤٨ والمقتضب ٤/١٠٨ والخصائص ١/٣١٧ ومغنى اللبيب ١/١٦٢ والجنى الدانى ٥٧٠ وهمع الهوامع ١/١٣٣.

(٤) سورة الصف٤.

(٥) ينظر الكشاف ٤/٩٧.

(معنى الظن)

ذهب الكوفيون وجماعة منهم الزجاجي (تلميذ الزجاج) وابن الطراوة، وابن السيد إلى أن (كأن) لا تكون للتشبيه إلا إذا كان خبرها اسما جامدا، مثل: كأن زيدا أسد. أما إذا كان خبرها جملة أو شبهها، أو صفة فهي للظن والحسبان، مثل: كأن زيدا قائم، أو يقوم، أو في الدار، أو عندك.

وقال الإمام عبد القاهر: «كأن وحسبت وخلت وظننت تدخل إذا كان الخبر والمفعول الثاني أمرا معقولا ثابتا في الجملة، إلا أنه في كونه متعلقا بما هو اسم (كأن) أو المفعول الأول من حسبت مشكوك فيه، كقولنا: كأن زيدا منطلق، أو مجاز يقصد به خلاف ظاهره، نحو: كأن زيدا أسد. فالأول على الجملة ثابت معروف، والغريب هو كون زيد إياه ومن جنسه»[1].

وقد حكى السعد مايراه الزجاج من أن (كأن) تكون للتشبيه عندما يكون خبرها جامدا، وللظن عندما يكون خبرها مشتقا[2]. وذكر -أيضا- رأى الجمهور، ثم رأى أن الحق في القول بمجيئها للظن سواء كان الخبر مشتقا أو جامدا ، وكثرته في كلام المولدين[3].

وحاصل القول أن فيها تبعا لما ذكروه ثلاثة آراء:

الأول: أنها للتشبيه مطلقا، سواء كان خبرها جامدا أو مشتقا .

الثاني: أنها للتشبيه إن كان خبرها جامدا وللظن إن كان خبرها مشتقا.

الثالث : أنها قد تجيء للظن مطلقا، سواء كان خبرها مشتقا أو جامدا.

---

(1) أسرار البلاغة ٢٦٦، ٢٦٧ وانظر ماحكيناه عن الكوفيين الجنى الداني ٥٧٢ ومغني اللبيب ١/١٦٣ وعروس الأفراح ٣/٣٩٢.

(٢) مما ذكرناه قبل نعلم أن الزجاج لم ينفرد بهذا التفصيل كما هي دعوى العصام انظر الأطول ٢/٨٨.

(3) ينظر المطول ٣٢٨ والرأي الأخير الذي ذكره السعد ينسب إلى أبي يحيى زكريا الأنصاري في كتابة: فتح منزل المعاني بشرح أقصى الأماني في البيان والبديع والمعاني ط الجمالية بمصر ١٩١٤ – عن كتاب الحروف العاملة في القرآن الكريم ١١٧ د/هادي عطية.

(مناقشة القول بمجيئها للظن):

(الظن مع الخبر المشتق)

قد يبدو من الرأيين الثاني والثالث السابقين أن المدخل إلى القول بمجيء (كأن) للظن عندما يكون الخبر مشتقا وعندما يكون جامدا- واحد فيهما. لكن إمعان النظر يدل على أن المدخل إليه فيهما مختلف، بل إن طبيعة الظن فيهما- أيضا- مختلفة، ذلك لأن الحامل على القول بالظن عندما يكون الخبر غير جامد فى مثل: كأن زيدا قائم- امتناع أن يكون المشبه والمشبه به شيئا واحدا، لأن، التشبيه فى المثال تشبيه للشيء بنفسه، لأن القائم هو زيد، لكون الخبر المشتق عين المبتدأ؛ لأن ضمير المشتق عين الاسم، والمشتق عين الضمير.

لذا يتعين أن تكون الجملة مفيدة الشك فى وقوع الخبر هروبا من هذا المحذور، وتكون (كأن) خرجت عن معناها الأصلي الذى هو الدلالة على التشبيه إلى معنى الشك، أو أنها استعملت فى الشك. لكونها وضعت له وللتشبيه.

وطبيعة الشك هنا هى كون الخبر مشكوكا فى وقوعه للمبتدأ الذى هو اسم (كأن) وهذا بين الوضوح. وطريق التفَصّى عن هذا المحذور الذى دفع إلى القول بعدم دلالة (كأن) على التشبيه وجعلها للظن فى الجمل التى خبرها مشتق أو جملة أحد الوجوه الآتية:

(الوجه الأول) تأويل المثال المذكور- وما هو من قبيله- وإرجاعه إلى التشبيه، بتقدير موصوف محذوف، لأن أصل المعنى فى المثال: كأن زيدا شخص قائم، فالمشبه والمشبه به متغايران، ولما قام الوصف مقام الموصوف وصار كأنه الخبر بعينه، عاد ضمير الوصف على اسم (كأن) لا على الوصف المقدر، وروعي فيه ما يناسب اسم (كأن) لجريانه عليه بحسب الظاهر، كما تقول: كأني أمشي،

وكأنك تمشي، لأنه لو رجع إلى الأصل لقلنا: يمشي في المثالين مراعاة للموصوف المحذوف، لأن الأصل: كأني رجل يمشي، وكأنك رجل يمشي[١].

٢- قال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

قوله (كأنك حفي عنها) تشبيه جاء فيه المشبه والمشبه به وصفا مشتقا. قال الراغب: «الإحفاء في السؤال التنزّع في الإلحاح في المطالبة أو في البحث عن تعريف الحال »[٣]والمعنى: كأنك عالم بها، أو كأنك تعلمها، أو كأنك مجتهد في السؤال عنها معنى بشأنها، مكثر السؤال عنها. قال الزمخشري: «كأنك عالم بها، وحقيقته: كأنك بليغ في السؤال عنها»[٤].

والتشبيه ليس تشبيها للرسول بنفسه في صفة الاجتهاد في السؤال عن الساعة لمعرفة وقتها، لأنه لم يكن منه ﷺ ذلك، ولتعين اختلاف المشبه والمشبه به ذاتا أو حالا. فالتشبيه هنا قائم على تقدير موصوف محذوف، والمعنى: أي أنت- وهم يكثرون سؤالك عنها- تشبه إنسانا عالما بها معنى بأمرها يسألونه عنها. وعليه فليس المشبه والمشبه به متحدين.

(الوجه الثاني) أنه لا مانع من كون المشبه والمشبه به شيئا واحدًا ما دام الاعتبار مختلفا، بأن يكون الشيء شبه بنفسه باعتبار حالين مختلفتين.

---

(١) ينظر مواهب الفتاح: شروح ٣٨٦/٣ وحاشية الأمير على مغني اللبيب ١٦٣/١.

(٢) سورة الأعراف ١٨٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن ١٢٥ وانظر لسان العرب ٩٣٦.

(٤) الكشاف ١٣٤/٢ وانظر جامع البيان ١٤٠/٩ والبحر المحيط ٤٣٥/٤.

فالقائل: كأن زيدا قائم، يكون مشبها له فى حال الجلوس لطول جذعه بحاله وقت القيام: وكذلك قولك: كأنه نائم، تشبيه له حال اليقظة به حال النوم لعدم تنبهه لما يقال له، وهكذا[1].

٣- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[2].

(كأنهم إلى نصب يوفضون) يشبه الله تعالى سرعتهم وجريهم يوم القيامة مجيبين الداعى بسرعتهم عندما كانوا يجرون مسرعين إلى أنصابهم فى الدنيا. فالمشبه والمشبه به واحد لكنه اختلف باعتبار الحالين؛ لأنهم شبهوا فى حالتهم يوم القيامة بحالتهم التى كانوا عليها فى الدنيا. فلا ضير إذا من عقد التشبيه والخبر فعل لصحة هذا الاعتبار الذى بيناه. ومن شواهد ذلك فى الشعر قول زهير:

تراه إذا ما جئته متهللا

كأنك تعطيه الذى أنت سائله[3]

جاء الخبر فى جملة التشبيه (كأنك تعطيه) فعلا وذلك بتشبيه المخاطب حال الأخذ من الممدوح به حال إعطائه الممدوح، فالتشبيه لشئ واحد بحالين مختلفتين، ثم يتبع هذا التشبيه تشبيه حال الممدوح عند عطائه وفرحه به بحاله عندما يكون هو الآخذ على حد سواء.

(الوجه الثالث) أننا نقول للذين قالوا: إن (كأن) تكون للشك عندما يكون خبرها وصفا أو فعلا: ماذا تقولون فى شواهد القرآن الكريم التى جاء فيها الخبر كذلك وليست حكاية لقول بشر، وإنما هى إخبار من الله تعالى وإعلام بالتشبيه فيها.

---

(١) انظر الجنى الدانى فى حروف المعانى ٥٧٢،٥٧٣.

(٢) سورة المعارج ٤٣.

(٣) البيت فى الشعر والشعراء ١٣٩.

وإذا كان لا يمكنهم القول بالشك فيها فهذا دليل قاطع لرفض ما ذهبوا إليه. من شواهد ذلك.

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

جاء الخبر (لا يعلمون) فعلا، والمشبه والمشبه به واحد وهم أهل الكتاب، لكنهم شبهوا بأنفسهم باعتبار حالين مختلفتين ، حال العلم وحال الجهل، وكلام الزمخشري يفيد ذلك ، قال: « كأنهم لا يعلمون _ أنه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك ، يعني أن علمهم بذلك رصين ، ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم »[2].

ويميل أبو حيان في تفسيره إلى تقدير موصوف محذوف – كما ذكرنا في الوجه الأول – يقول : « هو تشبيه لمن يعلم بمن يجهل ، لأن الجاهل بالشيء لا يحفل به ، ولا يعتد به ، لأنه لا شعور له بما فيه من المنفعة»[3]

وكلام الزجاج في الآية يدل على عدم ذهابه إلى أن (كأنّ) للظن قال: «كأنهم لا يعلمون – أعلم أنهم علماء بكتابهم، وأنهم رفضوه على علم به، وعداوة للنبي-ﷺ- وأعلم أنهم نبذوا كتاب الله»[4].

هذا هو المناسب لكون الكلام من الله تعالى وأن (كأن) في الآية للتشبيه.

---

(1) سورة البقرة ١٠١.

(2) الكشاف ١/٣٠٠.

(3) البحر المحيط ١/٣٢٥.

(4) معاني القرآن وإعرابه١/١٥٩.

(الظن مع الخبر الجامد)

قلنا: أن المدخل إلى الظن وطبيعته عندما يكون الخبر مشتقا يختلفان عنهما عندما يكون الخبر جامدا، وبينا هناك مدخله وطبيعته، أما المدخل إلى الظن عندما يكون الخبر جامدا وطبيعته فهو تمكن الشبه بين المشبه والمشبه بـه لتمـام القرب بينهما والمماثلة فى أخص صفاقما. يجلى لنا ذلك شواهد القرآن فى الآيات الآتية:

٥- قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُـدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[1].

٦- وقال تعالى : ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَـانٌّ وَلَّـى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾[2].

(كأنها جان) فى الآيتين تشبيه للعصا بالثعبان الغليظ، وتصوير لإحساس موسى- على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- بهذا الشبه الذى تمكن منـه، حتى كاد يعتقد أن العصا قد خرجت عن طبيعتها الجمادية إلى الحيوانية، فصارت حية فعلا، بدليل أنه (ولى مدبرا ولم يعقب) فالظن هنا إحساس بكمال المشابهة، وليس هو الظن هنالك الذى هو أضعف عما هنا فى الإحساس بهذه المشابهة.

وقد يكون المشبه هو المشبه به فعلا فمرتبته اليقين الذى لا شك فيـه، لكن تكتنف هذا اليقين شواهد غير معهودة تنشر ضبابها الملبس الكثيف، فتحول دون الحقيقة وتدلف النفس إلى التشبيه وفى رؤاها الخافتة ضوء هذا اليقين. مـن شواهد ذلك.

---

(1) سورة النمل ١٠.

(2) سورة القصص ٣١.

٧- قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[1].

قوله تعالى حكاية عن بلقيس (كأن هو) تشبيه لما تراه أمامها بعرشها الذى تعهد لما بينهما من الشبه البالغ الذى يكاد يصير بهما شيئا واحدا عندها.

فهى «لما رأته على هيئة لا تعرفها فيه وتميزت فيه الأشياء من عرشها لم تجزم بأنه هو، ولا نفته النفى البالغ، بل أبرزت ذلك فى صورة تشبيهيه فقالت: كأنه هو....»[2] فالتشبيه فى الآية له دلالته -بمساعدة المقام- على تمام المشابهة وكمالها إلى درجة قرب اعتقاد أن المشبه والمشبه به ليسا شيئين وإنما هما شىء واحد.

بهذا نكون قد أوضحنا الفرق بين الظن عندما يكون الخبر مشتقا، والظن عندما يكون الخبر جامدا.

الظن مع المشتق - على القول به- خروج بالشواهد عن التشبيه إلى التردد فى وقوع الخبر وصفا أو فعلا.. أما مع الجامد فهو إحساس بقوة المشابهة، وأنها بلغت حدا يظن معها أن المشبه هو المشبه به.

والقول بأن (كأن) قد تجيء للظن مطلقا سواء، كان الخبر جامدا أو مشتقا- كما ذكرناه سابقا عن السعد- هو تلفيق بين الظنين فيهما لأنها لم تجيء للظن إلا مع الخبر الجامد، بالمعنى الذى بيناه وإن كانت قد جاءت بمعنى الظن عندما يكون مشتقا، فان هذا المجيء -كما قيل- خاص بكلام المولدين[3] .

وعلى هذا فالمسافة بين الظنين واسعة تحتاج إلى تنبه.

---

(1) سورة النمل٤٢.

(2) البحر المحيط ٧٨/٧.

(3) جاء فى منار السالك على أوضح المسالك (٢٠٨/٢) عند الحديث عن حذف (أن) الناصبة وجوبا بعد فاء السببية وواو المعية المسبوقتين بنفى أو طلب محضين أن من قبيل ذلك أن تكون مسبوقة بتشبيه بمعنى النفى، مثل: كأنك وال علينا فتشتمنا، بمعنى ما أنت وال، وهذا يحتاج إلى نظر فى كون هذه القاعدة مبنية على كلام واستعمال عربى قديم، أم على كلام مولد؟

معنى (التحقيق):

ذهب الكوفيون والزجاجي إلى أن (كأن) قد تأتي للتحقيق لا للتشبيه.

واستدلوا لذلك بقول الشاعر:

فاصبح بطن مكة مقشعرا   كأن الأرض ليس بها هشام

أى: إن الأرض، ووجه الاستدلال بالبيت كونه فى رثاء هشام، وهو ليس فى الأرض حقيقة، أى على ظهرها. عندئذ لا يتأتى التشبيه؛ لأن التشبيه يقتضى أن يكون فيها، فلما انتفى المقتضى (بفتح الضاد) انتفى التشبيه، وصار المعنى المفاد بـ (كأن) التحقيق، واستصحبوا معه بدلالة المقام معنى التعليل، من جهة كون الكلام معها فى المعنى جواب عن سؤال مقدر عن العلة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[1]. أى لأن الأرض....

وقد أجيب بعدة أجوبة تدل على أن معنى التشبيه باق:

الأول:- أن يكون المراد بالكون فى الأرض الكون ببطنها، وعليه يستقيم التشبيه، لأن الأرض عندئذ تكون قد شبّهت عندما اقشعرت مع وجوده فى بطنها بنفسها عند عدم وجوده فيها.

الثاني :- أن يكون المراد بهشام هو أو من يخلفه، فشبهت الأرض بحالها عند عدمه وعدم من يخلفه معا، مع أن الواقع وجود خلفه. وهذا مبناه المبالغة، بادعاء عدم سداد غيره مسده. هذا التعليل واضح بعدُه.

الثالث:- وهو خاص بالسيوطي- أن يكون من باب تجاهل العارف إشارة إلى ما أصابه من دهشة جعلته لا يصدق أنه مات فعلا[2].

---

(1) سورة الحج ١.

(2) ينظر الجنى الدانى ٥٧٠ ومغنى اللبيب وحاشية الأمير ١/٦٣ وهمع الهوامع ١/١٣٣.

الرابع:- أن (كأن) فى البيت ليست مفردة (أى بسيطة) وإنما هى مركبة من الكاف المرادفة للام فى الدلالة على التعليل، ومن (أن) المؤكدة. فهى كلمتان لا كلمة واحدة. كأنه قال: لأن الأرض ليس بها هشام، وجعلوا نظير ذلك الآيـة الآتية:

٨- قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[١].

فالمعنى على هذا: أعجب لعدم فلاح الكافرين[٢].

وبهذا الجواب لا تكون (كأن) للتشبيه ولا للتحقيق. وإنما هـى مركبـة، والكاف بمعنى اللام.

لكن يضعف القول بتركيب (كأن) فى الآية والبيت، وأن الكاف للتعليل أمران:

الأول: مجيئها مخففة فى بعض المواضع كما فى قول زيد بن عمرو بن نفيل:

ويكأن من يكن له نشب يُحَـ ـبَبْ ومن يفتقر يعش عيش ضر[٣]

الثانى :- أن اعتبار الكاف فى البيت، وفى الآية للتعليل على حد القـول بأنها للتعليل فى قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾[٤]. فيه تكلف، لأن التشبيه فيها ممكن[٥].

---

(١) سورة القصص٨٢.

(٢) فى البحر المحيط جمهرة من الآراء فى (ويكأن) ١٣٥/٧ وانظر الجنى الدانى٥٧٢.

(٣) ينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٢٧.

(٤) سورة البقرة ١٩٨.

(٥) تنظر حاشية الأمير على مغنى اللبيب ٣٩/٢.

قال سيبويه: «سألت الخليل -رحمه الله تعالى- عن قوله: (ويكأنه لا يفلح الكافرون) وعن قوله تعالى جده: (ويكأن الله) فزعم أنها (وى) مفصولة من (كأن) والمعنى وقع على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أو نبهوا فقيل لهم. أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا، والله تعالى أعلم»[١] .

وقال الزمخشرى: «ويكأنه لا يفلح الكافرون – أى ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح، وهو مذهب الخليل وسيبويه »[٢].

وهكذا تجلى وضوح التشبيه فى الآية والأمثلة التى ذكروها فى معنى التحقيق.

معنى (التقريب):

ذهب الكوفيون إلى أن (كأن) قد تأتى للتقريب. أى إفادة قرب وقوع الخبر، مثل قولهم: كأنك بالشتاء مقبل، وكأنك بالفرج آت، وقول الحسن البصري: كأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل، فالمعنى إخبار بقرب إقبال الشتاء، وإتيان الفرج، وزوال الدنيا، ووجود الآخرة[٣].

وبعد أن يحكى المرادى هذا المذهب وهذه الشواهد يقول: « والصحيح أن (كأنك) فى هذا كله للتشبيه، وخرج القاري هذه المثل على أن الكاف فى (كأنك) للخطاب، والباء زائدة، والشتاء والفرح والدنيا والآخرة اسم (كأن) والتقدير: كأن زمانك بالشتاء مقبل وكأن زمانك بالفرج آت. . . ويتأول قول الحسن البصرى على أن الكاف اسم (كأن) ولم تكن خبرها، وبالدنيا- متعلق بالخبر . والتقدير: كأنك بالدنيا، والضمير فى تكن للمخاطب وتكن تامة، ويحتمل أن تكون ناقصة، والتشبيه فى الحقيقة للحالتين»[٤].

---

(١) الكتاب ١٥٤/٢.

(٢) الكشاف ١٩٢/٣.

(٣) ينظر المغنى وحاشية الأمير ١٦٤/١.

(٤) الجنى الدانى فى حروف المعانى٥٧٣، ٥٧٤.

وتكون استفادة القرب فى الأمثلة راجعة إلى كون الخبر موثوقا فى وقوعه بقرائن أخرى، وليس للتشبيه مدخل فى إفادته. أى أن (كأن) باقية للدلالة على التشبيه وليس القرب من دلالتها الوضعية.

ومن شواهد القرآن الكريم لدلالة (كأن) على التشبيه واستفادة معنى القرب من قرائن المقام والسياق الآيات الآتية:

٩- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ (١).

قوله تعالى: (كأن لم يغنوا فيها) تشبيه لحال إهلاكهم واستئصالهم بحال فرض عدم وجودهم من أساسه، وهذا أبلغ فى الدلالة على تحقيق استئصالهم على جهة الكمال حيث لم يترك لهم أثر ألبته.

وللسياق والمقام أثرهما فى إفادة قرب وقت هذا الهلاك من وقت تكذيبهم، إذا ابتدأت الآية لهم بوصف التكذيب (الذين كذبوا شعيبا) ثم طوت الإخبار عنهم بالإهلاك وساقت الخبر للمبتدأ (جملة التشبيه) لبيان حالهم بعد هذا الهلاك فدل سياق الآية على قرب إهلاكهم من تكذيبهم ، وكذلك للغرض فى الآية دلالة على ذلك إذ فيها بيان لقرب عقوبة المكذبين. زجرا لهم عن ضلالهم، والله أعلم.

١٠- قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف ٩٢.

(٢) سورة يونس ٢٤.

قوله تعالى: (كأن لم تغن بالأمس) لتشبيه حال هلاك الدنيا بحالها عندما لم تكن موجودة . أى كأنك بالدنيا لم تكن .

قال أبو حيان « يشبه ما انتفى وجوده الآن بما قدر انتفاء وجوده فى الزمان الماضى لسرعة انتقاله من حالة الوجود إلى حالة العدم، كأن حالة الوجود ما سبقت »(١) . فالأداة (كأن) دلت على التشبيه واستفيد القرب من المقام والسياق .

١١- قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٢) .

(كأنه ولى حميم) دلت (كأن) على تشبيه من يقابل على سيئته بالحسنة بالحميم والصديق أى بصيرورته إلى ذلك أو قريب منه .

وكلام العلماء يدل على أن الأحوال فى مثل ذلك لا تتحقق فيها الولاية الكاملة وإن قاربت .

قال أبو حيان : «قال ابن عطية: دخلت (كأن) للتشبيه، لأن الذى عنده عداوة لا يعود وليا حميما، وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولى الحميم»(٣) .

لكن دليل عدم عوده وليا حميما الأحوال والعادات التى جبل عليها الناس، فليس للأداة دلالة على ذلك، وإنما طريقه قرائن أخرى غير (كأن) والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط ١٤٤/٥ ونجد معنى القرب أيضا فى الآيات من يونس ٤٥ وهود ٦٨، ٩٥ .

(٢) سورة فصلت ٣٤.

(٣) البحر المحيط ٤٩٨/٧.

مزية التشبيه بـ (كأن):

لتميز (كأن) عن (الكاف) في التشبيه بهما بما يأتي:

أولا: أن التشبيه بـ (كأن) فيه من المبالغة والتأكيد مالا يكون مع (الكاف) لـذا فهي تستعمل حيث يقوى الشبه، حتى يكاد الرائي يعتقد أن المشبه هو المشبه به، لا غيره، ولذا قالت بلقيس عندما رأت العرش (كأنه هو)[1] .

ومبنى هذه المزية على الفرق بين قولنا: زيد كالأسد، وقولنا: كأن زيـدا أسد، فإن الأول فيه تحقيق لإلحاق الناقص بالكامل، وإتيان بالتشبيه بعد مـضيّ صدره على الإثبات ، أما الثاني فمبنى على التشبيه من أول الأمر، والمسارعة إلى تحقيق التشبيه ؛ ليتبادر ذهن السامع إليه ، وإعلام بأن تحقق الأسدية لـه عـن طريق التشبيه لا غير[2].

يذكر الإمام عبد القاهر – رحمه الله– هذه المزية في معرض حديثه عـن تميز الأساليب بالنظم والصياغة قائلا: «فإن قلت: فإذا أفادت هذه– أي العبارة– مالا تفيده تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد، بل هما عبارتان عن معنيين اثنين، قيل لك: إن قولنا (المعنى) في مثل هذا يراد به الغرض، والذي أراد المـتكلم أن يثبته أو ينفيه، نحو أن تقصد تشبيه الرجل بالأسد فتقول: زيد كالأسد ، ثم تريد هذا المعنى بعينه، فتقول: كأن زيدا الأسد ، فتفيد تشبيه –أيضا–بالأسد، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول ، وهي أن تجعله من فرط شجاعته، وقوة قلبه، وأنه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الأسد، ولا يقصر عنـه، حـتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي . وإذا كان هذا كذلك؟ فانظر هل كانت هـذه

---

(١) آية النمل ٤٢ وقد سبق الاستشهاد بها رقم ٧.

(٢) ينظر الخصائص١/٣١٧ وعروس الأفراح ٣/٣٩٤.

الزيادة وهذا الفرق إلا بما توخي فى نظم اللفظ وترتيبه، حيث قدم (الكاف) إلى صدر الكلام مع (إن) ...»[1].

فالمبالغة فى التشبيه ناشئة عن تقديم الكاف وصيرورة المشبه داخلا فى جنس المشبه به وفردا من أفراده بحكم الإخبار بالمشبه به عن المشبه. وأكد هذا الإثبات مجئ (إن) والإعلام من أول الأمر عن طريق تقديم الكاف بأن عقد الكلام على التشبيه فتمت المبالغة فى التشبيه وتأكيده بهذه الطرائق تأكيدا لا يكون مع الكاف.

وهذا التأكيد الحاصل من قولك: كأن زيدا أسدٌ، يقترب من التأكيد الحاصل عند عدم وجود الأداة مطلقا، مثل قولك: زيدٌ أسد . بيان ذلك : أن توسط الأداة بين الطرفين مشعر بدلالتها على تغاير الطرفين أكثر من وجودها فى أول الكلام، لأن قولك: زيد كالأسد، تشبيه صريح كأنك قلت: زيد كائن كالأسد، أما قولك: إن زيدا كالأسد ففيه تحقيق لإثبات إلحاق الناقص بالكامل. وعندما يزيد الاهتمام بالتشبيه الذى عليه عقد الكلام ويراد تأكيده نقدم أداته، وتبقى دلالتها على التشبيه التى كانت معها عندما كانت متوسطة، لكنها عندئذ غير متعلقة بفعل أو ما فى معناه، لأنها فارقت الموضع الذى يهيئ لها التعلق به، وصار ما تفيده الجملة عندئذ خلاف ما كانت تفيده قبل تقديم الكاف. وهو الإعلام بأن تحقيق الأسدية لزيد إنما هو بطريق التشبيه لا غير [2] .

وأبلغ هذه الشواهد فى تأكيد التشبيه والحكم بهِ قولنا: إن زيدا أسد، فهو آكد من قولنا: زيد أسد مما فيه إخبار بتشبيه مؤكد، وزيد أسد أبلغ فى التشبيه من كأن زيدا أسد، لأن مجئ الكاف إعلام بأن بناء الكلام على التشبيه،

([1]) دلائل الإعجاز ١٦٨.

([2]) ينظر سر صناعة الاعراب ٣٠٣/١ وشرح المفصل ٨١/٨ وعروس الأفراح ٣٩١/٣.

خلافا لقولنا: زيد أسد، لكون المشبه فى ظاهر اللفظ هو المشبه به، وكأن زيـدا أسد أبلغ من: إن زيدا كالأسد، لأن توسط الأداة بين الطرفين أكثـر إشـعارا بالتشبيه من وجودها فى أول الكلام، وإن زيدا كالأسد، فيه من تأكيـد الحكـم بالمشابهة أكثر من: زيد كالأسد(١).

ومن شواهد هذه المبالغة فى التشبيه وتأكيده فى القرآن الكريم ما يأتى:

١٢- قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢)

(كأنه ظلة) أخبر الله تعالى أنه رفع جبال الطور على بنى إسرائيل، ولمـا كان رفعه لا تجرى به العادة وكان فى مدى تمكنه من رؤوسهم خفـاء شـبه الله ذلك بما تجرى به العادة وهو رفع المظلة فوق الرؤس فأكد هذا التشبيه الشَّبَه بين الجبل وبين المظلة حتى صار المشبه كالمشبه به فى اشتماله عليهم، وتقـرر بـذلك المعنى المراد. والله أعلم.

١٣- قال تعالى يصف الريح التى أرسلها على قوم عاد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾(٣)

(كأنهم أعجاز نخل منقعر) يصف الله جل وعلا هؤلاء فى تساقطهم بالريح القاتلة بأنهم كأعجاز نخل قلع من جذوره. وهذا التشبيه بما صاحبه مـن الفعـل (تنـزع) ووصف النخل بـ (منقعر) والتشبيه بالأعجاز لا بالنخلة كلها، وأداة التشبيه (كأن) كل ذلك يؤكد المشابهة بين هؤلاء والنخل المقلوع من مغارسـه. ونظيرها:

---

(١) هذا الذى ذكرناه يخالف ما يراه البهاء السبكى انظر عروس الأفراح ٣/٣٩٤.

(٢) سورة الأعراف ١٧١.

(٣) سورة القمر ١٩، ٢٠.

١٤- قوله تعالى فيهم -أيضا- : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[١].

(صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) تأكيد لشبههم بالنخل فى الخلو من عنصر الحياة، لأنه تخرج أرواحهم عند الفزع والنخل ينضيبها الخواء بالترك مقطوعة.

ودقة النظم فى القرآن الكريم ترينا عجبا حيثما نظرنا وتدبرنا، فنجد هذه الآية بعد أن وصفتهم بالصرع الذى به تخلو أجسامهم من أرواحهم تَرُدُّ على هذا الصدر عجزها بكلمة (خاوية) وهكذا جاء قران الآية التى قبلها، إذْ صدرت بكلمة (تنزع) وجاء فى عجزها وصف النخل بكلمة (منقعر) لأن النزع والانقراع بمعنى، وقد تعلق النزع فى الصدر بالناس، والانقراع فى العجز بالنخل لأنهما فى الشبه سواء.

١٥- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[٢].

يشبه الله تعالى- المنافقين بالخشب المسندة مؤكدا هذا الشبه، وذلك فى عدم النفع بهم كما أن الخشب المسندة لا ينتفع بها فى جدار أو غيره، والمجىء بكلمة التشبيه (كأن) لما فى هذا التشبيه من غرابة.

١٦- قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾[٣].

---

(١) سورة الحاقة ٧.

(٢) سورة المنافقون ٤.

(٣) سورة المدثر ٤٩ ، ٥٠.

يشبه الله تبارك وتعالى الكافرين فى إعراضهم عن الإيمان بالحمر التى تفر وتجرى خوفا مما أفزعها، أسد يجرى وراءها أو صائد يتبعها، وأكد سبحانه هـذا التشبيه بأداته (كأن) والله أعلم.

ثانيا: مما يصاحب كون المجئ بـ (كأن) لغرض المبالغة فى التشبيه وتأكيده أن يكون المشبه محط الاهتمام عند التشبيه بها[١] لأن المبالغة فى التشبيه وتأكيده مقتضى حال يكون فيها المشبه فى محل العناية به، لذا يتعين أن يكون لـه - أى المشبه - ذكر سابق، أو ارتباط بمذكور سابق قبل جملة التشبيه.

وتتبع شواهد (كأن) فى القرآن الكريم بأناة ورفق، وإمعان نظر يجلى هذه الحقيقة ويكشف عن صحتها[٢]. من ذلك على سبيل المثال:

١٧- قول الله تعالى: ﴿عِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ. كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[٣].

يخبر الله تعالى بما أعد لأهل الجنة من الحور العين ثم يشبه الحـور ببيض النعام فى الأداحى المصون من عبث العابثين. والعرب عندما تشبه النساء فى البياض مع صفرة مستحسنة يشبهونهن بالبيض قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها

تمتعت من لهو بها غير معجل[٤].

وواضح من الآية الأولى أنها تتحدث عن الحور، فالمقام لهذا الغرض من بيان صفة نساء الجنة والاهتمام بوصفهن. فجاءت (كـأن) وللمشبه ذكـر فى الكلام السابق.

---

(١) ينظر شرح الفوائد الغياثية وهوامشه، ففيه إضاءة لهذا المعنى.

(٢) تابع جميع شواهد القرآن الكريم وكلام أهل الطبع فلن تعدم صحة ما أثبتناه.

(٣) سورة الصافات ٤٨ ، ٤٩.

(٤) البيت فى الديوان ١١٤.

١٨- وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[١].

(كأنهن) المشبه وهو (الحور) سبق ذكره فى الآية الأولى.

١٩- وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾[٢].

يشبه الله تعالى الغلمان الذين يخدمون أهل الجنة باللؤلؤ المكنون فى صدفه صفاء ونقاء. ونلحظ هنا ذكر لفظ المشبه قبل عقد التشبيه مما يشعر بأن المقام للحديث عنه. ونظير ذلك أيضا.

٢٠- قول الله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ . خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[٣].

تصور الآيات مشهدا من مشاهد يوم القيامة مشهد خروجهم عند الحشر من قبورهم وأنهم يكونون أشبه شئ بالجراد الذى ينتشر، يذهب هنا وهناك لما يأخذ الناس من شدة ذلك اليوم.

وواضح أن المقام مقام بيان حال هؤلاء الناس. وترى الضمائر فى الكلام عائدة إليهم ، وذكرهم مائل لمن يسمع خبرهم ووصفهم، فجاءت (كأن) — كما بينا— فى مقام: الحديث فيه عن المشبه محقق وواقع قبل عقد التشبيه، وهى فى هذا تختلف عن (الكاف) يجلى لنا ذلك أنْ ننظر إلى قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾[٤]. وترى فى الآيات الحديث عن يوم القيامة وما يصيب

---

(١) سورة الرحمن٥٦، ٥٧ ، ٥٨.

(٢) سورة الطور ٢٤.

(٣) سورة القمر ٦، ٧.

(٤) سورة القارعة١إلى٥.

المخلوقات فيه من الأهوال والشدائد، فيشبه الله تعالى الناس عندئـذ بالفراش المنتشر، ويشبه الجبال بالصوف الذى حل تماسكه، وأزيل ما بينه من اتصال وتشابك. فترى تشبيه الناس بالفراش جاء بالكاف دون أن يسبق للناس ذكر أو كناية، وكذلك انتقلت الآيات إلى تشبيه الجبال بأداة التشبيه (الكاف) أيضا. وهذا هو فرق ما بين الكاف و(كأن) إذ المشبه مع أداة التشبيه(كأن) هو محط الاهتمام، والمقام للحديث عنه، أما مجيئه مع الكاف فقد يكون تبعا لشيء آخر هو موضع الاهتمام، ويكون التشبيه بالكاف تبعا له، يؤكد هذا أيضا الشاهد الآتي:

٢١- قال تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۝ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[1].

يأمر الله سبحانه وتعالى- الكافرين أن يتحركوا حركة لا بطء فيها إلى شعب النار، حيث لا يجدون فيها مأوى ولا ظلا يغنيهم ، فهي نار شديدة ترمي بشرر كالقصر في ضخامته. وقد جاء التشبيه للشرر بأداة التشبيه (الكاف) دون (كأن) لأن الاهتمام في الآية مازال مرتبطا بجهنم وشدتها، ووصفها بما ترمي به من شرر عظيم.

ومن يطلب دليلا واضحا على ذلك فليختبر حسه بالمعنى لو قيل في غير القرآن الكريم: إنها ترمي بشرر كأنه القصر، فهو – ولا شك- واجد المعنى مختلفا تماما، لأن في هذا التركيب انتقالا من الحديث عن جهنم إلى الحديث عن الشرر لصيرورته المقصود المهم بالالتفات إليه والتركيز على تأكيد تشبيهه بالقصر عن طريق أداة التشبيه (كأن) وهذا واضح جدا لصاحب الذوق.

---

(١) سورة المرسلات٢٩إلى٣٣.

لكن عندما أعيد الحديث عن الشرر فى الآية الثانية (كأنه جمالة صفر) بعد التصريح به فى الآية الأولى، وجعله محل الاهتمام بالعظم والضخامة على سبيل التأكيد والمبالغة جئ بالأداة الخاصة بهذه الدلالة (كأن).

ومما هو زيادة فى تأكيد ذلك أن ننظر إلى الآية الآتية:

٢٢- قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١].

فإنه لما كان مساق الآية فى قوله تعالى (الزجاجة كأنها كوكب درى) المبالغة فى التشبيه وتأكيده، وكان هذا ردفاً للاهتمام بالمشبه- صرح به وهو (الزجاجة) وذلك قبل المجئ بالتشبيه. وتحقق بذلك - أيضا - بقاء التركيز على المصباح فى قوله: (المصباح فى زجاجة) كما هو لا يلتفت عنه إلى الاهتمام بتشبيه الزجاجة لصيرورة الجملة عندئذ وصفا بحكم الرابط لو قيل (كأنها كوكب درى).

لكن نظم الآية هكذا - أفاد الاهتمام بالإخبار عن المصباح بأنه فى زجاجة، ثم الاهتمام بتشبيه الزجاجة بأنها كالكوكب الدرى، يؤكد ذلك إحساسنا بالمعنى لو قلنا فى غير القرآن الكريم: المصباح فى زجاجة كأنها كوكب درى، فهو وإن أفاد الإخبار بأن المصباح فى زجاجة إلا أنه لم يفد مزيد الاهتمام بهذا الأخبار وإنما لكى يتحقق الوصف للزجاجة بأنها كالكوكب الدرى. والله أعلم.

---

(١) سورة النور ٣٥.

وإذا لم يكن للمشبه ذكر في الكلام السابق على جملة التشبيه فإننا نجد لفظه يأتي قبل عقد التشبيه وفاء بهذا الاهتمام المناسب للتشبيه بالأداة (كأن) وذلك كما في الآية الآتية:

٢٣- قال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾(١).

تعرض الآيات سؤالا موجها إلى الكفار عن المنزل الحسن، منزل المؤمنين أم منزلهم الذى يعذبون فيه بشجرة الزقوم بما لها من سوء منبت وقبح منظر، وبعد أن ترامى هذا الحديث عن الشجرة وفتنة الكافرين بها اتجهت الآية الأخيرة إلى وصف طلعها بأنه كرءوس الشياطين، محققة هذا التشبيه عن طريق أداته (كأن) فناسب ذلك -أيضا- الاهتمام بالمشبه بالإعلام به قبل عقد التشبيه لعدم ذكره في الكلام السابق، والله أعلم .

وعلى هذا السبيل جرى كلام أهل الطبع من ذلك على سبيل المثال ما يأتي:

يقول الأعشى بعد أن يشبه حبيبته بالظبية التى تخلفت عن قطيعها:

وفلاة كأنها ظهر ترس
ليس إلا الرجيع فيها علاق(٢)

ويقول امرؤ القيس واصفا المواضع التى وقف بها:

ترى بعر الآرام في عرصاتها
وقيعانها كأنه حبّ فلفل(٣)

---

(١) سورة الصافات ٦٢إلى٦٥.

(٢) ديوان الأعشى ١٢٧ والرجيع: ما تجتره الإبل، والعلاق: ما تتبلغ به الناقة عند سيرها، أى ليس لها طعام غير ذلك.

(٣) في شرح القصائد السبع٢٣ وفي الديوان١١١ ترى بعر الصيران: أى قطعان البقر والظباء، والعرصات: الساحات والقيعان: الأرض المطمئنة.

ويقول طرفة بن العبد واصفا ناقته:

أمون كألواح الأران نسأتها

على لاحب كأنه ظهر برجد[١]

وقال عنترة:

يدعون عنتر والرماح كأنها

أشطان بئر فى لبان الأدهم[٢]

وقال لبيد يصف ناقته:

فلها هباب فى الزمام كأنها

صهباء راح مع الجنوب جهامها[٣]

وقال ربيعة بن مقروم:

وواردة كأنها عصب القطا

تثير عجاجا بالسنابك أصهبا

وزعت بمثل السِّيد نهدٍ مُقَلَّصٍ

جهيزٍ إذا عِطفاهُ ماءً تحلّبا[٤]

كل هذه الشواهد التى سبقت نرى فيها المشبه وقد سبق ذكره قبل مجئ جملة التشبيه، ثم هذه شواهد المشبه فيها مرتبط بمذكور سابق:

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال ١٥١ – والأمون: الناقة التى يؤمن عثارها والأران: تابوت خاص بالسادة، ونسأتها: حملتها على السير – واللاحب الطريق البين – والبرجد: كساء فيه خطوط.

(٢) فى شرح القصائد السبع ٣٥٩ – والأشطان: الحبال – واللبان: مجرى اللبب.

(٣) فى شرح القصائد السبع الطوال ٥٤١، والهباب: الهيج والنشاط صهباء: سحابة قليلة الماء.

(٤) البيتان فى الشعر والشعراء ١/٣٢٠ – والواردة: قطعة من الخيل شبهها بجماعات القطا – وزعت: كففت – السيد: الذئب – جهيز: خفيف.

يقول امرؤ القيس فى صفة فرسه:

ضليع إذا استدبرته سد فرجه

بضاف فويق الأرض ليس بأعزل

كأن سراته لدى البيت قائما

مداك عروس أو صلاية حنظل[١]

وقال طرفه:

ووجه كأن الشمس حلت رداءها

عليــه نقى اللون لم يتخــدد[٢]

ويقول عنترة يعنى نفسه:

بطل كأن ثيابه فى سرحة

يحذى نعال السبت ليس بتوأم[٣]

وهكذا لو فتشت فلن تجد إلا ما قلناه .

ثالثا: تتميز (كأن) بمجيئها فى كل تشبيه فيه غرابة، ناشئة من كون المشبه به غير محقق الوقوع لكونه مستحيلا بحكم العقل أو العادة، أو لبعده عن المشبه، ويلحظ كثرة مجئ ذلك عندما تكون (كأن) مكفوفة بـ (ما) من شواهد ذلك الآيات الآتية:

---

(١) الديوان ١٢٠ وشرح القصائد السبع ٩٠ ضليع: قوى- ويعنى بضاف ذنبه وسراته: أعلى ظهره- والمداك: الحجر يسحق به الطيب- والصلاية: ما يدق عليه حب الحنظل.

(٢) شرح القصائد السبع الطوال ١٤٦ والتخدد اضطراب الجلد واسترخاء اللحم.

(٣) شرح القصائد السبع ٣٥٢ - والسرحة: الشجرة الطويلة- والسبت جلود البقر إذا دبغت بالقرظ، وليس بتوأم لم يزحمه أحد فى بطن أمه.

٢٤ – قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[1] .

تشبيه لقتل النفس الواحدة ظلما بقتل الناس جميعا لما فيه من سن الظلم، وواضح استحالة المشبه به وهو قتل الناس جميعا، أو إحياؤهم جميعا .

٢٥– قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

شبه الله تعالى الكافر يضيق صدره بالإسلام وتسد منافذه عليه بمن يصعد في السماء ويرتفع فيها دون جناح، وهذا مما تضيق عنه المقدرة .

٢٦– قال تعالى: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾[3] .

شبه الله تعالى حال من يسار بهم إلى النصر والغنيمة وهم خائفون فزعون بحال من يساق إلى الموت والصغار وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها، فبين المشبه والمشبه به بعد من جهة اختلاف المآل فيهما، ذلك لأن الخروج إلى الجهاد ليس فيه ذله. والموت فيه ليس محققا والمشبه به سوق إلى موت وحمل على مهانة وذلة . فجاءت (كأن) لما بينهما من غرابة وبعد . .

---

(١) سورة المائدة٣٢.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) سورة الأنفال٦.

٢٧- قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١] .

شبه الله تعالى وجوههم بما فيها من ظلمة الكفر بظلام الليل ركب بعضه على بعض ثم كسيت به وجوههم .

٢٨- قال تعالى: ﴿ حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[٢] .

شبه الله تعالى المشرك في تذبذبه وتردده على ضلالات مختلفة، بمن تتخطفه الطير وتتوزعه، أو شبهه في حال تمسكه بضلاله وعدم الرجوع عنه بالساقط في أهويّة لا يخرج منها أبدا، باقيا في قرارها السحيق[٣]

رابعا: إذا كانت (كأن) تفيد تأكيد التشبيه فإن هذا التأكيد يتطامن ويهدأ قليلا عندما تكون مخففة، يشهد لذلك ما يأتي:

١-أن الإحساس بالمعنى عند مجيئها مخففة يختلف عنه عندما تكون ثقيلة، وهذا أمر يدرك بالذوق، ويزيده ما قالوه من أن للألفاظ من حيث هي أصوات دلالة على معناها، إذ يكون بناء الكلمات على صورة لها مناسبة للمعنى الذى تدل عليه، وقولهم: إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى[٤] والشأن في (كأن) ثقيلة أنها أكثر في مبناها وأقوى في أصواتها منها مخففة، وسبيلنا إلى ذلك أن ننظر في شواهدها .

---

(١) سورة يونس٢٧.

(٢) سورة الحج٣١.

(٣) انظر الكشاف والإنصاف لابن المنير ١٢/٣ .

(٤) ينظر الخصائص ١٥٢/٢ والمزهر ٤٧/١.

٢٩- قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[١] .

(كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) جاءت (كأن) مخففة- والله أعلم - دلالة على أن المخاطبين بذلك وهم المؤمنون ليسوا فى حاجة إلى فضل تأكيد لهذه المشابهة، فروعى بذلك مقتضى حالهم، ولأن حال المنافقين فى عداوقم للمؤمنين أوضح من أن تحتاج إلى مزيد تأكيد.

قال أبو حيان: «قال ابن عطية: وكأن مضمنة معنى التشبيه ولكنها ليست كالثقيلة فى حاجة إلى الاسم والخبر، وإنما تجئ بعدها الجمل انتهى»[٢] وإن كان أبو حيان نظر فى كلام ابن عطية إلا أننا نستفيد منه أن بين (كأن) ثقيلة ومخففة فرقا.

٣٠- قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣]

فى الآية تشبيهان الأول (كأن لم يسمعه) بتخفيف (كأن) والثانى (كأن فى أذنيه وقرا) بتثقيلها.

ويبدو- والله أعلم- أن التخفيف فى الأول لسبق الإخبار عنه بأنه استكبر عند توليه فَشَبَّهُه من لا يسمع غير خاف ولا يحتاج إلى مزيد تأكيد، وناسب- أيضا- ما يستحقه من هوين شأنه وعدم الاكتراث به، ثم أكد التشبيه الثانى إعلاما بأن الإعراض متمكن منه، لينقطع الرجاء فيه، مَثَله فى ذلك مَثَلُ الأصم الذى لا يسمع أبدا.

---

(١) سورة النساء ٧٣.

(٢) البحر المحيط ٢٩٢/٣.

(٣) سورة لقمان٧.

٣١- قال تعالى: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١].

وهي في تخفيف (كأن) كالآية السابقة.

٢- ومما يدل على تظامن التأكيد عندما تكون (كأن) مخففة صحة حملهم لها على الكاف والجملة التي بعدها فعلية . إذ لا يكون هذا إلا لقربها من الكاف في الدلالة على التشبيه، يقول الزمخشري عند تفسير الآية الآتية:

٣٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

يقول : «كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن»[٣] ويرى أبو حيان غير ذلك عند تفسيره الآية الآتية:

٣٣- قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[٤]. حكى أبو حيان عن ابن عطية قوله «والكاف من قوله (كأن) يصح أن تكون في موضع الصفة لليوم، ويصح أن تكون في موضع نعت للمصدر، كأنه قال ويوم نحشرهم حشرا كأن لم يلبثوا، ويصح أن يكون قوله (كأن لم يلبثوا) في موضع الحال من الضمير في يحشرهم»[٥].

---

(١) سورة الجاثية٨.

(٢) سورة يونس١٢.

(٣) الكشاف ٢٢٨/٢.

(٤) سورة يونس ٤٥.

(٥) البحر المحيط١٦٢/٥.

وهكذا يبدو لنا صحة الحمل على الكاف، وكونها باقية كما هي (كأن) كما يبدو من رأى ابن عطية الأخير ومما قاله الزمخشرى.

ويجرى هذا التأويل أيضا فى آيات أخرى كآيتى هود(٦٨-٩٥).

خامسا: تختص (كأن) بالمجئ بها عند إرادة تشبيه الشئ بنفسه باعتبار حالين مختلفتين. ويطرد ذلك عندما تكون مكفوفة بـ (ما) وعندما تكون مخففة، وكذلك عندما يكون خبرها فعلا أو شبه جملة فى أحد احتماليه، من ذلك.

٣٤- قول الله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ﴾[1].

٣٥- وقال تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[2]. شبه الله تعالى: ثمود ومدين فى الآيتين بعد إهلاكهم بحالة عدم غنائهم فى ديارهم وبلادهم وذلك من شدة الهلاك الذى أصابهم، فالتشبيه بين حالتين لكل منهما ،و (كأن) هنا مخففة .

ومن شواهدها مكفوفة بـ (ما) ما يأتى :

[٢٦]قال تعالى ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[3]

شبههم الله تعالى فى حال فزعهم وخوفهم عند الخروج للجهاد للحصول على الغنيمة ، بحالهم لو كان يسار بهم إلى الموت .

---

(١) سورة هود٦٨.

(٢) سورة هود٩٥ وانظر النساء ٧٣ والأعراف٩٢ ويونس١٢، ٢٤، ٤٥ والجاثية٨.

(٣) سورة الأنفال ٦وانظر المائدة ٣٢والأنعام ١٢٥ والحج٣١.

ومن شواهدها وخبرها فعل ما يأتي : .

٣٦_ قال تعالى :﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1]

يشبه الله تعالى حالتهم يوم القيامة عندما يعاينون ما أنذرهم بحالتهم لو كانوا قد لبثوا وقتا قصيرا .

٣٧-قال تعالى :﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[2]

تشبيه لهم -أيضا-عندما يرون القيامة ويعرضوا على ربهم بحالة من يستقصر لبثه فى الحياة الدنيا . والخبر فى الآية وفى الآية التى قبلها جملة فعلية[3]

[٣٠]وشاهدها والخبر شبه جملة الآية الآتية :

قال تعالى :﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4].

(كأن فى أذنيه وقرا) خبر كأن شبه جملة وهو الجار والمرور (فى أذنيه) شبه الله تعالى حاله عند توليه بحاله لو كان فى أذنيه صمم وحاجز، والله أعلم.

---

(1) سورة الأحقاف٣٥.

(٢) سورة النازعات٤٦.

(3) وانظر- أيضا- البقرة١٠١ والقصص٨٢ والمعارج٤٢.

(4) سورة لقمان ٧.

«مطلب»:

يبقى لنا القول بعد تحديد أدوات التشبيه وحصرها فى الكاف وكأن أن نقرر أمرين:

الأول: أن التشبيه عندما يكون محذوف الأداة يتعين أن تكون الأداة المقدرة فيه (الكاف) لا غير، وذلك نظرا إلى أنها الأصل، أى (أم الباب) كما يقولون- هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: لدلالتها على التشبيه مطلقا - كما قررناه وأوضحناه فى مبحثها- فهى تصلح مع جميع الشواهد.

الآخر: أن الأداة عند حذفها يكون للمقام والقرائن الأخرى الدلالة على كون الكلام مجراه التشبيه، ولا يسد مكان الأداة غيرها. وبهذا يندفع ما يدل عليه ظاهر كلام الخطيب من أنه «قد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه» كما فى علمت زيدا أسدا. وحسبته بحرا: ذلك أن الحق كما وضح شرّاح التلخيص أن هذه الأفعال لا تنبئ عن أصل التشبيه، وإنما تنبئ عن حال التشبيه فى القرب والبعد[1].

(1) ينظر شروح التلخيص٣/ ٣٨٩ وما بعدها.

المبحث الثالث
(التشابه)

يرجع الفرق بين التشبيه والتشابه إلى ما تقرر من أن قضية التشبيه تقتضى القصد إلى إلحاق ناقص بكامل، بجعله مثله فى وجه الشبه مبالغة. أما التشابه فهو الجمع بين شيئين فى أمر من الأمور من غير قصد إلى زيادة ونقصان، وجدت الزيادة أم لم توجد[١].

ووجه إطلاق التشابه – الذى مضمونه التساوى بين الطرفين- على ما كان فيه زيادة غير منظور إليها هو مراعاة القدر المشترك بينهما الذى تساويا فيه.
وللتشابه طريقان:

«الطريق الأول»:

ما يؤتى فيه بكلمة (تشابه) و(تماثل) و(تساوى) وكل ما وازن ذلك مما يدل على التساوى، مما له فاعلان، لا ما كان له فاعل ومفعول مثل شابه وساوى، إذ شرطه أن يكون الفعل لازما، لأن المتعدى يدل على الحكم بالمشابهة[٢].

ويكون ذلك عند القصد إلى الدلالة على تساوى الطرفين فى الصفة، وإنما تفيد هذه الكلمات التشابه الذى مضمونه التساوى لأن قولنا: تشابه زيد وعمرو « قضيّة تنحلّ فى المعنى إلى قولنا زيد يشبه عمرو وعمرو يشبه زيدا، وأنت لو صرحت هاتين القضيتين لكانتا متنافيتين، فصارتا كالدليلين المتعارضين فى شئ فيتساقطان فى محل التعارض، وهو ترجيح أحدهما على الآخر، ويعمل بهما

---

(١) ينظر المطول ٣٣٥.
(٢) انظر مواهب الفتاح وعروس الأفراح شروح ٣/٤٢٢، ٤١٦.

في مجرد المشابهة، فيكونان متساويين، فيكون مضمون التشابه التساوى»[1] سواء كان هذا التساوى واقعا حقيقة كما فى قول الصاحب بن عباد:

رق الزجاج ورافت الخمر
وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح
وكأنما قدح ولا خمر

أو كان على سبيل الادعاء مثل قولك: تشابه وجه الحبيب والصبح، وقول أبى إسحاق إبراهيم الصابى:

تشابه دمعى إذا جرى ومدامتى
فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
فو الله ما أدرى أبالخمر أسبلت
جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

ويرى الدسوقى – رحمه الله–أن التشابه واقع حقيقة فى هذين البيتين، وليس كذلك[2].

(شواهد هذا الطريق)

بتتبع شواهد هذا الطريق واستقصاء كلماته فى القرآن الكريم وجدتها ثمانى كلمات، هى : تشابه، متشابه، مشتبه، سواء، يستوى، مساوى، سوى، مثل.

---

(1) المرجع السابق الموضع نفسه.
(2) الأبيات فى شروح التلخيص، وحاشية الدسوقى ٤١٢/٣.

الكلمة الأولى «تشابه»:

جاءت هذه الكلمة في أربع آيات من القرآن الكريم، هي ما يأتي:

١-قال تعالى: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾[1]

٢-وقال تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2]

٣- وقال تعالى :﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾[3]

٤-وقال تعالى :﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[4]

الكلمة الثانية«متشابه»:

جاءت هذه الكلمة في خمس آيات مكررة واحدة منها، هي ما يأتي:

---

(1) سورة البقرة٧٠.
(2) سورة البقرة ١١٨.
(3) سورة آل عمران٧.
(4) سورة الرعد١٦.

١-قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَات أَنَّ لَهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

٢-وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَـاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[2]. جاءت فيهـا كلمـة (متشابه) بصيغة الجمع.

٣-وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْـوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

٤-وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِـن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[4].

والصيغة مكررة فى الآية.

٥-وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّـهِ ذَلِـكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[5].

---

(1) سورة البقرة ٢٥.

(2) سورة آل عمران٧.

(3) سورة الأنعام٩٩.

(4) سورة الأنعام١٤١.

(5) سورة الزمر٢٣.

الكلمة الثالثة « مشتبه»

قد جاءت هذه الكلمة فى آية واحدة، إحدى آيتى سورة الأنعام. السابقة منهما، وهى:

١-قوله تعالى: ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾(١).

(دلالة هذه الكلمات)

نستطيع بتدقيق نظر ، وفى ضوء ما قاله أهل اللغة والمفسرون عند تفسيرهم الآيات السابقة أن نحدد دلالة الكلمات (تشابه ، متشابه ، مشتبه) فيما يأتى:

أولا: أن معنى : تشابه الشيئان وهما متشاهان، أن كل واحد منهما يشبه صاحبه، فالكلمتان لإفادة الحكم بالتشابه، لا التشبيه.

ثانيا: أن الأصل فى التشابه أن يكون عينا، اى مرتبطا بالصور المشاهدة، كما هو الأصل فى مادة (شبه) وما تفرع منها(٢). أما إن جاء معنى فيكون على سبيل المجاز.

وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾(٣) – فقد ذكر أبو حيان عند تفسيره الآية قول ابن عطية: «هذا– إشارة إلى الجنس، أى هذا الجنس الذى رزقناه من قبل» (٤) وإذا كان تشابه الثمر فى الجنس ، فإن أكثر تمايز الأجناس بذواها وصورها ، فالتشابه هنا عينا، لا معنى.

وقد وقع اختلاف فى النظر إلى التشابه فى الآية عينا أم معنى.

---

(١) سورة الأنعام٩٩.

(٢) انظر فى المبحث الأول كلمة (شبه) وأصل مادقا ص ٧٠ وما بعدها .

(٣) سورة البقرة ٢٥.

(٤) البحر المحيط ١/١١٥.

قال الراغب: «- وأتوا به متشابها - أى يشبه بعضه بعضا لونا لا طعما وحقيقة، وقيل: متماثلا فى الكمال والجودة» [١]. ويبدو من كلامه ترجيحه التشابه فى الصورة.

وقال ابن منظور: «.. وأما قوله تعالى : «وأتوا به متشابها» فإن أهل اللغة قالوا: معنى متشابها يشبه بعضه بعضا فى الجودة والحسن، وقال المفسرون: متشابها - يشبه بعضه بعضا فى الصورة ويختلف فى الطعم، ودليل المفسرين قوله تعالى: «هذا الذى رزقنا من قبل»لأن صورته الصورة الأولى [٢].

ووجه استدلال المفسرين بقوله تعالى: (هذا الذي رزقنا من قبل) كون مبناه على التشبيه، قال الزمخشرى: « كيف تكون ذات الحاضر عندهم فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا؟ قلت : معناه : هذا مثل الذى رزقناه من قبل وشبهه، بدليل قوله (وأتوا به متشابها) وهذا كقولك : أبو يوسف أبو حنيفة. تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته ، فإن قلت: إلام يرجع الضمير فى قوله: وأتوا به)؟ قلت إلى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا، لأن قوله : (هذا الذى رزقنا من قبل) انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين، ونظيره قوله : ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾[٣] . لدلالة قوله : غنيا أو فقيرا على الجنسين» [٤].

وإذا كان المبنى على التشبيه، أى تشبيههم ما رأوا من ثمرات الجنة بثمرات الدنيا، فإن ذلك لا يكون إلا فى الصورة المشاهدة، لأن بين النوعين تمايزا فى الجودة والحسن الذى هو معنى لا صورة. ويعضد ذلك - كما قال

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ٢٥٤.
(٢) لسان العرب ٢١٩٠.
(٣) سورة النساء١٣٥.
(٤) الكشاف ٢٦٠/١، ٢٦١.

الزمخشرى – كون التشابه فى قوله تعالى: (وأتوا به متشابها) تشابه بين ثمر الدنيا وثمر الآخرة، إذا لو كان التشابه بين ثمر الآخرة بعضه وبعض لأمكن القول بأن التشابه فى المعنى، أى الجودة والحسن. ولعل هذا هو محل نظر أهل اللغة– الذى حكاه ابن منظور.

وقد ذكر البهاء السبكى ما يمكن أن يشكل من التقاء التشبيه والتشابه فى الآية ، وحصر الجواب عنه فيما لا غناء فيه، وغيره أولى منه، قال: «فإن قلت: إذا كان التشابه يقتضى التساوى ، والتشبيه يقتضى التفاوت، فكيف جمع بينهما فى قوله تعالى:(كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) – قال الزمخشرى معناه: مثل الذى رزقنا – ثم قال تعالى: (وأتوا به متشابها) فقد جمع بين صيغتى التشبيه والتشابه؟ قلت: ليس عن ذلك جواب إلا أن يقال: التشابه هنا المراد به التساوى فى مقدار وجه الشبه، والتشبيه باعتبار أن وجه الشبه فى المشبه به معروف»[١].

أما ما نراه أولى فأن نقول: إن التشبيه فى الآية من باب التشابه، أى الطريق الثانى منه، بأن يكون مقصودا بالتشبيه مجرد الاشتراك فى صفة من غير إرادة زيادة ونقصان.

يؤيد ذلك ترديدهم هذا التشبيه ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها، وكونه لا يظن أن يكونوا قاصدين بذلك كمال ثمرات الدنيا وزيادتها فى المزية والفضل– حقيقة أو ادعاء–كما هو مقتضى التشبيه – فيلحقون ما هم فيه فى الآخرة بما نالوا منه فى الدنيا، وإنما كان جعلهم ما يرزقونه فى الجنة مشبها وما كان فى الدنيا مشبها به لكون المشبه محل اهتمامهم والكلام عنه، وهذا نهج سلكوه لتعليل ما هو من هذا القبيل[٢].

---

(١) عروس الأفراح: شروح ٤١٤/٣.
(٢) ينظر شروح التلخيص ٤١٥/٣.

وقد جاء التشابه معنى فى قوله تعالى: (تشابهت قلوبهم)[١]. قال أبو حيان: « لما ذكر تماثل المقالات وهى صادرة عن الأهواء والقلوب ذكر تماثل قلوبهم فى العمى والجهل ، كقوله تعالى : ﴿أتواصوا به﴾[٢] قيل: تشابهت قلوبهم فى الفكر، وقيل: فى القسوة، وقيل، فى التعنت والاقتراح، وقيل: فى المحال»[٣] وهذه الوجوه كلها أمور معنوية بعيدة عن الحس.

وإذا كان الأصل فى دلالة المادة على التشبيه فى الصورة فان استعمال التشابه فى معنى من المعانى يكون على سبيل المجاز باطلاق هذه الدلالة على مطلق الاتفاق عينا أو معنى.

ثالثا: قالوا: إن (تشابه) و(اشتبه) يتقاربان ويشتركان كثيرا، ففى الآية (والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه) يقول الراغب: « وقرئ قوله (مشتبها وغير متشابه) وقرئ (متشابها) جميعا، ومعناهما متقاربان »[٤].

وقال الزمخشرى: «مشتبها وغير متشابه- -يقال: اشتبه الشيئان وتشابها، كقولك: استويا وتساويا. والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا»[٥].

لكننا فى حاجة إلى إضاءة تكشف لنا حدود هذا القرب ، ومدى الاشتراك بينهما. والذى يبدو أن وجه الاشتراك كون كل من الكلمتين تدل على مشابهة كلا الطرفين للآخر. قال ابن منظور: «تشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، وفى التنزيل (مشتبها وغير متشابه)... ثم يقول : وأمور مُشْتَبِهَةٌ ومُشَبَّهَةٌ: مشكلة يشبه بعضها بعضا»[٦].

---

(١) سورة البقرة ١١٨.
(٢) سورة الذاريات٥٣.
(٣) البحر المحيط ١/٣٦٧.
(٤) المفردات فى غريب القرآن ٢٥٤.
(٥) الكشاف ٢/٤٠.
(٦) لسان العرب ٢١٨٩، ٢١٩٠.

أما التقارب فمن جهة كون التشابه نوعين: نوع لا يوقع في الشبهة، ونوع يوقع فيها وهو ما يلتقي فيه(تشابه واشتبه).

فالاشتباه يدل على الوقوع في الشبهة، يؤيد ذلك ما حكاه ابن منظور قائلا: «ذكر أبو العباس عن ابن الأعرابي. وشبَّهَ الشيء إذا أشكل وشبَّهَ إذا ساوى بين شئ وشئ، وقال: وسألته عن قوله تعالى: (وأتوا به متشابها) فقال: ليس من الاشتباه المشكل، وإنما هو من التشابه الذى هو معنى الاستواء. وقال الليث: المشتبهات من الأمور المشكلات..»[1].

وإلى كون التشابه نوعين ذهب- أيضا- أبو حيان عند تفسير التشابه في الآية: (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات من أم الكتب وأخر متشابهات) قال :« وجاء وصفه – أى القرآن- بالتشابه بقوله: (كتابا متشابها) معناه: يشبه بعضه بعضا في الجنس والتصديق، وأما هنا فالتشابه ما احتمل، وعجز الذهن عن التمييز بينهما، نحو (إن البقر تشابه علينا) (وأتوا به متشابها) أى مختلف الطعوم متفق المنظر»[2].

لكن لا يسلم لأبي حيان كون التشابه في قوله تعالى: (وأتوا به متشابها) من التشابه الملبس، لأن هذا التشابه بين ثمر الآخرة وثمر الدنيا، ومادام كذلك فلن يقعوا في خلط بينهما بقرينة المقام، فضلاً عن قرينة المقال من قولهم: (هذا الذى رزقنا من قبل) وترديدهم هذا القول كلما رزقوا منه، على التشبيه.

رابعا: إن كلمة (تشابه) عندما تكون هى وكلمة (اشتبه) بمعنى، أى للدلالة على التشابه الملبس فإنها تكون مصحوبة بحرف الجر (على) لأن الفعل متى ضمن معنى فعل آخر عدى بالحرف الذى يعدى به هذا الفعل ، كما عدّى

---

(١) لسان العرب ٢١٩٠.
(٢) البحر المحيط ٣٨١/٢.

الفعل استوى بالحرف (إلى) عندما ضمن معنى انتهى (تدبيرا) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ﴾[1].

وإنما تصير (تشابه) بمعنى (اشتبه) ومساوية لها عندما يشتد التشابه، ويصير كأنه علا على الرائي ولبس عليه الأمر. وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم»[2]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾[3]. وهي في هذا تعتمد على قرائن المقام والسياق.

الكلمة الرابعة (سواء)

تدل هذه الكلمة على تساوى طرفيها في المعنى الذي اشتركا فيه، وقد عدها البهاء السبكي في أعلى مراتب الأبلغية في المشابهة، إذ تدل على تحقق الشبه من كل وجه عدا ما يقع به الامتياز[4].

وهي وما يشتق منها مما يحتاج إلى فاعلين- مثل تساوى، ويتساوى واستوي عند إسنادها إلى فاعلين، مثل: استوي زيد وعمرو - تدخل في باب التشابه لا التشبيه، لعدم إلحاق ناقص بكامل لها.

وقد جاءت كلمة (سواء) في القرآن الكريم مثبتة في اثنتي عشرة آية ومنفية في آية واحدة، هي ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[5]. سوت الآية بين الإنذار وعدمه، فالكافرون حالهم

---

(١) سورة فصلت ١١وانظر المفردات٢٥١.

(٢) سورة الرعد١٦.

(٣) سورة البقرة٧٠.

(٤) ينظر عروس الأفراح ٣٩٣/٣ وهذه الدراسة ٨٠وما بعدها.

(٥) سورة البقرة٦.

معهما سواء لا تختلف. والطرفان (الإنذار، وعدمه) بينهما تشابه ولم يلحق أحدهما بالآخر فى الوجه الذى هو عدم الاستجابة معهما لوجود نقصان وزيادة.

٢- قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾[1].

أى تكونون أنتم وهم سواء فى الكفر. والتشابه بكلمة (سواء) مسبوق – أيضا– بتشابه من طريق التشبيه (كما كفروا).

٣- قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾[2].

تسوية لخالق الأصنام عند الدعوة إلى الهدى، وعند تركهم فى عدم السمع والاستجابة.

٤- قال تعالى: ﴿سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[3].

أى يستوى من يسر القول ومن يجهر به فى علم الله بهما. وكذلك من يستخفى فى ظلمة الليل ومن يضطرب بالنهار فى الطرقات يبصره الناس.

٥- قال تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[4].

أى يستوى جزعنا وصبرنا فى عدم الفائدة مع العذاب الذى نلاقيه.

---

(١) سورة النساء٨٩.

(٢) سورة الأعراف ١٩٣.

(٣) سورة الرعد١٠.

(٤) سورة إبراهيم ٢١.

٦- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١].

(سواء العاكف فيه الباد) أى يستوى فيه الجميع فى العبادة والطاعة والزيارة، وليس لأحد حق أكثر من الآخر فى ذلك.

٧- قال تعالى:﴿ قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴾[٢]

أى يستوى عندنا وعظك وعدمه فلن نستجيب. وقال الزمخشرى: « فإن قلت: لو قيل: أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد. قلت: ليس المعنى بواحد، وبينهما فرق، لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ، أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه فهو أبلغ فى قله اعتدادهم بوعظه من قولك: أم لم تعظ»ويرى أبو حيان أن النكتة فى ذلك مراعاة الفاصلة، وما ذهب إليه الزمخشرى أولى.[٣]

٨- قال تعالى : ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤]

أى تكونون أنتم وعبيدكم فيما تملكون من أموال وغيرها سواء من غير تفضيل حر على عبد.

٩- قال تعالى: ﴿وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.[٥]

أى يستوى إنذارك وعدمه، فهم لا يؤمنون فى جميع الأحوال.

---

(١) سورة الحج ٢٥.

(٢) سورة الشعراء ١٣٦

(٣) الكشاف ١٢٢/٣ والبحر المحيط ٣٣/٧.

(٤) سورة الروم ٢٨.

(٥) سورة يس١٠.

١٠- قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1]

(سواء محياهم و مماتهم) سواء – بالنصب بدل من الكاف ، أجري مجرى (مستويا) و (محياهم و مماتهم) بالرفع علي الفاعلية ، و بالنصب علي الظرفية ، أي في محياهم وفي مماتهم ، والمعني :إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون في المحيا والممات ، لافتراق أحوالهم ، لأن المعاصي للمسيئين ، و الطاعة للمحسنين ، واليأس من رحمة الله للعصاة ، والبشري للطائعين ، وعلي هذا التوجيه يكون الاستفهام علي سبيل نفي التشابه . و قرىء (سواء محياهم ومماتهم) برفع (سواء) علي الإستئناف ، بمعني أن محيا المسيئين ومماتهم سواء ومحيا المحسنين ومماتهم سواء ، فكل يموت علي حسب ما عاش عليه ، وعندئذ يكون التشابه علي سبيل الإثبات لا النفي [2]

١١- قال تعالى ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] أى سواء عليكم الأمران فسواء خبر لمبتدأ محذوف.

١٢- قال تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[4]

أى سواء عندهم الاستغفار وعدمه ، فهم لا يأبهون بشيء ولا يعتقدون في رجاء لظلمة قلوبهم ، أو أن الله لا يغفر لهم استغفرت أم لم تستغفر لهم [5].

أما الآية التى جاءت فيها (سواء) منفية فهي:

---

(1) سورة الجاثية ٢١.

(٢) ينظر الكشاف ٥١٢/٣

(3) سورة الطور ١٦.

(4) سورة المنافقون ٦.

(5) ينظر الكشاف ١١٠/٤

١٣- قول الله تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[1]

نفى الله تعالى استواء أهل الكتاب فى الجور والاعتداء ، لأن منهم فن استقام على النهج بدخوله الإسلام.

الكلمة الخامسة (يستوى)

جاء هذا الفعل مثبتا فى اللفظ منفيا فى المعنى فى ثلاث آيات ، ومكررا فى واحدة منها ، ومنفيًا فى اللفظ والمعنى فى تسع آيات. وهذه الشواهد نوعان:

«نوع» يكون فيه متعلق التساوى المنفى – صفة غير موجودة أصلا فى أحد الطرفين [2] ويكون الغرض نفى تساويهما فى مجرد وجود الصفة ليبقى الطرف الآخر متميزا بوجودها فيه. وشواهد هذا النوع فى تسع آيات منها الآيات الثلاث التى فيها النفى فى المعنى دون اللفظ، وهى ما يأتى:

١- قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[3]

الفعل (يستوى) فى موضعيه مثبت فى اللفظ منفى فى المعنى لأنه فى سياق استفهام إنكارى، فهو نفى لاستواء الأعمى والبصير فى رؤية الأشياء، أو فى الهداية إن كانا مستعملين فى الضال والمهتدى على سبيل الاستعارة ، ونفى لاستواء الظلمات والنور فى انكشاف الأشياء بهما، أو فى الاهتداء بهما إن كان

---

(١) سورة آل عمران ١١٣

(٢) نعنى بالطرفين هنا طرفى التساوى لا طرفى التشبيه الاصطلاحى

(٣) سورة الرعد ١٦.

استعمالهما فى الكفر والإيمان على سبيل الاستعارة، وواضح أن الصفة المنفى التساوى فيها غير موجودة فى الأعمى وفى الظلمات ، فنفى التساوى نفى لمجرد الوجود فيهما معا على حد سواء.

٢-٣ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يعلمون وضرب اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]

استفهام على سبيل الإنكار فى الآيتين إنكار أن يستوى العبيد والأحرار فى التملك فى الآية الأولى بقوله (هل يستوون) وإنكار أن يستوى من كان ضعيفا عاجزا ومن كان قادرا سالكا الطريق المستقيم فى الإتيان بالأفعال على وجه النفع والخير، وذلك بقوله (هل يستوى) فى الآية الثانية، وواضح أن الصفة التى انتفى فيها الاستواء موجودة فى أحد طرفيه دون الآخر فى الشاهدين.

وهذه الآيات التى سبقت هى آيات النفى فى المعنى دون اللفظ. أما النفى فيهما معا ففى الآيات:

٤- قال تعالى: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]

نفى لاستواء الخبيث والطيب فى النفع والخير، وواضح أن النفع لا يكون فى الخبيث قطعا. فالنفى نفى للتساوى فى مجرد وجود الصفة فيهما معا.

---

(1) سورة النحل ٧٥، ٧٦.

(2) سورة المائدة ١٠٠.

٥- قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١)

نفى أن تتساوى أعمال الكافرين المحبطة وأعمال المؤمنين الثابتة فى القبول لها عند الله تعالى.

٦- قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ﴾(٢)

نفي للتساوى بينهما فى القبول لهما فى الدنيا والآخرة

٧-٨ قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى والبصير ولا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحرور وما يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾(٣)

الفعل ملفوظ فى آيتين مقدر فى الأخريين. أى وما يستوى الظلمات ولا النور، وما يستوى الظل ولا الحرور، وهو فى الآيات كلها لنفى التساوى فى النفع والتشابه فى صفة، وواضح أن الصفة موجودة فى أحد الطرفين دون الآخر.

٩- قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٤)

نفى للتساوى بين الحسنة والسيئة فى إصلاح النفوس . وإثبات للتفاوت المقتضى من العاقل اختيار الأفضل منهما، والنفى لمجرد الاتفاق فى الصفة.

١٠- قال تعالى : ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٥)

(١) سورة التوبة ١٩.
(٢) سورة السجدة ١٨.
(٣) سورة فاطر ١٩ الى ٢٢
(٤) سورة فصلت ٣٤.
(٥) سورة الحشر ٢٠

نفي لتساويهما فى صلاح العمل فى الدنيا وفى الجزاء عليه فى الآخرة.

«ونوع آخر» يكون فيه متعلق التساوى المنفى صفة موجودة فى طرفى التساوى معا، ويكون الغرض نفى تساوى الطرفين فى هذه الصفة، أى نفى وجودها فيهما على حد سواء. وقد جاء من هذا النوع الشاهدان الباقيان من شواهد الفعل (يستوى) وهما :

١١- قول الله تعالى: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[1].

نفي للمساواة فى الفضل بين القاعدين لعذر والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله. فالصفة المشتركة هى المنزلة عند الله تعالى لكن التساوى فيها منفى لزيادة درجات المجاهدين عن القاعدين. بدلالة المقام والسياق فقوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) دل على تميز المجاهدين وتفوقهم فى الفضل بدرجة وقوله (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) يدل على عظمة هذه الدرجة فى القدر والمنزلة، وأنها شيء عظيم. والله أعلم.

١٢- قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2] فى الآية نفى للتساوى والتشابه فى الفضل بين من أنفق قبل الفتح ومن أنفق وقاتل من بعده، وإن كانوا جميعا من أهل الفضل والكرامة.

---

(١) سورة النساء ٩٥

(٢) سورة الحديد ١٠.

الكلمتان السادسة والسابعة(ساوى وسوّى):

جاءت هاتان الصيغتان في آية واحدة هي:

١- قول الله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ (١)

(ساوى بين الصدفين) و (سوى بين الصدفين) قراءتان، قال أبو حيان: «قرأ الجمهور ساوى، وقتادة سوّى (بتشديد الواو) وابن أبي أمية عن أبي بكر عن عاصم سُووى مبنيا للمجهول»(٢)

والمعنى: أى جعل بينهما سواء لا فرق بين جانب وجانب، ولا بين جانبه ووسطه، ودلالة الصيغتين على التساوى والتشابه يكون عند تعلقهما بالظرف (بين) كما في الآية. أما إذا تعدت الصيغتان إلى المفعول الثانى بحرف الجر (الباء) فإنهما لا تفيدان التسوية والتشابه، مثل: ساويت هذا بذاك وسويته به.

ذكر ابن منظور من المادة أفعالا مختلفة نلحظ فيها اختلاف الدلالة تبعا لاختلاف متعلق الفعل، قال: «تساوت الأمور واستوت، وساويت بينهما، أى سويت، واستوى الشيئان وتساويا تماثلا...ويقال ساويت هذا بذاك إذا رفعته حتى بلغ قدره ومبلغه، وقال الله عز وجل: (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أى سوى بينهما حين رفع السد بينهما ويقال: ساوى الشيء الشيء إذا عادله، وساويت بين الشيئين إذا عدلت بينهما وسويت» (٣)

واضح أن الفعل متى دل استعماله فى الكلام على إلحاق ناقص بكامل كان من باب الحكم بالمشابهة، وإن دل على تساوى الطرفين كان حكما بالتشابه.

---

(١)سورة الكهف ٩٦.

(٢) البحر المحيط ١٦٤/٦ وانظر كتاب التذكرة فى القراءات ٥١٧/٢

(٣) لسان العرب ٢١٦١.

وعليه فقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١) الفعل (سوى) فيه لإفادة الحكم بالمشابهة والتسوية بينهم وبين الله تعالى فى العبادة، أى إلحاقهم فى المنزلة بالله جل وعلا عن النظير والتشبيه.

وهكذا نرى أن الدلالة تختلف تبعا لمتعلق الفعلين (ساوى، سوى)، حكما بالمشابهة، أو التشابه.

الكلمة الثامنة (مثل).

ذكرنا عند الحديث فى المبحث الأول عن الكلمات التى تفيد الحكم بالمشابهة أن كلمة (مثل) تدل على الاتفاق بين طرفى المماثلة جنسا وصفة، الذى هو حقيقة المماثلة. وألمحنا إلى أن شواهد (مثل) فى مواقعها تتنوع حسب المقام والسياق إلى ما هو لإفادة المماثلة وما هو لإفادة التماثل.

وتكون (مثل) لإفادة المماثلة ان جاءت فى مقام يقصد بها فيه إلحاق ناقص بكامل على سبيل الفرض والادعاء، فمثلا قوله تعالى حكاية لما يقوله الكفار لأنبيائهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾(٢) نجد فيه الكفار يلحقون أنبياءهم بغيرهم فى البشرية ، جريا على ما يزعمونه من أن دعوى الرسالة تنافى البشرية، فأخبروا رسلهم بأنهم يماثلونهم فى البشرية لا ينقصون من أوصافها شيئا، تقوم مقامه صفات ملائكية يكونون بها أهلا للرسالة. وكذلك يقص القرآن إجابة الرسل لهم مخبرين بمماثلتهم لهم فى البشرية فى قوله تعالى ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٣)فهم يوافقونهم فيما قالوه من أنهم لا ينقصون عنهم فى البشرية ،لكن الله ميزهم بالرسالة، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من

---

(١) سورة الشعراء ٩٧،٩٨

(٢) سورة إبراهيم ١٠

(٣) سورة إبراهيم ١١

يشاء. فالطرفان وإن تماثلا فى الصفة إلا أن المقام دل على أن الغرض إفادة المماثلة وإلحاق الناقص بالكامل، وكذلك للسياق دلالته . - أيضا - على ذلك، إذ جاء الكلام بأسلوب القصر بطريق النفى والاستثناء، الذى من شأنه أن يكون المجىء به عند الحكم بما هو مجهول أو ما نزل منزلة المجهول .

وقد لا يمكن تحقق المماثلة ألبتة، فضلا عن انتفاء دعوى التماثل، لكن تأتى (مثل) طلبا للمماثلة على سبيل الإلزام فى مقام بيان العجز عنها، كما فى آيات التحدى بالإتيان بكلام يماثل القرآن الكريم، فى دقة نظمه وبلاغته، مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[1] فمقام التحدى يدل على أن الغرض نفى استطاعتهم أن يأتوا بكلام يصل إلى درجته فى البلاغة ، وسياق الآية بما فيه من نفى الاستطاعة واضح الدلالة على هذا- أيضا - وهم مع هذا العجز يتمسكون بباطلهم، يدعون استطاعتهم أن يأتوا بمثله، حكى عنهم القرآن الكريم ذلك قائلا: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ ﴾[2] فهم يدعون - قاتلهم الله - أنهم يستطيعون الإتيان بما يماثل القرآن فى قصصه وحكاياته الغريبة، بحيث لا يقل عنه، لأنه من أساطير الأولين!!.

- وقد تأتى (مثل) لإفادة الإخبار بالاتفاق جنسا وصفة دون قصد إلى زيادة ونقصان، فتكون عندئذ لإفادة التشابه، وشواهدها فى الآيات الستة الباقية الآتية:

---

(١) سورة الإسراء ٨٨.

(٢) سورة الأنفال ٣١.

٧٣* - قال تعالى :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[1]

٧٤- وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2]

مضى ذكر هاتين الآيتين فى معرض الحديث عن دلالة الكاف على معنى (مثل) فى قوله تعالى (كذلك قال...) أى قال الذين لا يعلمون مثل قول اليهود والنصارى، وكان التشبيه بالكاف باعتبار أن وجه الشبه فى المشبه به معروف، ثم جاءت (مثل) للدلالة على التشابه بين المقالتين، إذ ماثلت كل مقالة أختها، وذلك فى خطأ التجريح والذم فى الآية الأولى ، وفى اقتراح الآيات وغير ذلك فى الآية الثانية، فالتشابه نظرا إلى توافق القولين معا فى كلتا الآيتين، ويساعد على ذلك سياق الآية الثانية فى قوله (تشابهت قلوبهم) فإن تشابه القلوب يلزم منه تشابه الأقوال والأفعال. فالآيتان بذلك جمعتا بين التشبيه والتشابه [3].

٧٥- قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[4]

(*) الترقيم يجرى فى تسلسله لجميع شواهد (مثل)

(١) سورة البقرة ١١٣.

(٢) سورة البقرة ١١٨.

(٣) ينظر عروس الأفراح ٣/٤١٤ والبحر المحيط ١/٣٥٣، ٣٦٧.

(٤) سورة آل عمران ١٤٠

(قرح مثله) أى مثله فى الإصابة من قتل وأسر، أو من قتل أو من هزيمة، لثلاثة أقوال ذكروها [1].

وعليه فالمثلية تكون فى كونه قرحا دون نظر إلى زيادة ونقصان. والمعنى: أنهم إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم يوم بدر. فتشابه القرحان.

٧٦- قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[2].

(العرض) التافه الذى لا يثبت ولا يستقر، وقوله تعالى (عرض مثله) أى فى الحقارة وعدم القيمة و(مثل) لإفادة تماثل العرضين فى صفة التفاهة، ولا يبدو منها مساواة ناقص بكامل، فهى لتشابه العرضين معا فى الصفة، والله أعلم.

٧٧- قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾[3].

قوله (أو متاع زبد مثله) المثلية هنا – والله أعلم – للتشابه فى كون كل من الزبدين يتولد من الأوساخ والأكدار، وليس أحدهما أولى بالوصف من الآخر، إذ هو يخصهما معا على السوية، فكلمة (مثل) للتشابه، لعدم تحقق زيادة ونقصان بين طرفى المماثلة.

---

(١) انظر البحر المحيط ٦٢/٣.

(٢) سورة الأعراف ١٦٩.

(٣) سورة الرعد ١٧.

٨٨- قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هَـذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[١]

المعنى : أى ليعمل كل جاد يبتغى الفوز يوم القيامة عملا يصل بـه إلى مثل هذا الفوز. وكلمة (مثل) للتشابه، لأنه ليس ثمة فوز آخر يماثل الفوز بالجنة، فيمكن أن يتصور عندئذ زيادة ونقصان، ولأن الأمر بالعمل فى حقيقته من أجل ذلك الفوز ، قال الطبرى: «يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة فى الآخرة، فليعمل فى الدنيا لأنفسهم العاملون، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم»[٢] .

وإذا كان العمل لإدراك هذا الفوز إذْ لا فوز بغيره فى الآخره، فلا يكون عندئذ ما هو ملحق به ، ومماثل له.

وإذ قد تبين لنا الفرق بين مجيء (مثل) لإفادة الحكم بالمماثلة بإلحاق الناقص بالكامل ومجيئها لإفادة الحكم بالتماثل بين الطرفين عندما لا ينظر إلى زيادة ونقصان، تبعا لما يقضيه المقام، ويساعد عليه السياق، فإنه يظهر لنا فساد تعميم القول بأن «مثل، ومثيل، ومماثل، وما يتفرغ منها تفيد التسوية والتشابه، لا التشبيه – وأنه – قد ورد استعمالها فى القرآن الكريم، للدلالة على التشابه و التساوى، لا التشبيه بين المتفقين فى الجنس أو النوع، فى كثير من أمور التشريع ، وفى تحدى الكافرين والكافة ، أن يأتوا بشيء مماثل للقرآن فى إعجازه ، وبلاغته، وفى غيرهما من السياقات المقتضية لاستعمالها للدلالة على المساواة فى صفة أو صفات »[٣] .

وإنما كان هذا التعميم فاسدا لأن ثَمَّةَ فرقا – كما بينا – بين التسوية والتساوى، وكذلك بينها وبين التشابه، بقدر الفرق بين التشبيه والتشابه.

(١) سورة الصافات ٦٠،٦١

(٢) جامع البيان ٢٣/٦٢.

(٣) بيان التشبيه ٣١٧، ٣١٨

(**الطريق الآخر**):

هو أن يؤتى بأداة التشبيه ويكون الغرض من المجيء بها - حسب المقام- مجرد الجمع بين أمرين مرادا القدر المشترك بينهما دون نظر إلى زيادة ونقصان فى الطرفين.

قال العصام: «إن أداة التشبيه قد تستعمل لمجرد قصد التشريك»[1] مثال ذلك: أن تشبه غرة الفرس بالصبح، أو الصبح بغرة الفرس، قصدا إلى وقوع منير فى مظلم أكثر منه، دون نظر إلى اختلاف الطرفين فى التلالؤ والانبساط وقوة الضوء بدلالة المقام. لأنه إن قصد ذلك كان من باب التشبيه المعهود، وحيث كان المراد المعنى الذى يتساوى فيه الطرفان يكون من باب التشابه[2].

ويستحسنون عند إرادة الجمع بين الطرفين على سبيل التساوى فى الوجه لا مطلق حصوله فيهما الإتيان بصيغة التشابه (الطريق الأول) لأن أداة التشبيه تنبيء غالبا عن كون أحدهما ناقصا والآخر زائدا فى وجه الشبه. «وإنما لم يجب لأن المتكلم قد يكون أحد الطرفين عنده أهم، إما لكونه أول خاطر لمجيئه فيه أو لكونه المخبر عنه، فيتقدم لكونه يجب أن يكون مبتدأ حينئذ ، فيخبر عنه بكونه كالآخر »[3].

وشواهد هذا الطريق تخص أداة التشبيه (الكاف) دون (كأن) لأنها لما كانت لتأكيد التشبيه ناسب ذلك أن يكون القصد معها إلى إلحاق الناقص بالكامل، وتأكيد هذا الإلحاق، فلا تأتى (كأن) للتشابه. أما الكلمات الأخرى فقد بينا أنها ليست أدوات للتشبيه الاصطلاحي الذى يصار به إلى هذا الطريق الثانى ، ولذلك ذكرنا شواهدها فى الطريق الأول.

---

(١) الأطول ٢/٩٥

(٢) ينظر شروح التلخيص ٣/٤١٥.

(٣)مواهب الفتاح ٣/٤١٥

والفيصل بين إبقاء شواهد التشبيه كما هى من التشبيه الاصطلاحى والخروج بها إلى التشابه يرجع إلى الغرض الذى سيق من أجله الكلام، وما يصحب ذلك من قرائن السياق. وعلى المتلقى أن يتحرى بذوقه وإحساسه بالمعنى طريق هذا التشبيه ، إذ قد يختلف الاعتبار تبعا لاختلاف الأغراض والمقامات ، فمثلا:

١٢٥* - قول الله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾(١) .

التشبيه فى قوله: (لو تكفرون كما كفروا) ليس من التشبيه المعهود الذى يقصد به زيادة وجه الشبه فى المشبه به ونقصان فى المشبه، وإلحاق الناقص بالكامل.

لأن الغرض الإخبار عن تمنى المنافقين مجرد وقوع الكفر من المؤمنين كما هو واقع منهم، لا أن يصير كفرهم - حاشاهم من ذلك - مساويا لكفر المنافقين، فالمقام يمنع ذلك ألبته. والسياق أيضا يساعد على ذلك باشتماله على كلمة (سواء) التى تدل على التشابه بطريقه الأول. أى تكونون سواء فى الكفر، لا أن يساوى كفرهم فى أسبابه وصفاته ويصير مثله.

١٢٦- وقوله الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٢) .

(*) يجرى تسلسل الترقيم لآيات الكاف كلها، وهى اثنان وسبعون ومئتا آية.

(١) سورة النساء ٨٩.

(٢) سورة الروم ٢٨.

قال الزمخشرى: «تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم، كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار»[١] ومن الواضح البين أن السيد لا يخاف أن يَسْتبد برأيه دون عبده، وأن يتصرف فى الأمور حلاً وعقدا دون أن يرجع إليه، وإذا كان كذلك فإنه يتَأبى أن يكون القصد إلحاق ما عند السادة من خوفهم عبيدهم بما يكون بين السادة من خوف بعضهم لبعض، لأنه ليس ثمة خوف قطعا من السادة لعبيدهم، فالتشبيه بين الخوفين فى مجرد الوقوع، فيعد من باب التشابه لذلك.

١٢٧- وقوله تعالى فى قصه ملكه سبأ: ﴿فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[٢]

جاء قولهم: «أهكذا عرشك» فى مقام تعريفها بعرشها الذى نكروه لها، فالسؤال عن كمال المشابهة التى هى حقيقة التشابه، يدل على ذلك مساق الكلام، فقد سألوها عن مشابهة عرشها لما تراه أمامها، جاعلين الحاضر أمامها المشبه به، ومعلوم أن طبيعة المشبه به الظهور وعدم الخفاء لدى المتكلم والسامع، وجعلوا عرشها الذى تعلمه مشبها، فصار الطرفان واضحين أمامها لا تخفى حقيقتهما عليها. هذا مع ما فى السياق من إيقاظ الذهن بالتشبيه والإشارة، ولذلك لم تلبث أن قالت. (كأنه هو) فقربت بينهما وجعلتهما فى دائرة واحدة بالمجىء بلفظ التشبيه (كأن) والإخبار عنه بلفظ الضمير (هو) بما له من دلالة على حقيقة الشىء وماهيته.

قلنا إن مرجع اعتبار صيغة التشبيه من باب التشابه إلى المعنى الذى يفهم من الكلام. ويتبدى لنا اختلاف الاعتبار عند العلماء فى تفسيرهم الآية الآتية:

---

(١) الكشاف ٣/٢٢١.

(٢) سورة النمل ٤٢.

١٢٨- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]

قوله (كذلك نخرج الموتى) أى إخراجا مثل ذلك – وهو إخراج الثمرات– نخرج الموتى لعلكم تذكرون. التشبيه هنا فى مجرد الفعل؛ لذلك يكون من باب التشابه، وبينما يرى الزمخشرى هذا التفسير يقول أبو حيان: «وهل التشبيه فى مطلق الإخراج، ودلالة إخراج الثمرات على القدرة فى إخراج الأموات، أم فى كيفية الإخراج، وأنه ينزل مطر عليهم فيحيون كما ينزل المطر على البلد الميت فيحيا نباته، احتمالان»[٢].

وهذا الاحتمال الثانى الذى ذكره أبو حيان فيه إبقاء للتشبيه على حاله بإلحاق الخفى بالظاهر، وبيان لحال هذا الإخراج.

وضح مما قدمناه أن التشبيه الذى يصير إلى الطريق الثانى للتشابه يكون القصد منه مجرد اتفاق الطرفين فى وجه الشبه ، دون خصوصيات فيه، كأن تراعى فيه زيادة ونقصان أو ظهور وخفاء... وقد قلنا عند بدء الحديث عن التشبيه بالكاف إن التشبيه بين الأفعال ضربان ضرب يلحظ فيه كمال وجه الشبه فى المشبه وضرب لا يكون القصد منه إلا إلى مجرد اتفاق الطرفين فى وجه الشبه، وتدخل شواهده فى باب التشابه، وهو كثير فى القرآن الكريم . وهذه الشواهد مع كثرتها لا تختلف فى طبيعة هذه الدلالة. أى القصد إلى مجرد الجمع بين الطرفين، وإن كانت تختلف حسب مقاماتها ومواقعها التى جاءت فيها . فقد تكون فى مقام الحديث عن الوحى وإرسال الرسل، أو الحديث عن الآيات وبيانها وتفصيلها ، أو عن الخلق والإحياء والإماتة. أو عن الإيمان، وما يصاحب الطاعة من نعم فى الأولى والآخرة، أو عن الكفر

(١) سورة الأعراف ٥٧

(٢) البحر المحيط ٣١٨/٤ وانظر الكشاف ٨٤/٢.

والمعاصي والجزاء عليها وما يرتبط بذلك، أو عن ابتلاء، أو بيان تشريع، أو حكم، أو ضرب مثل، إلى غير ذلك.

وسنذكر هذه الشواهد حسب كثرة ورودها في القرآن الكريم، بصورة مختصرة في البيان لوضوح الرؤية فيها بعد ما قدمنا من بيان الفرق بين التشبيه التشابه.

أولا: شواهد الحديث عن الهداية والإيمان وما يصاحب ذلك من تفضل الله على عباده وتكريمه لهم.

١٢٩- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١)

قال الطبري: «كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عند الله كذلك فضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطا »(٢) فالتشبيه مراد به القدر المشترك بين الطرفين وهو مجرد الوقوع، فهو من باب التشابه.

١٣٠- قال تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٣)

---

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) جامع البيان ٦/٢.

(٣) سورة البقرة ٢٨٦.

(كما حملته على الذين من قبلنا) التشبيه لمجرد اتفاق الطرفين فى مجرد الحصول. ومقام الدعاء يدل على رجاء حمل المشقة ورفع الإصر قل أو كثر لا أن يكون خاصا بما هو مثل الإصر الذى حمله غيرهم من الأمم السابقة ، والله أعلم.

١٣١- قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١] المعنى على وقوع الجزاء لا أن يكون الجزاء المخصوص المشار إليه فى (وكذلك نجزى المحسنين) فهو من باب التشابه.

١٣٢- قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] التشبيه فى مطلق النجاة، أما الخصائص من الأحوال والأسباب فهى تختلف.

١٣٣- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

فى الآية شاهدان: (وكذلك يجتبيك ربك) و (كما أتمها على أبويك) وهما من باب التشابه.

١٣٤- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٤]

---

(١) سورة الأنعام ٨٤.

(٢) سورة يونس ١٠٣.

(٣) سورة يوسف ٦.

(٤) سورة يوسف ٢١.

(وكذلك مكنا ليوسف) أى كما أنجيناه وجعلنا العزيز يعطف عليه مكناه.

١٣٥- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١] المشابهة فى مطلق الإحسان إليهم، دون نظر إلى نوعه، أو زيادة ونقصان.

١٣٦- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٢]

(كذلك لنصرف عنه السوء) أى مثل تلك الرؤية نثبته ونريه البراهين.[٣] فالمشابهة من باب التشابه فى مطلق إنعام الله عليه.

١٣٧- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]

أى مثل التمكين الذى ظهر له عند الملك مكنا له فى الأرض.

١٣٨- قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ﴾[٥]

أى مثل هذا الجزاء من دخول الجنة نجزى كل متق طائع.

١٣٩- قال تعالى: ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[٦].

---

(١) سورة يوسف ٢٢.

(٢) سورة يوسف ٢٤.

(٣) ينظر الكشاف ٣١٢/٢ والبحر المحيط ٢٩٦/٥.

(٤) سورة يوسف ٥٦.

(٥) سورة النحل ٣١.

(٦) سورة النحل ٨١.

التشبيه فى مجرد وقوع النعمة فى المستقبل كما حصلت لهم فى الماضى.

١٤٠ - قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]

أى كما حصل ليونس النجاة، يحصل للمؤمنين النجاة من شدائدهم، وليست نجاة المؤمنين مماثلة لنجاة يونس فى خصائص أفعالها وصفاتها.

١٤١ - قال تعالى: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢]

١٤٢ - وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣]

المشابهة فى وقوع تسخير الإبل فى حسبها وذبحها، وتكرار التشبيه تكرار للمن بالنعمة، والله أعلم.

١٤٣ - قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤] (كما استخلف الذين من قبلهم).

المشابهة لا ينظر فيها إلى زيادة ونقصان، وإنما فى مطلق التمكين، إذ قد يكون المشبه وهو استخلاف أمة محمد عليه الصلاة والسلام – أقوى وأمكن، فالمعنى على التشابه فى مجرد الوقوع.

---

(١) سورة الأنبياء ٨٨.

(٢) سورة الحج ٣٦.

(٣) سورة الحج ٣٧.

(٤) سورة النور ٥٥.

١٤٤- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1]
أى مثل ذلك الإخراج الذى أخرجناهم أورثناهم الأرض.

١٤٥- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[2]

١٤٦- قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العالمين إنا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[3]

١٤٧- قال تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[4]

١٤٨- قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[5]

١٤٩- قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وهارون * إنا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[6]

١٥٠- قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ ياسين* إنا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[7]

١٥١- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[8]
المشابهة بين دخولهم المقام الكريم وتزويجهم الحور العين فى مجرد حصول الإنعام والتكريم لهم.

---

(١) سورة الشعراء٥٩.
(٢) سورة القصص١٤.
(٣) سورة الصافات ٧٩،٨٠
(٤) سورة الصافات ١٠٥.
(٥) سورة الصافات ١٠٩،١١٠
(٦) سورة الصافات ١٢٠،١٢١
(٧) سورة الصافات ١٣٠- ١٣١.
(٨) سورة الدخان ٥٤.

١٥٢- قال تعالى: ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾[1]

١٥٣- قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تعملون* إنا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[2]

وهكذا رأينا في الشواهد السابقة أن المشابهة في مطلق تحقق الفعلين ووقوعهما خارجا – غير منظور فيها إلى زيادة ونقص. أو خصائص أخرى في الفعل تصير بالتشبيه إلى معنى من المعاني التي ذكرناها في مبحث الكاف..

ثانيا: شواهد الحديث عن الكفر والمعاصي وما يرتبط بذلك من جزاء وغيره..

١٥٤- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[3]

في الآية شاهدان: «كما تبرءوا منا» و(كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات) والمشابهة في مطلق الحصول لإمكان اختلاف الطرفين عن بعضهما.

١٥٥- قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[4]

في الآية تشبيهان (كمن مثله في الظلمات) وهو تشابه بدليل عكس التشبيه فيه، و (كذلك زين) وهو شاهد هذا الموضع.

---

(1) سورة القمر ٣٥.

(2) سورة المرسلات ٤٣، ٤٤.

(3) سورة البقرة١٦٧.

(4) سورة الأنعام ١٢٢.

١٥٦- قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(١)

أى مثل ذلك الجعل من تضييق الصدر يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون. فالمشابهة فى مطلق حصول الفعلين.

١٥٧- قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ﴾(٢)

(كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ذلك التكذيب المشار إليه فى الآية قبلها (فإن كذبوك) كذبت الأمم السابقة – فالتشبيه لإفادة التشابه وليس فيه زيادة ونقصان منظور اليهما. ويدل على أن الغرض مجرد الجمع بينهما فى وقوع التكذيب، أنه لو كان الغرض التشبيه لكان المناسب للمقام- والله أعلم – أن يشبه تكذيبهم للرسول ﷺ بتكذيب من سبقوهم.

١٥٨- قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(٣)

أى فتنة مثل فتنة إخراج ابويكم فى الوقوع والحصول ، لا فى نوعها.

١٥٩-١٦٠- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ

---

(١) سورة الأنعام ١٢٥.

(٢) سورة الأنعام ١٤٨.

(٣) سورة الأعراف ٢٧

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾(١)

(كذلك نجزى) فى الآيتين للتشابه؛ لأنه فى مجرد وقوع الفعلين.

١٦١- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(٢)

المشابهة فى مجرد وقوع النسيان ، وليس الغرض التشبيه ، لأن نسيان الله أشد وأخزى، وقانا الله ذلك.

١٦٢- قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾(٣) المشابهة فى مجرد وقوع الطبع.

١٦٣- قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٤) (كما لهم آلهة) أى فى مجرد حصول آلهة لهم.

١٦٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ سورة الأعراف١٥٢.

١٦٥-١٦٦- قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يعملون * ولقد أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعراف ٤٠،٤١

(٢) سورة الأعراف ٥١.

(٣) سورة الأعراف ١٠١.

(٤) سورة الأعراف ١٣٨.

(٥) سورة يونس ١٢ ، ١٣.

١٦٧- قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة يونس ٣٣.

١٦٨- قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ سورة يونس٣٩.

١٦٩- قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾سورة يونس ٧٤.

١٧٠- قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ سورة هود ٣٨.

١٧١- قال تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾سورة هود ٩٥.

١٧٢- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ سورة هود ١٠٢.

١٧٣- قال تعالى:﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾سورة الحجر١٢.

١٧٤- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ سورة الشعراء٢٠٠.

ذكر أبو حيان أحد المعاني فى تفسير السلك قائلا: «قال ابن عطيه: الضمير فى نسلكه عائد على الاستهزاء والشرك ونحوه..»[١] وعلى هذا يكون التشابه فى مجرد وقوع الفعل الذى هو من أفعال العصاة والكافرين، وعلى جعل الضمير للقرآن يكون الشاهد من ضرب الحديث عن الوحى للتشابه أيضا.

---

(١) البحر المحيط ٤٤٨/٥.

١٧٥- قال تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ سورة الحجر ٨٩-٩٠- أى أنذر قومك كما أنذرنا المقتسمين فأنزلنا عليهم العذاب وهم يهود قريظة والنضير، فالتشابه فى مجرد الوقوع [1]

١٧٦- قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ سورة النحل ٣٣. أى تشابه فعلهم وفعل من سبقوهم فى التكذيب.

١٧٧- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾سورة النحل ٣٥.

١٧٨- قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾سورة الاسراء٤٢.

١٧٩- قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾سورة طه ٨٧.

(فكذلك ألقى السامرى) تشابه لأنه لو كان تشبيها لشبّهوا ما فعلوه بفعل السامرى.

١٨٠- قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾سورة طه ٩٦.

١٨١- قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾سورة طه ١٢٦.

أى كما كان لك من المعيشة الضنك وحشرك يوم القيامة أعمى أتتك آياتنا فنسيتها ، وكما نسيتها تنسى. فالكاف للتشابه فى الشاهدين.

---

(1) ينظر الكشاف ٣٩٨/٢ والبحر المحيط ٤٦٦/٥

١٨٢- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾سورة طه ١٢٧.

أى كما جزينا من نسي الآيات نجزى من أسرف ، فالجزاءان متشابهان فى التحقق.

١٨٣- قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾سورة الأنبياء ٢٩.

أى كما نجزى من يكفر ويشرك بالله نجزى كل ظالم على ظلمه أيًا كان هذا الظلم ، فصيغة التشبيه للتشابه فى مطلق وقوع الجزاء.

١٨٤- قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾سورة النمل ٣٤.

الكاف للتشابه ؛ لأن المشبه والمشبه به بمعنى واحد.

١٨٥- قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾سورة القصص٦٣.

(كما غوينا) أى غيا كغينا. فالكاف للتشابه فى مجرد الوقوع لا كونه على درجته، وإلا كان عندئذ تشبيها.

١٨٦- قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾سورة الروم ٥٥.

أى كما أتوا بالإفك والضلال وعدم التثبت أقسموا على ذلك.

١٨٧- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾سورة الروم ٥٩.

أى كما طبع الله على قلوب الكفرة (فى الآية السابقة) يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون بمنع الألطاف عنهم.

١٨٨- قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾سورة سبأ ٥٤.

(كما فعل بأشياعهم) أى يتشابه ما فعل بهم وما فعل بأشياعهم من الحرمان.

١٨٩- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾سورة فاطر ٣٦.

أى تتشابه أجزية الكافرين جميعا فيما ذكرته الآية من الخلود فى النار.

١٩٠- قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ الصافات ٣٣،٣٤ أى يتشابهون فى العذاب ويشتركون فيه. فهم فيه سواء.

١٩١- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾غافر ٦. أى تشابه هلاكهم فى الدنيا وصحبتهم للنار يوم القيامة فى الوجوب عليهم.

١٩٢- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ سورة غافر ٣٤.

أى إضلال الله لهم تشابه مع إضلال المسرفين المرتابين.

١٩٣- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ سورة غافر٣٥.

هكذا طبع الله على قلوب المتكبرين، تشابهت قلوبهم فتشابه جزاؤهم.

١٩٤- قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ

زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾سورة غافر ٣٦ ، ٣٧.

أى مثل الذى ذكرنا من التزيين والصد زين لفرعون سوء عمله، فالمتشابهان بمعنى واحد.

١٩٥- قال تعالى ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾سورة غافر ٦٣. أى تتشابه قلوب الجاحدين فى الصرف عن الحق وعن آيات الله.

١٩٦- قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تشركونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾سورة غافر ٧٣ ، ٧٤. أى يتشابه الضالون فى إضلال الله لهم وصرفهم عن الحق.

١٩٧- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾سورة الزخرف ٢٣. أى كما قال الذين من قبلهم إنا وجدنا آباءنا على أمة كذلك قال كفار مكة فتشابهت قلوبهم وأقوالهم، ولوجود هذا التشابه شبه ما قاله السابقون بقول أهل مكة وكفارها.

١٩٨- قال تعالى:﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَ زُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾سورة الدخان ٢٥-٢٨. أى مثل ذلك الإخراج من الجنات والعيون لفرعون وأشياعه أورثناها قوما غيرهم. فالتشابه حصل فى وقوع الأمرين وإنفاذ الله لهما.

١٩٩- قال تعالى:﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ الجاثية ٣٤.

تشابه نسيان الله ونسيانهم فى الوقوع، ويدل على التشابه اختلاف النسيانين طبيعة وأثرا، فالكاف ليست للتشبيه.

٢٠٠- قال تعالى :﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ سورة الأحقاف ٢٥ .

أى كذلك نجزى ونوقع العقاب بكل مجرم ظالم، فالكاف للتشابه فى وقوع الجزاء على جميع الظالمين، وليست للتشبيه. لأن مقتضاه أن يكون جزاء المجرمين جميعا إرسال الريح عليهم وتدميرهم بها وليس الأمر كذلك.

٢٠١- قال تعالى:﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ سورة الفتح١٦ . القصد والله أعلم – مطلق التولى فالصيغة للتشابه وهو واضح.

٢٠٢- قال تعالى :﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ الذاريات٥٢. أى تشابهت قلوبهم وأقوالهم.

٢٠٣- قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾المجادلة٥.

٢٠٤- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾المجادلة١٨.

(كما يحلفون لكم) التشابه فى مطلق الوقوع. ويدل على ذلك أن وجه الشبه وهو ظهور الكذب أوضح فى المشبه وهو كذبهم يوم القيامة على الله تعالى.

٢٠٥- قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ القلم٣٣ .أى يتشابه ما يصيبهم فى الدنيا مع عذاب أهل الجنة التى أصبحت كالصريم، لكن عذاب الله فى الآخرة أكبر لا مقارنة بينه وبين عذاب الآخرة.

٢٠٦- قال تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ سورة المدثر ٣١.

(كذلك يضل الله من يشاء) تشابه فى وقوع الإضلال، إذ تختلف درجات الضلال وطرائقه. فالكاف للتشابه.

٢٠٧ - قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ سورة المرسلات ١٦ - إلى - ١٨.

أى يتشابه ما نفعله بالمجرمين جميعا.

وقد جاء نفي التشابه بين جزاءى الكفر والإيمان فى الآية الآتية:

٢٠٨- قال تعالى﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾سورة التوبة١٩.

فالمعنى على إنكار أن يكون بين أعمال المشركين وعمارتهم المسجد أية مشابهة مع إيمان المؤمنين وأعمالهم، لا مشابهة مخصوصة، فانتفت التسوية بينهما فى وجود مجرد الفضل فيهما، لان فى ذلك ظلما كبيرا.

ثالثا: شواهد التشبيه بين المصادر الدالة على الوحى وإرسال الرسل.

ونلحظ فى شواهد هذا النوع أن منها ما يكون دالا على التشابه فى مجرد وقوع الفعل دون نظر إلى زيادة ونقصان، ومنها ما يكون مراعى فيه تمام الشبه بين الطرفين وكثيرا ما يكون ذلك عندما يكون المشبه هو المشبه به باعتبار حالين.

فمن شواهد التشابه فى مجرد الوقوع ما يأتى:

٢٠٩- قال تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ سورة النساء١٦٣ .

(كما أوحينا إلى نوح) الكاف هنا لإفادة التشابه فى كون الرسول عليه الصلاة والسلام أوحى إليه وكذلك المرسلون عليهم الصلاة والسلام. فالتشابه فى مجرد الوحي، وهو القدر المشترك بينهم، دون النظر إلى خصائص الموحى به لكل نبى منهم .

٢١٠- قال تعالى﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ سورة الرعد ٣٠.

تشابه بين إرساله وإرسال الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام فى مجرد الوقوع.

٢١١- قال تعالى﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾سورة طه ٩٩.

تشابه فى القصص ووقوعه، قصص موسى وفرعون وغيره من قصص الأمم الأخرى.

٢١٢- قال تعالى﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ سورة الشورى ٥٢.

اى مثل ما أنزلنا إلى الأنبياء قبلك وأوحينا إليهم أوحينا إليك .

٢١٣- قال تعالى﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾سورة المزمل١٤.

كاف التشبيه هنا لإفادة التشابه فى المعنى المشترك بينهما وهو تحقق الإرسال.

وفى الشواهد الآتية للحظ التشابه ؛ فالمشبه والمشبه به بمعنى :

٢١٤ – قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ يوسف ٧٦.

أى مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعنى علمناه إياه وأوحينا به إليه [1] أى مثل الكيد الذى أخبر الله به وتعليمه له كان الوحى إليه به ليفعله.

٢١٥- قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴾ سورة الرعد ٣٧.

أى وكذلك الإنزال الذى أنزلناه نترل القرآن حكما عربيا، ومثلها:

٢١٦- قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ سورة طه ١١٣.

٢١٧- قال تعالى﴿ كَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ سورة الحج ١٦.

أى أنزلنا القران كله مثل ذلك فى البيان والوضوح من غير تفاوت.

٢١٨- قال تعالى﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ سورة الفرقان ٣٢.

أى نزل القران بهذه الصورة التى نزل عليها، وهى كونه مفرقا.

---

(١) الكشاف ٢/٣٣٥

٢١٩- قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ سورة العنكبوت٤٧.

أى مثل هذا الانزال الذى علمته ويسمعه من حوله أنزلناه، أو مثل الكتب السابقة أنزلناه [1] .

٢٢٠- قال تعالى ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سورة الشورى ٣ .

٢٢١- قال تعالى﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ سورة الشورى ٧.

أى ينزل عليك الوحى على درجة واحدة من البلاغة، ما نزل وما سينزل.

رابعا : شواهد جاءت فى معرض الحديث عن الآيات وبيانها وتفصيلها:

٢٢٢- قال تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة ١٨٧ .

(كذلك يبين الله لكم الآيات) أى البيان كله يتشابه فى الدقة والإحكام.

وجاء التشابه فى البيان أيضا فى الآيات الآتية.

---

(١) ينظر الكشاف ٢٠٨/٣

٢٢٣- قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة٢١٩.

٢٢٤- قال تعالى﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾البقرة ٢٤٢.

٢٢٥- قال تعالى﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة٢٦٦.

٢٢٦- قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ آل عمران١٠٣.

٢٢٧- قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة٨٩.

٢٢٨- قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة النـــــور٥٨.

[٢٠] قال تعالى ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور٥٩.

٢٢٩- قال تعالى ﴿ذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ النور ٦١.

وقد جاءت بعض الشواهد بلفظ التفصيل كما فى الآيات الآتية :

٢٣٠- قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نفصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ سورة الأنعام ٥٥.

٢٣١- قال تعالى ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ سورة الأعراف٣٢.

٢٣٢- قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ سورة الأعراف ١٧٤.

[٦٦]قال تعالى ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة يونس٢٤.

[١١٦]قال تعالى ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يعقلون﴾ سورة الروم٢٨.

وجاءت شواهد أخرى بلفظ التصريف كما فى الآيات الآتية.

٢٣٣- قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ سورة الأنعام ١٠٥.

٢٣٤- قال تعالى﴿ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ سورة الأعراف٥٨.

خامسا: شواهد فى معرض الحديث من الابتلاء والاختبار، وجاءت فيما يأتى:

٢٣٥- قال تعالى ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾سورة النساء ١٠٤.

(كما تألمون) تشابه فى الإصابة بالبلاء وليس فيه- والله أعلم- مراعاة لزيادة ونقصان ، فهو لمجرد الإصابة فى الطرفين .

٢٣٦- قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ سورة الأنعام ٥٣.

أى إن ابتلاء هذه الأمة بفتون بعضها ببعض يتشابه هو وفتون الأمم السابقة، فالكاف للتشبيه في مجرد وقوع الفتن.

٢٣٧- قال تعالى :﴿ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ من دُون اللّه فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ سورة الأنعام :١٠٨ .

أى تزيين العمل لكل أمة واقع على حد سواء اختبارًا من الله تعالى.

٢٣٨- قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ سورة الأنعام ١١٢.

(وكذلك..) الكاف للتشابه. إذ لا ينظر إلى زيادة ونقصان ويؤكد كون هذه الآية وأخواتها للتشابه لفظ (كل) بما فيه من دلالة على ارتباط هذا الجعل بكثيرين. تشابهوا فيه.

٢٣٩- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ سورة الإنعام :١٢٣.

أى هذا الجعل في جميع القرى على حد سواء حتى في أم القرى ، إذ فيها من صناديد الكفر ما يمكرون فيها.

٢٤٠- قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ الأنعام: ١٢٩. الكاف تفيد التشابه لا التشبيه .

٢٤١- قال تعالى :﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ سورة الأنعام :١٣٧ .

٢٤٢- قال تعالى:﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ سورة الأعراف: ١٦٣.

(كذلك نبلوهم) الكاف للتشابه فى مجرد وقوع البلاء. لأنه لا يتعين أن يكون بلاء الفاسقين دائما مثل بلاء يوم السبت.

٢٤٣- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ سورة الفرقان: ٣١.

٢٤٤- قال تعالى ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ سورة القلم:١٧ .

سادسا: شواهد في معرض الحديث عن الخلق والإحياء، وجاءت في هذه الآيات:

[١] قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة البقرة: ٧٣.

واضح أن الصيغة (كذلك يحيى الله الموتى) تفيد التشابه في مجرد وقوع الإحياء ولا يراد بها – والله أعلم – أن الإحياء عند البعث يكون مماثلا لإحياء هذا القتيل الذى ضرب بقطعة من لحم البقرة التى أمروا بذبحها. وهذا واضح جلى.

٢٤٥- قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ سورة الأنعام: ١٣٣.

التشابه في الوقوع والقدرة عليه وليس التشبيه لبيان الكيفية بأن يكون خلقتهم من طين كما كان بدؤهم.

٢٤٧- قال تعالى﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ سورة الرعد:١٦.

(خلقوا كخلقه) أى وقع منهم خلق كما كان من الله خلق فالكاف للتشابه في وجود خلقين. لا أن المعنى خلقوا خلقا مماثلا لخلق الله[١].

٢٤٨- قال تعالى﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .. الآية﴾ سورة الكهف :١٩.

أى كما أنمناهم بعثناهم، فذلك في قدرة الله سواء.

٢٤٩- قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ سورة الكهف: ٢١. أى كما أنمناهم وبعثناهم أطلعناهم على حالهم.

---

(١) انظر تحليل التشبيه فى الآية صفحة ١٠٩ وما بعدها.

٢٥٠- قال تعالى ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾سورة مريم: ٩.

أى أمر خلق يحيى في مراد الله كما يخبر الله به.

٢٥١- قال تعالى ﴿قَالَ كَذَلِك قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾ سورة مريم :٢١ .

أى خلق عيسى في مراده جل وعلا كما أخبر الله به.

[٣٨] قال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ سورة الأنبياء:١٠٤.

الشاهد هنا (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى الخلق سواء في القدرة بدءا وانتهاء.

٢٥٢- قال تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ سورة الروم:١٩.

أى إخراجكم من القبور كإخراجكم من طين ، في القدرة سواء.

٢٥٣- قال تعالى﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ سورة فاطر: ٩.

٢٥٤- قال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ سورة الزخرف : ١١.

(كذلك تخرجون) تشابه في الإخراج والقدرة عليه وليس في هيئة الإخراج الذى عليه إخراج النبات بالماء.

٢٥٥- قال تعالى: ﴿ رِزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ سورة ق: ١١ وهى كالشواهد من هذا الضرب.

سابعا: وهذه شواهد في بيان الأحكام وضرب الأمثال:

٢٥٦- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾سورة البقرة: ١٨٣.

الكاف للتشابه في وقوع التشريع لا في خصائص الشرع.

٢٥٧- قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾سورة الرعد: ١٧.

قوله (كذلك يضرب الله الحق والباطل) تشابه في ضرب الأمثال.

وقوله تعالى (كذلك يضرب الله الأمثال) ليس تشبيها فى خصوصية ما يضرب به المثل في الآية.

٢٥٨- قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ سورة محمد :٣.

تشابه بين الاتباع وبين تبيين الله أمر كل فرقة في مجرد وقوع الطرفين لا في خصائصهما[1].

٢٥٩- قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ سورة الفتح:١٥.

---

(١) انظر البحر المحيط ٧٣/٨

تشابه بين ما يقوله الرسول ﷺ وبين ما قاله الله. إذ لا فرق بينهما في مضمونها الذى أشارت إليه الآية.

٢٦٠- قال تعالى: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾سورة الذاريات: ٣٠. أى مثل الذى قلنا وأخبرنا قال ربك.

ومن قبيل التشابه أيضا ما يأتى:

٢٦١- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ سورة الكهف: ٩١.

قال الزمخشرى: " كذلك، أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره" (١) أى تشابه ما وصف الله به حاله وما كان عليه في واقع الحال.

٢٦٢- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾سورة فاطر: ٢٨.

(كذلك) قال أبو حيان:" أى كاختلاف الثمرات والجبال فهذا التشبيه من تمام الكلام قبله" (٢)

ويحتمل – والله أعلم – أى حقيقة اختلاف هذه الأشياء كما أخبر الله عنها. فتشابه الخبر والمخبر به.

ويتميز طريق التشابه لكون الطرفين فيه يستويان في وجه الشبه بصحة مجيء أحد الطرفين مكان الآخر بأن يؤتى ما من شأنه أن يكون مشبها به في

---

(١) الكشاف ٢/٤٩٨.

(١) البحر المحيط ٧/٣١٢.

التشبيه الاصطلاحي مكان المشبه دلالة على تساوى الطرفين في وجه الشبه. حقيقة أو دعاء. وقد جاء على هذا المنحى الشواهد الآتية:

٢٦٣- قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾سورة آل عمران:١٦٢.

وتقدير المعنى – والله أعلم – أيكون فيه تسوية بين ما آل برضا الله – تعالى– وبين ما باء بسخطه. والإنكار أن يسوى العاصى والكافر بالمؤمن ، وأشعرت الآية هذه التسوية بتقديم ما حقه أن يكون مشبَّها به ويسوى به غيره، وهو (من اتبع رضوان الله).

٢٦٤- قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾سورة الرعد:١٩.

المعنى– و الله أعلم – إنكار أن يكن ثمة شبه بين العالم والجاهل بعد أن بين الله تعالى بعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز[١] . فلا ينبغى أن يستوى العالم والجاهل، ولما كان المعنى على نفى التشابه بينهما ساغ أن يؤتى بأحد الطرفين مكان الآخر، لعدم القصد إلى زيادة ونقصان.

٢٦٥- قال تعالى:﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾سورة النحل: ١٧.

إنكار أن يسوى الخالق بغيره – وهو على نفس المسلك في التشابه.

٢٦٦- قال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾سورة القصص: ٦١.

نفى للتشابه والتسوية بينهما.

---

(٢) ينظر الكشاف ٣٥٦/٢ والبحر المحيط ٣٨٤/٥

٢٦٧- قال تعالى:﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ﴾سورة السجدة:١٨. أى لا تشابه بينهما فى المترلة.

٢٦٨- ٢٦٩- قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ من لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا من كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾ سورة محمد ١٤ ،١٥.

إنكار على من يسوى بين المؤمن البصير والكافر الذى ضل وغوى، وإنكار أن يسوى بين جزاء صاحب الجنة المنعم فيها وبين جزاء المخلد في النار المعذب فيها. والله أعلم.

٢٧٠- قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾سورة القلم: ٣٥.

إنكار وتوبيخ لمن يجعل المسلم كالمجرم إذْ لا يستويان فى شيء.

٢٧١- قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ سورة ص: ٢٨.

٢٧٢- قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ سورة الجاثية: ٢١.

إنكار أن يكون فيه تشابه بين الاثنين أو مقارنة بينهما، إذ شتان بين الحياتين وبين المماتين، فالنفى لمجرد وجود شبه ما بينهما، والله أعلم بمراده.

خاتمة

" وبعد" فقد تم ما أعاننا الله عليه في هذه الدراسة ، التي تحقق فيها ما يأتي:

أولا: قد وفت هذه الدراسة – فيما نعتقد – باستقصاء جميع شواهد أدوات التشبيه ومواقعها في القرآن الكريم. وأثبتت أن (الكاف) جاءت في اثنتين وسبعين ومئتي آية، وجاءت (كأن) في سبع وثلاثين آية (ثقيلة ومخففة ومكفوفة بـ (ما)) وجاءت كلمة (مثل) في ثمان وسبعين آية....

ثانيا: تم تحقيق القول في تحديد أدوات التشبيه، وانتهينا إلى أن الأداة محصورة في (الكاف) و(كأن) أما الكلمات الأخرى (مثل، شبه، شكل، مساو....) فإنها تدل على معناها اللغوي، ويفاد بالمجيء بها الحكم بالمماثلة، والمشابهة ، والمشاكلة، والمساواة إلى غير ذلك إذ ليست أدوات تشبيه. لذا لا يعد ما جاءت فيه من التشبيه الاصطلاحي، وعند اعتباره من التشبيه يكون ذلك على سبيل التوسع في حقيقة التشبيه أو في الأداة.

ثالثا: تجلت لنا من خلال هذه الدراسة الفروق في الدلالة بين أداتي التشبيه وبين الكلمات التي تفيد الحكم بالمشابهة.

وقد جدت هذه الدراسة في كل مسائلها على قدر الوسع. وهي وإن أَوْجَزَتْ في بعض الشواهد فقد يكون لإيناسها في بقية الشواهد والمواضع الأخرى في بعض المماثلة ما يغني لإضاءة ما أوجزنا الحديث عنه.

هذا. والله من وراء القصد ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب
١٤١	٢١٠	٢١	١٣٧
١٤٨	٢٤٠	٣١	٣٨-٢٢٦
١٥٠	٧٩	٤٧	١٣٧
١٦٠	٢٩-٤٢-٦٣	٥٢	١٤٧
سورة الأعراف		٥٤	١٤٧
٢٧	٢٤٠	سورة التوبة	
٢٩	٢٥٥	١٩	٢٢٢-٢٤٨
٣٢	٢٥٢	٣٠	٨٤
٤٠	٢٤٠	٣٦	١٢٦
٤١	٢٤٠	٦٩	١١٨-١٣٥
٥١	٢٤١	سورة يونس	
٥٧	٢٣٣	١٢	٢٠٣-٢٤١
٥٨	٢٥٣	١٣	٢٤١
٩٢	١٨٧	٢٤	١٤٣-١٨٧-٢٥٢
١٠١	٢٤١	٢٧	٣١-٢٠١
١٣٨	٢٤١	٣٣	٢٤٢
١٥٢	٢٤١	٣٨	٣٦
١٦٣	٢٥٤	٣٩	٢٤٢
١٦٩	٢٢٨	٤٥	٢٠٣
١٧١	١٩١	٧٤	٢٤٢
١٧٤	٢٥٢	١٠٢	٢٣
١٧٦	١٤٣	١٠٣	٢٣٥
١٧٩	١٥٢	سورة هود	
١٨٧	١٧٩	١٣	٣٧-٥٩
١٩٣	٢١٧	٢٤	١٤٣
سورة الأنفال		٢٧	٢٧-٦٠
٥	١٦٦	٣٨	٢٤٢
٦	٢٠٠-٢٠٤	٤٢	١٥٨

رقم الآية	موضعها فى الكتاب
١٥	٢٨
٣٩	١٥٥
٨١	٣٨
سورة الصافات	
٣٤	٢٤٥
٤٩	١٤-١٩٣
٦١	٢٢٩
٦٥	١٩٧
٨٠	٢٣٨
١٠٥	٢٣٨
١١٠	٢٣٨
١٢١	٢٣٨
١٣١	٢٣٨
سورة ص	
٢٨	٢٦٠
٤٣	٣٣
٥٨	٧٥
سورة الزمر	
٨	٨٢
٢٣	٢١٠
٤٧	٣٤
سورة غافر	
٦	٢٤٥
٣٠	٢٤
٣١	٢٤
٣٤	٢٤٥
٣٥	٢٤٥
٣٧	٢٤٥

رقم الآية	موضعها فى الكتاب
٤٠	٢٩-٥٨
٦٣	٢٤٦
٧٤	٢٤٦
سورة فصلت	
٦	٢٦
٩	٨٢
١٣	٢٤
٣٤	١٨٨-٢٢٢
سورة الشورى	
٣	٢٥١
٧	٢٥١
١١	٣٩-٦٧-١٠٦-١٦٨
١٥	١١٩
٣٢	١٥٩
٤٠	٣٠
٥٢	٢٤٩
سورة الزخرف	
١١	٢٥٦
٢٣	٢٤٦
٤٨	٩٩
سورة الدخان	
٢٨	٢٤٦
٤٥	١٢١-١٦٠
٤٦	١٢١
٥٤	٢٣٨
سورة الجاثية	
٨	٢٠٣
٢١	٢١٩-٢٦٠

الحمد لله رب العالمين

دليل المصادر والمراجع

١- أولاً : صحيح البخارى - المطبعة البهية - أولى ١٣٤٣هـ.

٢- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر - رشيد رضا - صبيح ١٣٧٩ هـ.

٣- أساس البلاغة للزمخشرى - التنوير العربى- بيروت رابعة.

٤- الأطول للعصام - مطبعة أحمد كمال.

٥- الأغانى للأصفهانى - تهذيب الحموى - الإعلانات الشرقية.

٦- الاكسير فى علم التفسير للطوفى ق د. عبد القادر حسين (النموذجية).

٧- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير - الحلبى.

٨- الإيضاح للخطيب القزوينى - صبيح ١٣٩٠هـ.

٩- البحر المحيط لأبى حيان - دار الفكر بيروت . ثانية.

١٠- البرهان للزركشى ق أبو الفضل إبراهيم - عيسى البابى ، أولى.

١١- بيان التشبيه د. عبد الحميد العيسوى - القاهرة الجديدة ، أولى.

١٢- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ق السيد صقر دار التراث ، ثانية.

١٣- التبيان للطيبى ق د/ هادى عطية - النهضة العربية .

١٤- تحرير التحبير لابن أبى الاصبع ق حفنى شرف - القاهرة ١٣٨٣هـ.

١٥- التذكرة فى القراءات لابن غلبون ق د. عبد الفتاح بحيرى، الزهراء للاعلام.

١٦- التصوير البيانى. د. محمد أبو موسى - التضامن ، ثانية .

١٧- تفسير ابن كثير - دار الفكر ١٩٨٠.

١٨- الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا ق د. الجوينى . المعارف. اسكندرية.

١٩- الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى ق فخر الدين قباوة- الآفاق الجديدة.

٢٠- جامع البيان - للطبرى مطبعة البابى الحلبى . ثالثة .

٢١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى - مطبعة دار الشعب ، أولى.

٢٢- الحروف العاملة فى القرآن الكريم - د. هادى عطية - النهضة العربية، أولى.

٢٣- حاشية الأمير على مغنى اللبيب، عيسى البابى الحلبى.
٢٤- حاشية الانبابى على الرسالة البيانية للصبان ، المطبعة الأميرية .
٢٥- حاشية الدسوقى على المختصر – شروح.
٢٦- حاشية السيد على الكشاف البابى الحلبى.
٢٧- حاشية السيد على المطول، مطبعة أحمد كمال ، ١٣٣٠هـ.
٢٨- الخصائص لابن جنى ق محمد النجار ، المهدى للطباعة ، ثانية .
٢٩- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر – المراغى – المطبعة العربية .
٣٠- ديوان الأعشى ، دار صادر بيروت.
٣١- ديوان امرئ القيس – مصطفى عبد الشافى – دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٢- ديوان البحترى ، ق حسن الصيرفى – المعارف ثانية .
٣٣- ديوان حسان – صادر بيروت.
٣٤- ديوان الشماخ ق صلاح الدين الهادى ، دار المعارف.
٣٥- ديوان عنترة – ق فوزى عطوة – صادر بيروت.
٣٦- ديوان الفرزدق – صادر بيروت.
٣٧- سر صناعة الإعراب لابن جنى ق وزارة المعارف ، مصطفى الحلبى.
٣٨- شرح الفوائد الغيائية طاشكبرى زاده – الطباعة العامرة.
٣٩- شرح القصائد السبع الطوال – ابن القاسم الأنبارى – هارون – دار المعارف.
٤٠- شرح المفصل لابن يعيش – المتنبى بالقاهرة.
٤١- شروح التلخيص – مطبعة السعادة.
٤٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة ق أحمد شاكر – دار المعارف.
٤٣- صحيح البخارى – الطبعة الأولى – المطبعة البهية المصرية- ١٣٤٣هـ.
٤٤- عروس الأفراح للبهاء السبكى – شروح التلخيص.

٤٥- العلاقات والقرائن فى التعبير البيانى - د. محمود حمدان - مكتبة وهبة- القاهرة.
٤٦- الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى - الآفاق الجديدة بيروت.
٤٧- الكتاب لسيبويه - ق عبد السلام هارون - الخانجى - ثالثة.
٤٨- كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ق أبو الفضل إبراهيم- عيسى الحلبى.
٤٩- الكشاف للزمخشرى - مصطفى البابى الحلبى.
٥٠- لسان العرب لابن منظور - دار المعارف - أولى.
٥١- المثل السائر لابن الأثير ق محيى الدين - البابى الحلبى.
٥٢- مختصر فى شواذ قراءات القرآن من البديع لابن خالويه- المتنبى بالقاهرة.
٥٣- المزهر فى علوم اللغة للسيوطى - البجاوى - عيسى الحلبى - أولى.
٥٤- المطول للسعد - مطبعة أحمد كمال ١٣٣٠هـ.
٥٥- معجم الألفاظ القرآنية - محمد إسماعيل - دار الفكر العربى.
٥٦- معانى القرآن وإعرابه للزجاج ق د. شلبى - إحياء التراث.
٥٧- مغنى اللبيب لابن هشام - البابى الحلبى.
٥٨- مفتاح العلوم للسكاكى - المطبعة الأدبية _ أولى.
٥٩- المفردات فى غريب القرآن للراغب ق محمد كيلانى - مصطفى الحلبى.
٦٠- المقتضب للمبرد - عالم الكتب - بيروت.
٦١- المنزع البديع للسجلماسى ق علاء الغازى - المعارف بالمغرب.
٦٢- منار السالك إلى أوضح المسالك محمد النجار - الفجالة الجديدة.
٦٣- مواهب الفتاح للمغربى = شروح.
٦٤- النبأ العظيم للدكتور دراز ١٣٧٦هـ.
٦٥- النكت فى إعجاز القرآن للرمانى (ثلاث رسائل) دار المعارف.
٦٦- همع الهوامع على جمع الجوامع للسيوطى - دار المعرفة.

فهرس الموضوعات

والحمد لله الذى تتم بفضله الصالحات.